

تاریخ
حیات



بابکربدری

الجزء الأول

التاريخ يكتب الحوادث منه العارية للفكاهة
وغير العارية من الحقائق للاقتداء بحسنها وقيمتها
بابکربدری

اصدق النباخ
ماکتب فی زمانه
وصدق فی کلماته
وصدق معاصروه
فی ساری
بابکر جوی

إهداء ٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / جابر بدري

المؤيد

تاریخ
حیات

بابکری بدری

التاریخ یکتب الحوادث منه العاریة للفکاہة
غیر العادیة من الحقائق للاقتدار بها حسنا و قبیحا

بابکری بدری



الجزء الأول

من سنة ١٢٧٩ الى سنة ١٣١٦

الاشهاد

الى تينك الروحين الطاهرين العظيمين من ورثا روح الامام المهدي عليه السلام بالورثة او القواسم .

الى من صحتا ما عاهدنا الله عليه حتى انلعمنا اليقين وهما في جهادهما سائرين اليهما تهدي هذا السفر الذي قدمه احدهما مرشدا للاجيال الحاضرة والآتية في صديق الجهاد وقوة المزيمة الى روعي والتمنى :

« الامام مبد الرحمن المهدي والشيخ بابكر بدري »

التمنه زلفى وقربى ومعبية ..

يوسف بدري

استمعان ١٩٥٩/٩/٥

مقدمة الكتاب

بقلم الأستاذ الكبير

شيخ أدباء الجيل

الدكتور محمد فريد أبو حديد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب الذى بين أيدينا مظهر من التجديد الذى امتاز به صاحبه المنفور له الشيخ بابكر بدرى ، فقد كان رائداً مجتهداً فى كثير من السنن الصاعدة فى حياته الطويلة الخصبة . فقد عرفنا الكثيرين ممن شاركوا فى مسار الحياة العامة ، وتطلعتنا وتساءلنا لمنا فلما ما كان يفتلج فى صدورهم من المشاعر وما كان يدور فى عقولهم من الآراء ولكننا كنا فى أكثر الأحوال نرجع من تطلعتنا وتساءلنا بصور غير واضحة ونضطر الى جمع أخبارهم من هنا ومن هنا بنية الاهتداء الى الحقائق التى كانت تنطوى فى حياتهم الزاخرة . ولكن الشيخ رحمة الله عليه يوفر علينا كثيراً من المشقة وكثيراً من التساؤل ويجنبنا كثيراً من مواطن الخطأ فى التفسير والتأويل لأنه خلف لنا صورة واضحة من تاريخ حياته فى هذه المذكرات التى يتضمنها هذا الكتاب ، وهى مسورة تشتمل على شخصه كما تشتمل على وصف صادق لكل ما كان يحيط به . فهذا الكتاب وإن كان سيرة لعياة الرجل يحتوى على تاريخ عصر كامل وهو عصر من أخطر ما مر على السودان وعلى الأمة العربية جملة .

وقد عرفت الشيخ المنفور له بابكر بدرى منذ ولدت قدمائى أرض السودان لأول مرة فى عام ١٩٤٠ ، وكنت سمعت به من بعيد قبل وفودى على القطر الشقيق ، وما كان لى إلا أن أسمع يرجل وقته حياته على التعليم وجعله هواية حياته ، مدفوعاً بإيمان صادق جعله لا يتردد أمام عقبة من العقبات سواء أكاف من جانب سلطان الحكم الأجنبي الذى كان يتحكم فى السودان ويهتدى عاقبة التوسع فى التعليم فى زلزلة سيطرته أم كانت من جانب الشعب نفسه لما كان يقيده به من التقاليد البالية التى علقته قدم العالم العربى كله فى القرن الماضى .

كان الشيخ الوقود من أول من سميت الى لقاءهم ، وكان لالتقاءى به أثر من أعجب ما وقع لى فى حياتى . ذهبت اليه ولما سألته عنى عما سمعت عنه

— وكنت سمعت عنه أمثالا متناقضة من الأخبار — وخرجت من عنده وأنا أحسب أنى خارج من لدى صديق عزيز قديم . رأيت لأول وهلة رجلا ضيل الجسم له لعبة وخطها الشيب ، وبدل ظاهره على أنه قد بلغ العقد السادس من عمره ، وهو في الحقيقة كما علمت فيما بعد قد بلغ السادسة والسبعين . واسترعى انتباهي منه بصفة خاصة وجه بشوش تبهر فيه بساطة الشباب وعينان تلتقيان بتور يتم عن اخلاص وحيوية دقيقة . وجرى بيننا الحديث كأن كلا منا يعرف الأسرار الكامنة في صدر صاحبه . فمنذ تلك المقابلة الأولى استمرت الصداقة بيننا وإن بعدت شقة المسافة بين موطنينا وقد وقع في روعي بعد تكرار المقابلة أن ذلك الشيخ الوقور البشوش يطوى في حياته صفحة السودان الحديث كلها ، وتمنيت فيما بيني وبين نفسي لو استطاع أن يسطر تلك الصفحة في كتاب .

لهذا كنت سعيدا عند زيارتي الثانية للسودان في عام ١٩٥٥ ، إذ عرفت أن الشيخ قد سطر ذلك الكتاب .

وأول ما يخالطنا في هذا الكتاب صورة صادقة للشيخ نفسه منذ طفولته ، ومنها تبيين شخصية صاحبها — شخصية صريحة بسيطة ، عبيقة التفكير ليس فيها أثر من الاتواء أو الادعاء ، وأول حياته جدير بأن تجعله في بضع فقرات ، فإن النواة هي أصل النخلة السامقة .

« ولد الطفل بابكر ولد بدرى حسوالى عام ١٨٩٤ للميلاد لوالدين « فقيرين في المال ، لكنين أعظم الغنى في الخلق » وكان مسقط رأسه على نهر (أنبرة) في شمال السودان . وأحاطت الشدائد بالطفل منذ مولده ، إذ غاب والده عن الأسرة وترك الأم وحدها تواجه معاناة شديدة وقتت عند ذلك . فكان سعيد أخوه من أمه يجلب الصمغ في توريه لتخطله الوالدة بتحقيق الذرة والطفل بابكر يأخذ ما يلقى بثوب أخيه من ذلك الصمغ فيملكه علكا . ولما بلغ من الرابطة انتقلت الأسرة الى موطن عم الطفل في رفاعة (على النيل الأزرق) فاستمرت الأسرة هناك حتى بلغ بابكر مبلغ الرجال وتزوج من أهلها .

وكان حكم السودان في ذلك الوقت يدعو الى الحق والاسف معا ، والشيخ يذكر في سيرة حياته بعض حوادث يوردها عرضا في ثنايا حديثه وهي تدل دلالة واضحة على أحوال ذلك الحكم الذي كان يجمع بين الضعف

والعسف ، ومن ذلك ما ذكره بمناسبة غياب والده عن الأسرة . فقد ذهب
الوالد مع سبعة من أبناء قبيلته (الرياطاب) بقصد اكتساب الرزق في الخرطوم .
وهناك قبض عليهم أحد النظار السودانيين الذين كانوا في خدمة الحكومة
وأودعوا السجن لسبب مضطك منك في وقت واحد .

كان بعض أفراد قبيلة الرياطاب قد اعترفوا جريمة لعراق غابة مملوكة
للحكومة ، فلما عرف الناظر أن هؤلاء السبعة من قبيلة الرياطاب كذلك ، قبض
عليهم بنير أن يكلف نفسه مشقة التحقيق في أمرهم . واستمروا في السجن
شهورا وكان المدير السوداني لا يحرك ساكنا فيما يتصل بأمرهم ، فلم يخرجهم
الا وكيل المدير الذي ظن بالمصادفة الى أن هؤلاء السبعة قد يكونون غير
الآخرين الذين أحرقوا الغابة ، فبدأ يتحقق من أمرهم حتى تبين له أنهم أبناء
فاطمة سراحهم . ومن العجيب أنهم بعد الخروج من السجن لم يأمنوا على
أنفسهم من العودة اليه الا لسبب عجيب أيضا . فقد سخر الله لهم أحسن
مساكن البلد في الخرطوم وكان من قبيلة الرياطاب ، فاحتال في أمرهم بأن أوهم
الحكومة ان هؤلاء السبعة قد توفروا الى رحمة الله واحدا بعد آخر ، وذلك
بأنه كان كلما مات رجل في شيلخته بث الى الحكومة بأنه واحد من السبعة
الذين سبق لهم أن سجنوا ، حتى أفضاهم جميعا على الورق وأصبحوا في مأمن
من عودة الحكومة الى تعقب آثارهم .

وبستطيع أن نكون صورة صادقة لتلك الحكومة مما ورد في ثنايا مسيرة
الشيخ من النوازل ، وهي صورة كافية لتبرير حق الشعب عليها ولتبرير أي
ثورة ثور على فساد حكمها .

وقد نال الشيخ حظا طيبا من التعليم المعتاد في زمانه فبدأ بدخول المدرسة
— أي المكتب أو الكتاب — منذ بلغ سن السادسة ولكنه لم يبدأ دراسة جدية
الا على يدلي أحد مشايخه الذين كان لهم أثر عظيم في نفسه وهو الفقيه
(الكرام) ، الذي استمر يتلقى التعليم على يديه الى أن مات وكان بأكبر قد
بلغ السادسة عشرة . وتلمذ بعد ذلك على فقيه آخر من أقرائه وهو الشيخ
الأزرق وكان يتلقى دروسه عليه في (مدني) .

وكان بأكبر في شبابه يتأثر بحساسية مرهفة تجتمع الى نفس ثورة ،
وكافت هذه الحساسية لا تجد متفنا تنطلق ثورتها فيه ، فكان يلجسا الى

التنقيس عن ثورته بطرق أخرى يصلحها لنا في صراحة .

حدث مرة أن دخل أحد الضباط الأتراك على شيخه ليؤاخذه على أمر من الأمور وانتهت المؤاخذه بأن طاقه بالجلد أمام تلاميذه . وكان أبكر حاضرا عند ذلك فيقول في صراحة : « فتجاوزت كذبا ورميت بنفسى على الأرض شاخص البصر عادم الحركة فعملوتى من الخطوة للمنزل وأنا أعرف كل من حولى من الجالسين ولكنى أتصنع الجذب » . ويذكر لنا بعد هذا أنه جسل يقول في حالة جذبته التصنع بعض أقوال ينص بها عن غيظه فتنبأ بأن ذلك الضابط سوف يقتل . ومن عجيب الاتفاق أنه قتل حقا في أثناء ثورة حدثت بعد عام واحد من تلك الحادثة .

ولم يتردد الشيخ في حديثه عن نفسه أن يورد بعض أمور كان غيره يؤثر أن يتجنب ذكرها . فهو أحيانا يذكر بعض أخطاء ارتكبها ويذكر بعض مواقف تهور فيها وجانب الاعتدال ، كما أنه يورد ذكر أحلام شتى كانت تتبادر بين حين وآخر ، وهى بنير شك مجالات وهمية كان يجد فيها تمسكا للقيام بأدوار لم ينعم له القيام بها في عالم الحقيقة . فهو لا ينفخ شيئا وإن كان مما يتخرج الناس من ذكره وليس أدل من ذلك على صدقه وتمحره الحقيقة في كل ما أثبتته في سيرته .

وما يظهر واضحا في ثنايا هذه السيرة أنه كان من أشد الناس تعصبا للثورة كان يضمر الثورة منذ صباه وشبابه ، حتى قبل أن يقوم المهدي بثورته فما كاد المهدي يعلن الثورة حتى يادر أبكر بمبايعة ، فلنخرج قليلا على هذه الثورة ، فهى من أكبر الحوادث وأعظمها دلالة ، وكانت مثار كثير من الأقوال واختلفت فيها الآراء ، وأنه لمن الانصاف لأهنا أن نتعرف حقيقتها وأن نلمح الدافع الذى حدا بالشعب بإبكر أن يسارع الى الانضمام الى صفوف المجاهدين فيها .

وقد مضى الآن وقت طويل على حركة المهدي وفى استطاعتنا أن ننظر إليها من بعيد ولعن في مأمن من تدخل المؤثرات التى تفسل أحكامنا . فما هى حقيقتها وما هى للموامل الدافعة إليها ؟ وما هى الأفراس التى كانت تهصد الى بلونها ؟

فلنعد بالذاكرة الى القرن الثامن عشر لنستعيد ما حدث فيه عندما بلغت

موجة الضعف الى حضيضها في الأمة العربية . كان حكام هذه الأمة يلهون في حياتهم الرخيصة ولا يبالون شيئا سوى سلطاتهم وكبرياتهم الجوراء وسخروا الأمة في اقامة حكمهم الذي غره الجهل والنفلة . كانوا يستغنون بالشعوب العربية ويهدرون كرامتها حتى تدهورت أحوالها من كل ناحية - في الحياة الاقتصادية والحياة الثقافية والاجتماعية وفي موقفها السياسي بين شعوب العالم ، وحاولت الشعوب مرة بعد مرة أن تتخلص من رقة هؤلاء الضعفاء الذين لا يقوون الا على الطغيان ، ولكن حركاتها كانت تنتهي الى الفشل لأن الطغاة على ضعفهم كانوا أقوياء على اخضاع حركات الشعوب المزلزلة . واتجهت أنظار دول الاستعمار في أوروبا الى العالم العربي في أواخر القرن الثامن عشر بعد أن انصرفت عنه طوال القرون الثلاثة الماضية ، عندما كانت مشغولة باستعمار بلاد آسيا وأفريقيا ، لأنها فطنت آخر الأمر أن اقتسامها لا يمكن أن تستمر في تلك المستعمرات الا اذا أمنت الطريق إليها ، وكان ذلك الطريق هو الوطن العربي المتد من خليج البصرة الى المحيط الاطلسي .

فما كاد الاستعمار يلص حكم الطغاة المتحكمين في الأمة العربية حتى انهار ذلك الحكم ووقعت الشعوب العربية في قبضة الاستعمار قطعة بعد قطعة .

وكافت سطوة الطغاة على أمة العرب ثم انهيار حكمهم أمام صدمة الاستعمار بشابة هزة قاسية ارتجت لها النفوس وثارت لها المواقف ، فتمركت عوامل الثورة في الصدور جميعا .

وكان تاريخ القرن التاسع عشر يمثل محاولات الأمة العربية في كل أوطان العروبة أن تنهض من عثرتها ، وأن تحاول أخذ أمورها بيديها بعد أن انصاح لها أن الطغاة الذين يتحكمون فيها لم يلباقوا عنها بل حرصوا على المحافظة على أنفسهم ومصالحهم وباعوا شعوبهم وبيعوا ضمائرهم وصاروا عبيدا للاستعمار . فنشأت حركات فكرية قسية في كل قطر عربي ، تمهد الى تبيينه وعي الأمة واعادة الثقة اليها وجمع صفوفها للجهاد من أجل حريتها ، والخلاص من حكامها الإذلاء ومن ساداتهم المستعمرين .

وانضمت هذه الحركات صورا شتى وهي جميعا تتبع من منبع واحد وتتمشى الى غاية واحدة . كانت تدعو الأمة العربية لاصلاح شؤونها وتنحوي

عليها باللائمة لانحرافها عن جادة الحياة الفاضلة وتحميلها مسئولية الذل الذي صارت اليه منذ تركت شئونها نهبا للثانين وعقولها نهبا للجبال : وكانت خلاصة الدعوات الجديدة ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وكانت هذه الدعوات جميعا لا تعترف بالحدود التي قام بين أوطان الأمة العربية بل كانت كل دعوة منها توجه الى الأمة العربية في أوطانها جميعا .

مكدا فطنت الوهاية في بلاد العرب وهكذا فعلت السنوسية في شمال افريقيا وحركة جمال الدين الأفغانى بمصر والمهدي في السودان . فلم تكن حركة المهدي سوى واحدة من هذه الدعوات التي كانت تهيب بالعرب أن ينفذوا عنهم غبار الهوان والتهاون ويحبوا لاسترداد حرياتهم ويستعيدوا حياتهم المجيدة التي كان يحياها أجدادهم .

وكان من الطبيعي أن يفتش الطغاة تلك الحركات ويحاولوا بكل الوسائل أن يخمدها ، وكان من الطبيعي أيضا أن تدفعهم أفتنتهم الى التعاضد مع الاستعمار في كثير من الأحوال للقضاء عليها في سبيل الإبقاء على سيطرتهم المزيفة . فتجرد الطغاة لاضداد حركة الوهاية في جزيرة العرب كما قاوموا السنوسية في شمال افريقيا . وكان جمال الدين هدفا لسطهم في كل مكان يستقر فيه . فلم يكن من العجيب أن يزعم الطغاة لحركة المهدي في السودان ويمثلوا بكل ما استطاعوا على اخمادها بالقوة . وقد كان شعب مصر في الوقت عينه يتحرك لاسترداد حريته بقيادة عرابي فأدى ذلك الى ما أدى اليه من ارتفاع الطاغية الذي كان يحكم مصر في أحضان الاستعمار كي يبقى على حكمه الذليل .

أليس من أعجب الجائبات مع هذا أن توصف حركة المهدي بأنها لم تكن سوى حركة علماء ضد شعب مصر ؟

انها لم تكن سوى لحدي الثورات الشعبية العربية التي كانت الأمة العربية في كل موطن تستنفذ فيها بنية استرداد حريتها . والتخلص من حكم طامعها . لم يعد خافيا على أحد في أيامنا الطائرة ان ثورة المهدي كانت موجسة ضد طغيان الحكم العثماني ومثله في مصر ، فهي موازية لثورة عرابي ضد هذا الحكم نفسه . وكان المهدي مثل السنوسى يأمل أن يعود بعد نجاح ثورته فيتجه الى الاستعمار الذي أصبح محيطا بالسودان من كل جهة ، بل صار يعد

مخالبه في قلب السودان نفسه في أشخاص مثل أمين باشا (شفيق النموسى)
 حاكم اقليم خط الاستواء وغوردون الحاكم العام في الخرطوم .
 فواعباً للاستعمار اذ يتدسس الى حكم مصر فيحتلها في سنة ١٨٨٢ ،
 ثم يقوم بالدعاية المريضة لافهار المهدي في صورة التائر على مصر وصورة
 المادى لشعب مصر ، وأعجب من ذلك ان تلك الدعاية وجدت قبولاً عند
 طوائف شتى أخذت تردد صيحة الاستعمار - بعضها من النية وبعضها حسن
 النية ولكنه واهم منتر . ويكفى في حوض هذه البهرة ما ثبت من براهين عدة
 ومنها ما قاله الشيخ بدرى في كتابه من ان المهدي كان حريصاً على أن يبقى
 غوردون حياً عند فتح الخرطوم ، فانه كان يطمع أن يقبض عليه حياً لعله
 يساوم به الانجليز الذين قبضوا على عرابى بعد نصرهم المختلس وقوه الى
 جزيرة سيلان . فلم تكن ثورة المهدي سوى ثورة شعب عربى سار وراءه زعيم
 دعوة من دعوات التجديد والتحرير وهي مثل سائر الدعوات تنعج الى الأمة
 العربية كلها بغير نظر الى حدود الأوطان . وإذا كانت ثورة المهدي قد ثمرت
 في الظروف التى أحاطت بها فهي مثل ثورة عرابى في ثمرتها بالظروف التى
 أحاطت بها ، وإذا كان أبطالها وزعمائها قد ذهبوا ضحايا في الجهاد واتزوى من
 بقى منهم عن الحياة العامة ، فلا نستطيع أن ننسب اليهم تلك الدعاية التى
 نشرها الاستعمار البريطانى في السودان على نطاق واسع بعد أن مد مخالبه
 الى الخرطوم بعد امتدادها الى القاهرة . لقد كان هم الاستعمار أن يلقى في
 روع شعب مصر ان شعب السودان يريد به الشر ويلقى في روع شعب السودان
 كذلك ان شعب مصر يريد به الشر . وهذا هو السر في كل ما خيم على العلاقة
 بين الشعبين من سحب قائمة طوال مدة الاحتلال البريطانى .

فلنمد الى صاحب السيرة لنواصل الحديث عنه ، فانه كان منذ شبابه
 الأول من أنصار ثورة المهدي . فذهب لمبايسته في أول عهده كما سبق القول ،
 وكان عند ذلك في صعبة والدته التى كانت تؤمن ايماناً عميقاً بالدعوة المهدية .
 ولعل يابكر الشاب كان متأثراً في حماسه لهذه الدعوة بإيمان والدته التى كانت
 عظيمة الأثر في توجيه حياته كلها . فهي التى احتضنته صغيراً وهي التى عنت
 بتربيته وكانت تفتخر بجله الفقهاء ليتلقى عليهم دروسه . وكانت تعنى بكل كبيرة
 وصغيرة تصل به ، بل لعله ورث منها حساسيتها المرهفة التى كانت تنهضها في

كل مناسبة . وكان الفتى يابكر يفضي إليها بكل أسرارها ولو كانت مما يندى له العجين خجلا ، ويلوذ بها كلما اشتكت عليه وطأة الحياة . فهي التي حملته على أن يهاجر الى مدني عندما وجدت انه يلقى عنتا شديدا على يدي معلمه في رفاة وهي التي اختارت له قتيها فاضلا من أقرانها ليكون أستاذاه فلم يكن عجباً أن يتدفع معها في حماسها للدعوة الجديدة بكل مافي قلبه من حرارة . وفي الكتاب نوافذ شتى تدلنا على مبلغ حماسه للمهدية ، وكان يتعرض بمد التحاقه بصنوف المجاهدين للسفن الحربية بغير ستار رغبة في الشهادة ، حتى اضطر قائله لفرقة أن يقيم عليه حراساً لمنع من الخروج للاستطدام بالسفن الحربية اذا مرت قريبا من موقعه . وقد دفنتمته العمامة الى التضحية بأموال الأسرة عندما ترك زراعتها وحمل أهله ذاهبا الى موطن القتال . وكان أبوه في صفوف المحاربين فسأله « كيف جئت ولن تركت الزرع ؟ » فأجابته : « تركته لله والجهاد أفضل منه » وكان عند حصار الخرطوم في مقدمة المحاربين في أقرب النقط من المدينة بحيث كان يرى السجارة المشتعلة ويسمع كلام المحصورين ليلا .

ولما انتهت ثورة المهدي الى الفشل وقف من بقي من صفوف الثوار وجها لوجه أمام حكم الاستعمار - وكان في ظاهره حكما مشتركا بين الانجليز والمصريين ولكنه كان في الحقيقة حكما استعماريا محضا . فاذا كان الشيخ يوجه اللوم في مواقف كثيرة للحكام المصريين ويدعوهم بأنهم كانوا أشد وطأ من الانجليز أنفسهم ، واذا كان يقول ان الحكام الانجليز كانوا أقرب الى الرحمة من الحكام المصريين الذين كانوا أولى بالرحمة ، فما ذلك الا شبيها بما كان المصريون أنفسهم يقولونه في مصر لاعوان الاستعمار من أبناء مصر . وهل شيء أشد في التبرع من أن يوصف المصري بأنه أقسى حكما من الأجنبي المستعمر ؟ ولقد كانت هناك خطة مدبرة للإيقاع بين المصري والسوداني . كان الحكام الانجليزي يأمر قائمه المصري بالتشدد والقسوة في تنفيذ أوامر الحكومة ، فاذا ما صدع المصري بالأمر خاضعا عنيفا ، وتظلم السوداني من جبروته الى رئيسه الانجليزي ، عاد ذلك فالتى الأمر الذي يشبعتكى منه السودكالي ثم عاد الى المصري فالتى عليه وزر العنف والتشدد . وكان يفعل كل هذا علنا حتى

تذيع أخباره بين الناس فتحملهم على كراهة أبناء مصر وسوء الظن بهم وبنواياهم
وانه لما يؤسف له ان مصر المحتلة لم تستطع ان تعمل شيئاً في مواجهة
هذه الخطة المدبرة . وقد أثر صاحب السيرة أن ينزوي بعد فشل الثورة في
زاوية بعيدة ، ولكنه اختار زاوية أقرب الى أن تكون كميناً يتخفى فيه لوثبة
جديدة ، فانه اختار التعليم ملجأً يستصم فيه . وكان يؤمن بأن قومه قد خسروا
الجملة الأولى وان عليهم أن يستعدوا للجملة الثانية عن طريق اكتساب العلوم
والمعارف . وكان يؤمن بأن التعليم هو المقدمة لكل نهضة ، ويؤمن بما آمن به
قاسم أمين من أن الأمة لا يمكن أن تسير على قدم واحدة بتعليم الرجال وحدهم .
وكان الشيخ شجاعاً في عقيدته فلم يتردد في افتتاح مدرسة لتعليم البنات على
رغم ما يعرفه مني تمسك قومه بالتقاليد القديمة التي حالت بين المرأة والتعليم
طوال القرن التاسع عشر في كل أنحاء الأمة العربية . وقد كنت في مناقشتاني
معه ألمح ما كان يلا قلبه من الآمال في مستقبل هذه الأمة وما كان يشرق عليه
من الاستبشار كلما ألمح قدماً في ركن من أركان الوطن العربي . لم يكن متزمتاً
ولا متعصباً ضد شيء مادام يرى فيه مصلحة لقومه ، وكان قومه دائماً هم الأمة
العربية . وقد كان له ما أراد ففرغ راية التعليم في مقدمة نهضة السودان
الحديث .

وبعد فانه من دواعي سعادتي أن تحققت لي أمنية كنت أخبرها في نفسي .
اذ كنت منذ عرفت الشيخ بابكر بدرى أرى فيه ممثلاً لمصر كامل ولحركة
ثورية كاملة مستمرة . وكنت آتمنى في نفسي لو استطاع هذا الرجل أن يكتب
تاريخ حياته بنفسه فتكون صورة واضحة لكل عصره ، فهو شيخ شهد مبداً
الحركة واستمرارها على مدى عشرات من المئين ، وهو لذلك جدير بأن يجلى
للأجيال القادمة حقائق كثيرة كانت جدية بأن تخفى عليهم . فلما زرت السودان
للمرة الثانية في عام ١٩٥٥ أطلعتني بحسبه الوقور السيد يوسف بدرى على
مجموعة من المذكرات بخط يد والده ، وكانت نيتي تنجس الى طبع تلك المذكرات .
فكان ذلك تحقيقاً لأمنية أخبرتها ولهذا كنت سعيداً أن أكتب هذه المقدمة
للكتاب ، مشاركة مني في الوفاء لصديقي الشيخ الوقور الكريم عليه رحمة الله

ومشاركة بنى في تجلية السحابة التي أثارها الاستعمار وأعوانه حول العلاقة
بين شعبى السودان ومصر وهما شعبان تشاركاً في الحياة على الوادى المبارك
منذ ألوف السنين وتشاركاً في الرضاع من نهرهما الخالد ، فهما شعبان أخوان
شقيقان رضيعا لمبان تجمعهما العروبة والمصالح المشتركة وسيولجهاان المستقبل
دائما بمون الله وهما سائران جنباً الى جنب •
فرغ منها يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٩

محمد فريد ابو حديد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقتي
أصدق التاريخ ما كتب في زمانه وصدق فيه كاتبه
وصدقه معاصروه - فيما روى

الميلاد

أخبرني والدائي اني ولدت يوم الخميس غرة صفر الخير سنة ١٢٧٨ هـ ولقائل يقول كيف عرف والدائي الأميان تاريخ ولادتي باليوم والشهر والعام فالجواب ان تاريخ اليوم والشهر كل امرأه في الغالب تعرفه بالحوادث الهامة في نظرها . وأما العام فان والدي جعل الأساس الذي جعله مبدأ هو زيارة الخديوي سعيد باشا للسودان وتاريخ هذه الزيارة أنه دخل الخرطوم يوم ٢٣ ربيع ثاني سنة ١٢٧٢ و ١٦/١/١٨٥٧ وكان بين هذه الزيارة وولادتي سبع سنوات تأيست فيها والدتي خمس سننولت ووضعت أحتي التي ولدت قبلي بستين - ولدت من والدين أمين في التعليم وفي الأزواق حينئذ ولدائي ولكنهما غنيان في الأخلاق في حاتني يؤسهما ونصيهما والحمد لله «مذكورائي» مما وعيت مما أذكر لبن رضاعي على اني مارضعت أكثر من ستين أذكر لبن الثدي يأيني من فتحات صغيرة متعددة وهو رقيق وطعمه فيه حلاوة . ثم أذكر المنزل الذي كنا به بنهر أتبرة وعمرى اذ ذاك لا يتجاوز ثلاث سنوات وأذكر أنه في آخر سنة ثلاث وثمانين تغيب والدي وحصلت لنا مجاعة وكانت المجاعة عامة ان سميدا أخى من والدتي - يطلب لنا الصمغ في ثوبه لتخلطه والدتي مع دقيق الذرة وكنت آخذ ما يبقى في ثوبه مما يلتصق بقمي أكله كذا . ثم أذكر أن عمي محمد على حمد السيد أخذنا لرفاعة وحينما دخلنا المدينة وكان يعملني على كتفه فهرش فينا كلاب فوضعتني على الأرض ليضرب الكلاب وعمرى لا يتجاوز الأربع سننولت وما زلنا برفاة الى أن تزوجت بها .

اسمحوا لي أن أذكر هذه الحكاية وأن كانت خارجة عن تاريخي . سبق أن قلت أن والدتي تغيب منا وعن باتبرة هـ كان في غيبته هذه ضمن سبعة رجال ذهبوا للخرطوم وما بعدهم للتكسب كلهم رباطل وأعلنهم يدعى للمأوى

وكان أن حصل اتفاقاً أن سبعة من الرباط طلب أحدهم يدعى الماسح أن يحرقوا غابة الحكومة بالقراصة قبلى الخرطوم فنشرت الحكومة للنظار في تلك الجهة أن يمتنعوا عن هؤلاء الرباط ومن ضمن النظار ناظر السوق محمد عبد القادر ولد أمي دبل المحسى عمر في مروره سحرا فوجد والدى ومن معه بطاقة الثمانيات فالتفت في أحد خلوات الضيوف فحسبوهم وهم قيام فنبهوا أحدهم فسأله عن اسمه وكان صديقه هو الماسح فسأله عن جنسه فأجابهم : نحن رباط . فقالوا هم هم والله فالتفتوا التفتض عليهم وأرسلوهم للخرطوم باسم الذين حرقوا غابة القراصة فوضعوهم في السجن مدة شهر كامل وتركوا البحث عن الطائفتين فعلا وكان المدير إذ ذاك أحمد بك أبو سن الشكرى وكان كل جمعة تعرض عليه المساجين طائفة طائفة بحسب جنائياتهم فيسأل عن جنائياتهم فيجيبه المأمور هؤلاء أهل تهمة كذا فيأمر يردهم للسجن فإذا وصل طائفة والدى ومن معه يقال له هؤلاء الرباط الذين حرقوا غابة القراصة فيردون للسجن حتى تغيب أحمد بك أبو سن في مرور وعرضوهم على معنى بك السورى وكيل المديرية الذى كان يقول للمأمور عند كل طائفة أين ورقمهم حتى وصل لوالدى ومن معه فسأله عن ورقمهم فقال لم يعمل لهم تحقيق فحسب من ذلك والتفت اليهم قائلا : حقيقة أنكم حرقتم غابة القراصة فقالوا له : ما هى القراصة ؟ قال البلدة التى على بحر أبيضى قبلى الخرطوم - قالوا : نحن ما وصلنا الخرطوم الا للسجن لأننا جئنا من الرباط فقال لهم : ما علامة أنكم جئتم من الرباط فقدم أحدهم « سركى الوصل » الذى دفع به الضريبة وهو الرباط فوجد معنى بك أن تاريخ هذا الوصل بعد حادثة حرق الغابة - فقال لهم : هل تجدون أحدا يضمنكم ؟ حتى نتحقق من رياءكم فقال له المأمور نطلب الشيخ السعيد والد مولى بك شيخ الريح بمدينة الخرطوم لأنه رباطى فإذا عرفهم وضمنهم فترك سراحهم فجاء الشيخ السعيد وسألهم فلما سأل والدى قال له أنا ولد حاج الصادق ولد الطبيب - قال له انت ولد بدرى ؟ قال نعم . قال هل تعرف هؤلاء كلهم ؟ قال نعم . فوضع ضمانات عليهم وأخذهم لمنزله . وفى اليوم الثالث قال لهم انهبوا حيث شئتم فذهب والدى لرفاعه ونحن بما فى تلك السنة سافر لكر كوج ورجع غنيا فزار الشيخ السعيد بالخرطوم وأعطاه كسا قابل ثلاثين رويالا - وقال له أن شاء الله ما تكون الحكومة أمتعتك كثيرا لفيابنا .

فقال السعيد أنت ياود بدرى من زمان مت قال وكيف ذلك قال له السعيد منذ
سافرت أنا حرت كلما مات رجل فى ربيعى أعرضه على الحكومة ياله أحدكم
حتى آمنت السبىة رجال كلهم ماتوا وحجتى ضغط السجين وتغيير الهواء
فشكره والذى متجيبا من جرأته وخفلة الحكومة . أليس مثل هذه الحكومة
تستحق الزوال ؟ وانشاء حكومة رشيدة يفظه نعل مطها .

خلوة الفقيه الكراسى :

ادخلونى خلوة القاضى الطيب لأنها بجوارنا ولم أستخدم منها شيئا لإهمال
الفقيه بها أو لصغر سننى التى هى أول السادسة حتى قالت المفتية حين ختانى
فى آخر بيت « الكسر منينات اللين فى الخلوة » ثم قلت لخلوة الرجل الصالح
اليقظ المخلص فى عمله الفقيه أحمد حامد الشهير بالكراسى سنة ١٢٨٨
واستمرت عنده الى أن توفى سنة ١٢٩٥ حيث أمرنى بمرضه وأغلبه كان
مصايا بالعلمى السوداء لأنه يتبول حما وأمرنى بدفنه بعيدا عن الناس فى حفرة
عميقة .

اسمعوا لى إن أذكر عن هذا الرجل ما أعرفه عنه اداء لواجبه على . كان
رحمه الله فوق السبعين من عمره على أنه قوى البنية يمشى بخلوته الى الساعة
١١ مساء حيث يتم تلافيده سبع القرآن فيتوجه لاحدى زوجتيه ويرجع
للخلوة فى أو قبل الساعة ٤ صباحا أفرجيا أو الساعة ١٠ مساء عرييا (على
الاستواء) فيثيرها فنوقد النار بالنوتجة وتشرح فى القراءة للمرضه وهو
ينخل فى مخزن الخلوة يستحم يوميا ومعه تلميذان يقرآن عليه لوحيهما
ليحيها بعد هذه القراءة ويكتبان غيرها فتستمر المرضه (قراءة الألواح
حفظا) عليه تلميذين حتى يفرغ من اغتساله - فيخرج فيجلس على
عقره (سريره) والمرضه مستمرة حتى يسفر الفجر فيأمر باقيايم للوضوء
فنصلى الصبح ولتستأنف المرضه حتى تفرغ ومن سمعوا منا يصحون ألواحهم
ويكتبون فيها من رؤوسهم لأبهم قد سبق فحفظوه عصر اليوم الماضى وبعد
الكتابة يصحون عليه هاكتبوا مثنى مثنى هؤلاء الكبار أما المتوسطون فانه
يجلس أمامهم ويلى عليهم ما يكتبون فى يومهم هذا غيا عن راسه والصفار
يكتب لهم الألواح بنوى التمر ليكتبوا عليه نوحا على الكتاباتوتعسينا للفظ
وكل هذا يجرى يوميا لا يخله عمل عن عبل لا فى النظام ولا فى الصحة -

ومما أذكر أني تساهلت يوما في حفظ لوحى وكان : « ولا فتحوا متاعهم » في سورة يوسف عليه السلام في وقت المشاء فلما حضر الفقيه . سحرا واجتهدت في حفظه حتى جاءت نوبة تسميى ظننت أنه لا يتبته لى فمحوته وكتبت فلما دخلوا وعندما قرأته عليه ضحى الفد للصحة سكنت الى أن ختمته بقولى « أنه هو العليم الحكيم » - قال لى تعال يا العليم الحكيم - أنت عرضت على من ؟ فقلت له عرضت عليك يا سيدنا فقال متى ؟ قلت وأنت تستحم فى المخزن - قال أنا دخلت للاستحمام وكان يقرأ فلان وفلان ثم يملهما فلان وفلان وبعدهما فلان وفلان وخرجت وهما يقرأن قبين - أى هذه اللدغ أنت عرضت لوحك ومن كان معك فقلت يا سيدنا يموت الفكى ويموت أبوى أنا عرضت - فقال لى تموت أنت أمشى أمشى وتعال - أكتب ما محوته فذهبت ومحوته وكتبت سطرين مما محوته فأتضح أمرى ففترنى على الكذب وأملانى لوح - ولما فتحوا وحكم على ألا أبرح الخلوة حتى أسسمه إياه غيايبا أى أعرضه عليه وفعلنا حصل ذلك . ومع أن حيران الخلوة يفيضون على الأربعمئة طالب ليس له منهم ساعد ولا من غيرهم . كان رحمه الله لا يالى بأهل المال ولا أهل الجاه ولا يقبل هدية من أحد ولا يسمح لأحد أن يخدم تلاميذه فى بلاده ولا منزله كغيره ولا يستخدمهم هو وقد رأيت الشيخ عوض الكريم أبو من وهو ناظر الشكرية جاءه زائرا وكان راكبا حصانا فوقف عند باب زوية الخلوة فقامه الفقيه ابراهيم وقبع الله فقال الشيخ عوض الكريم ألى زائر الفقيه أحمد الكراس وجاء الفقيه وقبع الله المسالم لشيخنا والحيران يصحون ويكتبون فقال الفقيه ابراهيم وقبع الله : يا فقيه أحمد الشيخ عوض الكريم جاء يزورك . فلم يلتفت له فلما رأى الشيخ عوض الكريم عدم قيام الفقيه أحمد من عنقربيه ترجل من حصانه ودخل المسجد راجلا حتى وصل الفقيه أحمد وصافعه وجلس مكانه مشتغلا بعمله والشيخ عوض الكريم جالس بجانبه فلما طالت المدة طلب منه الفاتحة فصفق الفقيه يديه علامة للسكوت وطلب الفاتحة من كل الحيران وودع الشيخ عوض الكريم حتى ركب حصانه ورجع فأب الفقيه أحمد على عدم استقباله للشيخ عوض الكريم كما يستحق فكان رده عليه بمبارة

الزجير « يازول هل ربنا ياتنى عن مجاملة الشيخ عوض الكريم أو عن اصلاح
ألواح الحيران . »

عادة فقهاء الخلوات يفزعون حيرانهم للنايات يومين من كل أسبوع
ليكثر الخشب عندهم لبيعوا منه لحيران الخلوة ويستعملون منه في منازلهم .
أما شيخنا فكان جمع حطيه سنويا من البحر زمن الفيضان فحينما يسمع
(أن البحر^١ رامي) هذا اليوم يأمرنا بالتوجه للبحر - الكبار منا لجلب الخشب
من بطن البحر والمتوسطون يتناولونه من الشاطئ والصغار يحملونه للخلوة
ولدا يكتب لكل واحد اسمه بخطه للمتوسطين على الذراع والصغار على
الساق وبعد رجوعنا يقتضى سطحى ما كتب فمن وجده أضاع العلامة جلده أو
منعه من التوجه مع أخوانه للبحر هذا أفكى للولد . كان رحمه الله يمنعنا من
عادات الخلوات المؤدية للدعاة كالشحة بالشرافة في السوق أو في المنازل
وكالسعى لمآثم الأموات لتاكل لحم الصدقات .

مكثت في الخلوة سبع سنوات لم ينجب حيراته لمآثم عدا مرتين ماتم
الشيخ على أبو سن ومآثم الفقيه ولد عون الله قريه . ما رأيت له عملا يدينى
الى الدعاة الا أنه كان يقسم لنا كرامة العائد أو المنتهى في أيدينا لكثرتنا .
كان لا يستعمل كالتقهاء آلة الفلكة ليضرب الولد على راحة رجليه بل كان له
سوطين أحدهما قصير يسمى « الجدوه » من جلد القرتيه (فرس البحر)
والثاني من جلد البجير يسمى « القروطق » مربوط في خشبة وكان مريح الجلد
يسك بتلايب الولد بثوبه ويجلده بالجدوه فلذا رأى الولد اشتد في الجنب
طلقه فيقع الولد على الأرض فيسرع كالساوى يضع الجدوه ويأخذ القروطق
ويستمر في جلده والولد يحف حايا حتى يتمد عنه وكان رحمه الله ميالا
للقاب أكثر من الضرب حيث يقول سليمان خلف الله :

حزان الجدوه دابر الشرف والقوت^٢ وقالت مرتبتي أنا أخير من صوت
مقايلة الفكى بالمر أخير الموت والمشرين تحلف تقول^٣ قد صوت

(١) اصطلاح معناه حبالا خشبيا

(٢) التفوق

(٣) قد بمعنى واحد أى سوط فرد

. كان رحمه الله يقرأ القرآن كل ليلة مع كثرة عمله وكان طالب علم إلى أن
توفاه الله رحمه الله واسعة أضاف أضاف عمله الصالح .

حصلت على القرآن في سنة ١٢٩٧ بعد موت التقي أحمد الكراس
ذليت عوده المروق على التقي الجابري الذي كان يجتذبه كل اليوم لا يأكل
ولا يشرب وأحيانا يكون مفتوح العينين . ثم اشتعلت بقرأة العلم على التقي
يوسف محمد نعمة أحد العلماء يرفاه مع تطيبي القرآن لبعض الصغار بخلوة
أحد جيراننا وقت فراغي . أتذكر أنه قد جاء على كاشف أحد الضباط الأتراك
فجلد شيخنا التقي أحمد نور ياسين المنتقد دينيا لسبب أهله وغضبت وقلدت
شيخني ولد الجابري في الابعذاب فتجاذبت كذبا ورميت بنفسي على الأرض
شاخص البصر عادم الحركة فحملوني من الخلوة للمنزل حيث وضعوني على
عنقرب وأنا أعرف كل من حولي من الجالسين ولكنني متنعج الجنب - فأتكلم
كلام الانسان المجنوب كما سمعته من شيخنا .

ومن العجيب أني قد صرحت فيما قلته أن على كاشف سيقتل في قرية
أبي شوكة فضلا بعد عام قتل على كاشف في ثورة حصلت بطة أبي شوكة .
تذاكست مرة مع أحد يدعي محمد الشاطر نسيه فأقسم التقي محمد
الجابري بضرتي مائة سوط على رجلي بسوط العنق بالقلعة فجعلت أصرخ
إلى أن ذبح صوتي وكلمة أنه من يشفع قول : « عز الله في ملكه » لا يتركني
حتى يتم المائة . فلما أنماها ماقدت أصرخ فجاء أهلي رجلوني على حمار وصار
الكثير من الجروح حتى فيما الجوانه بالمسلى المظلي حتى شفيت ورجعت للخلوة
وأظنه كان مجنوبا عند توقيعه هذه العقوبة لأنه كثيرا ما يجنب .

مما أتذكر عن الحياة العامة أنه قد ضاع مني ثوبي بالبحر فاحتلت
وسرقت ثوبا كبيرا من عبيد كانوا يملأون الأحواض في بئر بقرتنا ونهبت
للخلوة فلما رأى حمزه السوارابي الثوب الكبير قال لي « الأحسن قطع منه
بقدر ثوبك وترمي الباقي . »

حكاية الكجورية :

سرق (قرن خمري) من أم طبول أختي وبعثنا عنه ولم نجد فاقترح

(١) قرن خمري نوع من القماش المزدكس تلبسه نساء السودان كزار

أحد الناس أن نذهب للكجوربه (علا ٢ منه) نسألها لعلها تكشف عن حكاية الثوب المروق أو من سرقة فأفكرت أنا عليهم ذلك بقسولي هل إذا قالت الكجوربه أن بابكر هو الذي سرق الثوب يكون حقيقة - فقال أخونا مرغنى شكاك نمتحنها أولا بسؤالها عن أشياء معروفة لدينا فإن أصابت فتمتد كلامها وعليه نسألها عن اسم أمى فهى غريبة وماتت منذ زمن ولا يعرف اسمها الا القليل من عائلتنا فقبلنا رأيها وسرنا فحوصها فلما دخلنا عليها وجدناها تأكل كسرة بروب فى قرعه فسلمنا عليها وقالت لنا « أموته » ما موجودة فجلسنا حولها وبعد برهة استمع لونها وصرخت صرخة عالية ثم قالت « أموته جات » فاداه أخونا مرغنى قائلا « أموته » فأجابه صوت من داخل بطن « عظامنه » (حبابك يا مرغنى ود كسبه) وكان كسبه هو اسم أمه فعند ذلك سررنا وبدأنا نسألها عن « القرن الضرى » فقالت أخذته فلان ود فلانه ولباه لفلانه وذهبنا لها ودفعنا لها المبلغ الذى اشترت به القرن وردته لنا .

وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه وقد هيئت لى الأسباب فى يوم ما حينما أخذت قصبه من سقف الخلوة (غرفة الضيوف) لا يرضا قلما فاطن نزل بمضى الفبار على عى محمد أحمد شكاك الذى خرج على وأوجنى ضربا موجعا بلا شفقة ففضبت والدتى التى لم تتعود الغضب وأدخلت لى كتبى فى شنته من قماش وقالت لى أمشى لمدنى . اقرأ على عمك الفكى الأزريق فلذبت من ساعتى برجلتى فأدركت آخر سوق السلمية فوجدت للحط وجلين على حمارين ذاهبين لمدنى فتملقت فى حمار أحدهما وبعد برهة سألنى : أين أذهب ؟ قلت لمدنى اقرأ العلم على الفقيه الأزريق قال لى : أحفظ القرآن ؟ قلت نعم . قال لى اقرأ « ورد الله الذين كفروا بغيظهم » قرأتها عليهم فأردفنى على حماره وقال : يا ولدى الحكيم قال لولده احفظ القرآن فانه لا يرميك وإذا رماك يرميك على برش وتعلم العلم فانه لا يرميك وإذا رماك يرميك على سرور فسررت من الرجل ودعوت لهم بشير .

(٢) اسم متعارف بين الجوارى ودائما تسمى الجارية بنت يفساف الى سيلها « تام زينه » « قرجه قريب » وهكذا

مسجد الفكي الأزرق :

وصلت مدني والتحت بطلة العلم وقرأت السنوسية بشرح ولد بقادي وشرح ولد عيسى والجزيرة بذكره في التجويد والعزبة بمسجد الباقي وهذا أهدها لي شيخنا وكان يخطه رحمه الله .

اسمعوا لي أن أحكي حكاية حصلت بمدني (الأولى) لعفني ابراهيم مصطفى الذي كان وكيل الفقيه محمد ولد الجايري الذي ذلبت عليه عودة بعد وفاة شيخنا الفقيه أحمد الكراس وكان ابراهيم محترما عندنا ومعه أحمد عثمان وكلاهما قريبي من ناحية والدتي وهما فقيران فصار أخى سعيد يرسل لي في كل يوم أحد أو يوم أرباء قرشين أو ثلاثة قروش وكلما اشترينا فاكهة تمرا أو بطيخا أو كفا أو نحو ذلك أضع الثمن مني ، ففى بعض الأيام هز معي ابراهيم مصطفى فاقست نفسي واشتملت غضبا خلاف عادتي معمينا كنا يرفاعه فبحثت عن سبب هذا الانقلاب فما وجدت له سببا غير أنى منيت عليه بما أصرفه عليهما فأخضت باقى هودى وكانت أربعة عشر قرشا ودمجه واحدة وذهبت لشيخنا الفقيه وقلت له أنى أخشى أن أتكبر على اخواني فاستلم منى هذه النقود - فاستلمها وحفظها الى أن مر علينا والدتي من كركوج بمدني فطلبني الفقيه أمام والدتي وسألني الفقيه كيف تأكلون يوم الأحد والأربعاء ؟ فقلت دائما نأكل لحما ومسكا وباقى الأيام نأكل الملاح . قال لوالدى : هل في رفاعه أكلكم خير من هذا ؟ قال لا والله فأخبره بمسألة النقود وسلمها إياه فشكرنى والدتي على هذه . فلذلك عندما بدأت المدرسة يرفاعة جعلت أبعث عن مصاريف التلاميذ الغريباء الخصوصية وأسلمها لمخصصين من المعلمين وأجل لكل تلميذ مذكرة يحفظ فيها حساباته أثناء السنة بمد تصديقى له بمد المناقشة وما يلقى له تسلمه إياه عند العطلة ليشتري له هدايا لأهله .

كنا - ونحن بمدني - فذاكر الدرس قبل عرضه على الفقيه كل يوم أحدنا مدرسا والباقرن تلاميذ وما تختلف فيها من المسائل فعرضها على الفقيه ففى بعض نوبات تدريسي شرحت لهم قول ابن عاشر (إذ مجزأهم كقولهم وير - أن قصده وير الجمال أى الصوف الناعم فلم يتروضى أحد منهم فلما

قرأها شيخها قال أن معجزاتهم كقوله جل ویر تعالی صدق هذا العبد فی کل خبر فضحكنا کلنا فبدأ ینضب فأخبرناه بشرحی فصحك حتی أدمعت عیناه وكان کلما رأنی منفردا یذكرها لی .

أول بیت قلته شعرا بمدنی حیث كنا نشرب قش الشیخ سجارا کشیخنا فقلت لأحدنا :

منك السجار ومنی النار حاضرة

الشیخ منك ومنی الشرب والکیف

وهذا سلخا من البیت الشهیر :

منك الدقیق ومنی النار أوقدها

الماء منی ومنك السمن والمسل

نبذة عن تاریخ شیخنا الفقیه محمد الازریق :

قرأ القرآن وبعض معلومات فی الدامر ثم رحل لدنی بواسطة عبد الله الذي بنى له مسجدا مرکبا من غرف ومنزلا بجوار المسجد وذلك سنة ١٢٧٥ هـ وفى عام ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٦ م جاء المرحوم جعفر باشا مطهر والیا علی السودان وكان عالما محبا للعلم وأهله فحصل للمساجد بالمدن الکبریٰ مرتبات بالامتحان فلما قصد مدنی وجد بها لجنة العلماء وتقدم کثیر منهم ومن ضمنهم الفقیه الازریق الذى أخبرنا أنه ضمن أسئلته له فی باب المسافات فأجاب . فقال له جعفر باشا : غلطت یا مولانا فی هذه المسألة فرد علیه التقیه بقوله : اذا كنت غلطان فالشیخ خلیل غلطان فقال له الباشا عندك شارح خلیل قال عندی منه الدسوقي والزرقانی والغرضی فأمره باحضار النص من الثلاث حواشی فأحضرها من کل حاشية كراسا فلما رأها جعفر باشا متعنة الخط قال له صدقت ولكنى أرى هذا الخط متفق فی التیلافة نسخ فقال له التقیه نعم وهو خطی فقال له الباشا متی وكيف كتبت هذه الحواشی قال حیثما كنت طالبا أطلب من الراجل المعنى الراغب فی کتابة أحدهما یحضر لی ورقا یکفی لنسختین ویحضر لی الکتاب الذى أقل منه فأكتب نسخة لی ونسخة له فقال هل منكن نرى هذه الکتاب ؟ قال هل یشرطنا مساعدة الحکمدار أو تنقلها له هنا فقال له الباشا : کم مجلدا عندك یخطک ؟ قال له ثمانون مجلدا فنهض الباشا ومن معه الی

مسجد النقيه الذي تشر لهم الكتب فلما رأها جعفر باشا قال : هذا هو الامتطاء القلبي وجعل مسجد النقيه هو المسجد الذي يستحق المرتب فصار يأخذ الى أن قطعت المهدية التي كان غير مرتاح لها .

ظهور الامام المهدي :

اشترينا مرة بطيخة ووجدنا على كل حبة منها خطوطا قرأ على صفحة الحبة لا اله الا الله وعلى الصفحة الأخرى الخط مقوم ولكن ممكن تجميع منه كلمة محمد والباقي مقوم فأخذت حبات وعرضتها على شيخنا قرأ الصفحة الأولى ثم قلب الحبة وقال لي ما هذا قلت هذا محمد قال والباقي قلت طبعاً يكون المهدي قال ولماذا لا يكون رسول الله قلت رسول الله لا يحتاج الى معجزة في هذه البلاد الاسلامية قال لي آله في الأرض ثم اضطلع وقال : آه ياولد نكتوت الذي شبع الناس موت « فغضبت جداً ولكن لهيئته لا أستطيع أكله رغم اعتقادي في المهدي الذي كنت أعرفه حينما كان يزور رقاعة كثيراً لوصال أقاربه .

وقد رأيت مرة رؤيا وهي اني وجدت لوحاً مكتوباً فيه كلام رجز ميمى كنت أحفظ منه شيئاً وفي آخره يقول سليم في نزل من حميم وتصلية جعيم ثم رجز آخر يأتي آخره معبد الازريق في عيشة راضية في جنة عالية فلما قصصت عليه هذه كان متكاً فجلس وقال قاتلك الله يا سليم لم تقتلني ثلاث مرات واتكأ كما كان فلم يكمل ذلك الامام حتى قتله عبده سليم ذبحاً فمرف سليم وقتل به وجهه الله .

وكان من قوله في المهدي عم ما أذكر من قصيدته : —

الحمد لله شديد البطش يدع الأحوال مجيد العرش
مكور الليل على النهار بدون أعوان ولا أنصار

ومنها : هي

أن تنزل اليأس من العذاب على عتاة فرقة الأعراب
اذ غرهم شغف الجزيرة أبا بكوته المهدي أبا الله أبا

فلما وصل خبرها المهدي عم قال سامع الله أخانا النقيه الازريق ما يعرفنا

الا بشخص الجزيرة أبا • ثم لما وصل أمراء المهديّة الجزيرة يطلبه نصر آخر
الأمير أبي فرجة يمد ما قتل العالم ولد القبة بالمسلمية ويهدده بالقتل قال له
الغني الأزرق • والله يا ولدي أن عمري في السبعين وإن قتلتني فتبوء بأبي
وأنتك لا ياتي عندي ثم هاجر إلى المهدي بقصيدته التي منها :

فاول الظهور من بطن أبا بالسيد المهدي نجا الله أبا
وفي آخرها :

منعد الأزرق وابن الطاهر يرجو الفو من عالم السراير
مؤملا بالصنفح بالتول وبأبي السبطين والرسول
من كل ما جئت من انكار ولست شافلا به أفكار

وهاجر بها إلى المهدي بالرهو وكان والذي معه فقال والذي سألتو المهدي
راكب على جملة يبيع الناس فقلت له يا مولاي أنا أمي وأنت عالم هل اعتقد أن
هذا هو المهدي المنتظر فقال لي أنا لا أعرف ما أقول لك بخصوصه ولكن ياود
بدي • وقبض على لحيته قائلا : يلكوكم الإنكليز فرجع من هجرته وذبحه
سليم رحمه الله رحمة واسعه •

رجعت من مدني على الأارجع لها وثيغنا مسجد عامر بالطلبه وذلك
لأن الشريف لحد ولد طه تحرك ضد الحكومة بأسم المهدي وكانت قرنته
قريبه من رفاهه فأخذت أعلن الشفقة علينا وأرجعوا رغم رغبتنا ورغبة شيخنا
في البقاء بمدني وذلك لأن الشريف لحد طه قتل عساكر الحكومة مرتين وفي
المرّة الثالثة انضم للحكومة الشيخ عوض الكريم أبو سن والشيخ حمد النيل
المركي اللذان نصحا للشريف ليسلم فرفض وقتل فعلا حيث كتب للمهدي في
آخر جواب للشيخين عوض الكريم أبو سن والشيخ حمد النيل يقول (قتلتهم
ولد طه خذلة الدين ونصرة للكافرين فلتعلن بآء بمدني •

رجعت لرفاهه وفي أثناء وجودي بها تزوج أخي سعيد آمنه بنت الحاج
الحسن ففي يوم أردت زيارته فمسررت بيوت جارتها زهيراء فأمرتني
بالمرور عليها وهي راقدة فسنالت لي بطي توجسني فأعزم لي يا فكي
بأبكر فلما قبضتها بأصبعي اقلبت فوق وركي وغنجت فدفعتها عنى ومضيت
لسيلي ولما رجعت لتزلي صليت العشاء اماما ولما اضطجعت للنوم غابتنى

نسمى بالمسير لزهره وغلب على الهوى فوصلتها وجدها منفردة فمرت جدا بدخولي عليها ومكنتني من نفسها ثم قالت لي من اخبرك اني زانيه قلت انت نفسك اخبرتني فضحكت . في تلك الساعة ضرب بابها على محمد على حميد السيد فخرجت له وبعد ان عرفته سمعت بصوتي : - قال لها من عندك قالت له . التميم اخوى فانتظرها لابسا للخروج قالت الى أين قلت هذا على وقد يجيء غيره فانصرفت

اخبرت والدتي حينما أصبحت بكل ما حصل مني ومن زهره وعمي محمد على فأخذت والدتي تكرر قولها في آفي^(١) وحياة محمد سعيد هي تعمل عمل « قلبه » (فرس البحر) مع وليدها وتغل (تبصق) في الأرض ولكنني لم أرها - أي زهره - الا بعد رجوعي ووالدتي من أخذ البيعة على المهدي « عم » فزارتنا ومدت لنا يدها فأبيت أن أصافحها فقالت « تندخلك » تعجبا مني وانكارا على وعلى عهد الله لم أدق امرأة غيرها .

في هذه الفترة رجعت أقرأ على النقيب يوسف محمد نعمة حتى ظهرت المهديّة بالحلّالين حيث لبى الشيخ محمد البصير طلب المهدي عم وشق عصا الطاعة على الحكومة بقتلهم العسكري في سوق الحلّالين وقطع سلك التلغراف فمرض الشيخ عبد الله عوض الكريم يرفاهه رغم والده عوض الكريم أبو سن بالبطانة مع الحكومة فليست البجة وأخلصت للمهديّة كوالدتي ظاهرا وباطنا رغم أن والدتي ومشايخي كلهم مرأون ظاهرا فصرت أتعرض للوابورات دون سائر رغبة في الشهادة فلما علم الشيخ عبد الله الأمير تعرضي لها جعل على حرسا حتى تمر الوابورات وكان الشيخ محمد البصير طلب من الشيخ عبد الله حصار قيقر صالح بالشرق بمن معه وكان الشيخ عبد الله أظنه غير مخلص في أول مرة فيأمرنا بالتوجه ويتقدم معنا ثم يقول لنا أعرفوا مروا بحلة الرياب وتساووا الرصاص ما يأخذ الناس مع أنه بين الرياب وفنداسي مسافة ضعف المسافة بين رفاعه والرياب فلما رأيت ذلك ذهبت لأبدي أحمد ولد البصير الذي حضر من المهدي وحاصر معه بالغرب وحضرت موقعتين لحدادهما هجمنا حتى قلنا بعض

(١) في اسم صوت معناه واحمرته

(١) تبالك

شوك الزرية ولكن الوابور هاجمنا من جهة البحر فرجعنا تاركين وراءنا أموالنا ومنهم ثم أن محمد البصير سمع بأن الشيخ عوض الكريم جمع العسكرية وجاء ليحتل الشرق قبالة قيقر صالح فضبط على عبد الله الذي سبق والده واحتل شرق القيقر فلما رأى صالح ذلك أرسل للشيخ العبيد ليحضر بنفسه واسطة الحلولين ليقبلوا شروط صالح التي يرضها عليهم للصلح وفي الباطن يريد أن يحفظه معه بالقيقر فيأمن عادة المركين بالشيخ حمد النيل وعادية العسكرية بعد الإله وأبى علقه وعادية المسلحة بالشيخ العبيد وأخذ طريق الشرق إلى الخرطوم فلما حضر الشيخ العبيد أرسل له الوابور ليدخله بالقيقر فقال جملة المأثورة — انا ترن ترن؟ عند القيقر حرن — أنا ماني فار بنخل (الجحار) وماني صبر بنخل الققر أنا ودره المايربط النية أنا ماني مثل ولد الطريفي (حمد النيل) — جاء يتفولج جاب ضقلها يتلوع ان سلمت سلمت واما سلمت باكر ييجي أبو قرجه وقيقر الهرجه ورجع الشيخ العبيد لرفاعه فلما وصل أبو قرجه ومعه المدافع قدم صالح وأرسل للشيخ العبيد فرجع من رفاعه وحصل التسليم على يده وسافر صالح وسنلجكه ومن معهم للخرطوم والطفاية وتوجه أبو قرجه بجيشه فحاصر الخرطوم وصارت كل الجزيرة خاضعة للمهدية عدا الخرطوم ومنار .

هجرة تنا للمهدى وحصار الخرطوم :

أخذت والدتي كطلبها الملح وهاجرنا للمهدى بشوق وأخلاص عظيمين (لأنى كنت رأيته) وأعتقدته حينما كان يزور رفاعه لوصول أقاربه ومعه تلاميذه نأثروا الوجوه نظفوا الثياب منظفوا الأذكار وكثيرا ما كننا ونحن طالبوا علم قصد منه صلاة المغرب لنسمع قراءة الخشوع منه وقد قرأ سورة القارة مرة في الركعة الأولى فحينما قرأ «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» صقع وخر مغشيا عليه فتقدم قيقره من حيراته وأتم الصلاة بالناس وأنا منهم فلم يصححنى بارحناهم . هاجرنا أنا ووالدتي ومعنا خالي باشا الذى غير اسمه

(٢) ترترن اسم صوت بمعنى امتنع عن السير وقيقر هو الشاطيء وحرن توقف النية الشيء الغير ناضج من طعام أو عمل — يتفولج بمعنى يحاول العلاج والفضل هو الولد طر فشح من كان يشبهه

المهدي عم الى محمد يوسف فوجدناه بديم الحنيك أو في الديم الذي جنوبه وفي الفيضان خرج جيش الخرطوم بالبر والوابورلت بالبحر على أبي قرجه بديم برى فهزموه بعد أن قتل أخواه نصر — الذي أدخل حصانه أو أدخله حصانه القلعة قبل الناس فكان أول قتيل ومصطقى ، فازتبع أبو قرجه بجيشه قبالة قرية ولد جار النبي قبلي الخرطوم بنحو يوم ونصف بالقافلة حيث كتب له المهدي كتابا جاء فيه « ولا تبش بنا حصل فإن الله تعالى أراد أن يميز الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جيعة فيجعله في قبضتنا . » وما زال هناك حتى جاءه ولد النجومى وعبد الله ولد النور حيث وضعوا ديم العائلات في المنتصف بين شجرة ملحى بك والجريف وحاصر ولد النجومى على النيل الأبيض وعبد الله ود النور على النيل الأزرق وعبد الله ود جبارة وحاج خالد المراهى بحليقو الخرطوم يبرى فلما رجعنا لرفاعة طلب والدى مرة ثانية لحصار الخرطوم مع من طلبوا وكانت مزارعنا مائلة للحصاد ولوالدى سمس كثير جلبه من كركوج فما كان منى الا أن يتحكم في عقلى الشوق للجهاد فأخذت والدتى وزوجتى وزوجة والدى وكل السمس في مركب استأجرتها وتركت المزارع لأخى موسى يبرى ومن معه من الرقيق وسافرت حتى وصلنا الجريف خرجت من المركب قاصدا الديم فلما رأني والدى اللهش وقال كيف جئت ولبن تركت الزرع ؟ قلت تركته لله والجهاد أفضل منه ولما كان يعلم صحة عقيدة ووضعف عقيدته في المهدي سكت لئلا يسمع الجنوس ما دار بيننا فيتهم بالانكار وبعد هنية قال لى من جاء مملك — قلت لم أترك غير موسى والرقيق — قال : والسمس ؟ — قلت أحضرته معى — فهز رأسه عجبا أو إعجابا لا أدري . في الحال قام واشترى ثلاث غرف لحفظ السمس واشترى بروشا وأخشابا لبناء منازلنا وفي الصباح أفا مشيك حالا للديم بالفرقان ووالدى توجه للمركب بنفسه وبعض من أولاد معارفه فلم أرجع لنزلى ولا لوالدى وأشقائى الا بعد أسبوعين وكنت في أقرب النقط الممتدة لحصار الخرطوم بحيث نرى السجارة ونسنع الكلام ليلا ولا نكن عدونا نهارا من الخروج من مكنته كما أنه لا يمكنتا كذلك من ورود الماء الا ليلا .

حوادث :

كان الجيش جيعه يخرج يوم الجمعة للعرضة (الاستعراض) وحينما

يرجع يقف عند بيت عبد الله ولد النور بجوار الجامع فظنته منزل ود النجومي فني بعض الأيام جاء المدعو محمد حاج خالد الرباطي بمنشور بخصوص المتخلفين عن الحجى الحصار بالألا يزوجهم ولا يتزوجوه منهم ولا يعاملوهم وإذا مات أحدهم لا يصلى عليه ويغتم بالآية : قال تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تم على قبره » الخ ...

فما رضى فقلت المهدي عم رحمه لا يكتب مثل هذا القول - فقال لي بعده واستهانة - اتم ناس الجيرة مثل أهل القير لا يصل الى قلوبكم نور الايمان بالمهدي عم فضبت وتوجهت في الحال الى المنزل السدي كنت أظنه منزل ولد النجومي وجلست في راقية صغيرة عند باب الزريرة حتى خرج رجل لا أعرفه قصمت اليه وقلت له يا أخى هل جاء منشور من المهدي عم عند الشيخ عبد الرحمن النجومي موضوعه كذا وكذا ؟ قال لي لم يأت عندنا . اللهم الا أن يكون جاء عند الشيخ عبد الله ولد النور ووضع يده اليسرى على كتفي ووضع يده اليمنى على كتفه وسار بي يعادثنى بخصوص المنشور وصرفنا كلنا رأنا أحد المارة يتبعنا حتى جاء أحد حاملا ظروف طنجية مبلس من النوع الذي في آخره شوكة فوقه أمام ولد النجومي بغضوع فقال له - أعطاني فلان هذه الجبجبة وقال أوصلها لسيدي ولد النجومي فقال له صاحبي - سلمها فلانا - فتأكلت ان هذا هو ولد النجومي الذي ارتفع بهذا التواضع فشرعت أتحلل منه فلما شمر بذلك صافعني وقال لي : صل الظهر في الصف الأول جهة اليمين فإذا سلم الامام قم واقفا لأراك - فلما رأني أشار لي بيده ان تعال - فمشيت نحوه مطمئنا وكان الامام الأمير عبد الله ولد النور فلما وصلته قال : يا عبد الله اسمع كلام الانصاري هذا فعكيت له قصة الانصاري - فقال : لم يأتنا هذا المنشور وأنا كثير الشك فيه فطلبنا محمد الحاج خالد واستلما منه المنشور وأرسلنا للمهدي عم بجواب فجاء الرد بالسلب ويزيد التأكيد بأنه كل منشور لم يكن مغتوما بغتم المهدي

لا يعتبر صحيحا .

الحالة الثانية رؤيا منامية رأيت فيها يرى النائم أن أحدا جاء يخبرنا ونحن بطاية الحصار ان المهدي عم سيزور الرباط هذه الليلة وسترسى به

المعبدة عند ديم النور الكرى بقرب الشجرة فذهبت فينن ذهبوا لمقابلة المهدي
 عم فلما وصلتنا للمدينة خرج منها رجلان وعند أحدهما معلقة فيها كتاب
 فاستأذنته في قراءة جزء منه فأذن لي فلما فتحت وجدته مناشير المهدي مطبوعة
 بنفس المطبعة التي طبعت بها بعد فتوح الخرطوم بنحو عام وبفلس السجل
 ففتحت منشور حياة الدين فلما وصلت منه إلى قول المهدي عم - قال عليه
 الصلاة والسلام آخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن ابن عوف لمكان غناه
 قال صاحب الكتاب لأخيه : اسمع يا عبد الرحمن ما يقول هذا ؟ فقال عبد الرحمن :
 هذا ما أراد الله - قلت له ومن عبد الرحمن ؟ قال هو عبد الرحمن بن عوف
 قلت ومن أنت ؟ قال أنا سعد بن معاذ فأعطيته الكتاب وتبعتهما حتى وصلا
 طابيتنا فوققا وقالوا لي انذهب إلى ذلك القصر وقل لمن تجده فيه أن سعدا وعبد
 الرحمن ينتظرانك لتذهب معهما فلما دخلت القصر وجدت تحت سلمه فردة
 نعل من ملبوس النساء مما تسميه المحبوك ذات سيور كأنها الحرير فأخذتها
 بيني وثيبتها فطاوختني حتى يكاد يلتقي رأسها بؤخرها فقلت في نفسي هذا
 ملبوس أهل الجنة والحال أنها بليت فالتفتها ثم دخلت الغرفة فوجدت الرجل
 على سرير في ثياب من نسيج التل (وما كنت رأيت) فلمسته بيدي فكادت
 تنزلق عنه فبلغته الرسالة فأبدي أسف الحزن وقال هما عارفاني أنا أستطيع
 السني معهما أبلغهما سلامي فذهبت لهما وأخبرتهما فسمعت أحدهما (ولم
 أميزه منهما) يقول للآخر عبد الله ولد النور بقي له سبعة أما عبد الرحمن ولد
 النجوم فكثير ولم يذكر أياهما أو شهورا أو أعواما وذهبا وانظر إليهما حتى
 قطعا النيل ولم تصعبهما عنى منازل الخرطوم فالتبته ووجدت نفسي بأكيما
 وعيناي غرقى بالدموع فأخبرت أخواني بهذه الرؤيا وانتشر خبرها حتى وصل
 ود النجوم فسألني عنها وتمجب منها وبعد يومين سمعت من عبد القادر المصعب
 أن الترك اليوم سيخرجون إلى بري وهو راكب حصانه ومعه فارس آخر عزمنا
 على أن يضرا هذه الفتوة فصحبتهما وأنا راكب حتى وصلنا بري وفلما نحو
 الساعة ٣ مساء ونحن في الطاية المسماة بالدار الآخرة يبري رأينا جيش الترك
 خرج من القيقر فنهض عبد الله ولد النور وخرجنا معه فالتقينا في فسحة فيها
 أشجار صغيرة فصار عبدالله ولد النور يقول : يا أصحاب المهدي أما ترون
 الحور العين يتخترن ذبا يمين المناديل البيضاء ولحن جواهر يهرون بدبالة تشبه

الذهول غلبا هجمنا على الجيش ارتد أمامنا فصر التقيق فإذا الضابط يرددهم
 برجله وصوته فحجم عليه عبد الله ولد النور وطمعته بكرسه في بطنه فجاء أحد
 عساكره من خلف غلبه الله ولد النور وسحب الكرسي بقوة قطع بها شاكلة إبهام
 يد عبد الله ود النور الميسرى وهجمنا عليهم هجمة ردهم إلى القنطرة نهائيا فلما
 رجعنا وجدنا الضابط ميتا ورأيتنا خارجا مستعدا للموت حالقا جميع شعر
 جسده وهذه علامة من يستعد للموت وفي يوم السبت المقبل وهو اليوم السابع
 لرؤيتي سمع ولد النجمي أن جيش الترك خارج لولد النور برا وبحرا من كل
 الجهات فأرسل من القرقان مددا لبري وكانت رأيتنا من ضمنهم ولكننا نذبنا
 مؤخرا فلما قابلنا باب المصلية رأينا جيشا خارجا من الباب فوققنا
 لمقابلته فلما قرب منا هجمنا عليه ورددناه بمد أن قتلنا أكثره
 وغرنا رأيتنا بين قتلاهم وقلنا قتلنا بيذا وراءنا لملهم يرجسون بمد عزير
 فيلجئوا ترك موتانا وراءنا . كنا فرى موتاهم وكان أكثرهم سودانا تبينا بعض
 من كانوا رأوا النار تحرق الأجسام من الموتى لأحدهم .

فرايت جرحه قد لحمر لحرارا شديدا ثم أسود ثم أخذ يدعو منه زبد
 صغير ثم خرج منه دخان كدخان السيجارة ثم اشتعلت فيه النار ففطته فحة
 هذا وما زلنا نسمع في برى ضرب المدافع والبنادق وأصوات الأنصار كرا وفرا
 حتى العصر وما زال أميرنا محمد الحاج بشير يقول ما لعبد الله ولد النور
 لا يرسل لنا أحدا يطمع حقيقتنا حتى جاءه من أخذه بيذا عنا فأخبره بموت
 عبد الله ولد النور فرجع لنا وما زال يكرر قوله الأول ليطمعنا على حياة ولد
 النور فرجع لثلاث تضعف قوتنا المعنوية حتى كان الاصفرار فسكنت الحالة في
 كل الميادين وذهبت لبري وحينا وصلنا جاءنا ولد النجمي وزل في القبر الذي
 وجدناه محفورا ووضع جنازة صديقه الحميم بيده وحيد الله على نيل الشهادة
 ولم ير في وجهه أي أثر للحزن . وفي الوقت نفسه طلب أخاه مكي ولد النور
 وسلمه راية أخيه وجعله أميرا مكانه فأنظر لصداق هذه الرأيا . ولما علم
 المهدي عم بوفاة عبد الله ود النور وصبر ولد النجمي قال عم رجال صدقوا
 ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر عبد الرحمن ولد
 النجمي وما بدلوا تبديلا .

خرجنا مرة من الدير ذاهبون الى بى وكنا تسعة فلما قابلنا باب المسلمية رأينا حركة عساكر خارجين من القنطرة . فقال أحدها هؤلاء العساكر يلزم أن يكونوا ذاهبين الى الجريف والوابورات تأخذ اللال — فالأحسن أن نقف هنا ونشغلهم بينادقنا حيث نضرب مرة واحدة ليسمع ولد مدور ومن معه صوت البنادق فينتبهون . وقتنا وجعلنا نضرب بنادقنا بصوت واحد وبينما نحن كذلك اذا رأيت أنا شيخ المهدي عم حاملا كرسه مقدم على باب المسلمية حيث البجدة ظهرت تماما وقائلها على حصانه فجعلت أقول لن معى هل ترون المهدي قاصدا البجدة يقولون لم نره أقول ها هو مال عند تلك الشجرة الصغيرة وهاهو صعد القوز الرملة ذاك فلم يره أحد غيرى وأنا أنظر لذلك الشيخ حتى دخل وسط البجدة فقلت لرفقتى ها هو دخل البجدة فلما لبثت أن جالت واختل نظامها فغيرت اتجاهها رجعت للقنطرة فغيرنا سيرنا ليرى أنا لأعتقد أن ذلك هو المهدي عم ذاته لأنه محاصر أم درمان بالغرب ولكنى أظن من ذلك الوقت أنه ملك أو من مؤمنى الجن تمثل بصورة المهدي عم ليظننا في موقفنا الحرج فتوذى واجبنا بعد ذلك جاء فيضان النيل المنتظر للفرج لسكان الخرطوم فأرسلت الوابورات لسائر فصاحت بقليل من اللال فما وجدته في قصص المدينة بعد تمكنها من الوقوف في أى مكان بين المدينتين كذلك أرسل للنيسل الأبيض وابور فيها سائى بك فخرج في القطيعة التى هو من سكانها فطاربوه وقتل فيها فرجع الوابور خالبا فاحس غردون باشا بشدة الوطأة ولم ير فائنة في بقاء الأهالى الذين لا يشتركون في اللطاع من أنفسهم ويشتركون في الغدائات أو يموتون على حساب قصوته فصرح لهم بالخروج الى حيث يريدون فخرج منهم عدد كبير نشرخوا غير المجاعة بالخرطوم وشدد ولد النجومى الحصار وغردون باشا لم يرسل جيشا خارج القنطرة ليهاجمنا بل اقتصر على اعداد الغداه لمن بالخرطوم والمحافظة على النخبة حتى يصله جيش العملة للمساعدة لا هذاه — وصار يسل الناس ويمنيهم كلما اشتدت المجاعة عليهم وطأة الحصار وملهية الجوع بتوزيع الحيل ولم يبق مما على القائد المحنك عمله الا عمله ولكن الحذر لا ينبجى من القنطرة فلما سمع المهدي عم باقنطام جيش العملة لعقبة جقدول أرسل جيشا كثيفا من خيرة جيشه أكثره من دغيم وكثافة تحت أمرة الشيخ

موسى ولد حلو شقيق الخليفة على ود حلو فالتقوا بسكان يقال له أبو طليح
عنى أكثر جيش المهدي وقتل قائدهم ولم ينج منهم الا النادر .

بأيعوني على قص الرقبة

لما وصل جيش الحملة الى المنة فلما علم المهدي عم بذلك جمع أهل
شوراه واتفقوا على التسجيل بفتح الخرطوم قبل وصول الجيش الحملة وقملا
في ليلة الاثنين ١٦ ربيع ثان آخر سنة ١٣٠٢ جاء المهدي عم وجمع له الجيش
بين حلة الفرقان ومدينة الخرطوم فخطبنا وهو على جبل فعما قاله قبل البيعة
الآخيرة أن أعداء الله قد حفرُوا حفرة الققرة (الخنلق) عريضة غرقة وبثوا
فيها ضرماء الحديد وهي أربعة أشواك من الحديد تعتمد دائما على ثلاث وترفع
الرابعة لتدخل في رجل الرجل والفارس بأيعوني على قص الرقبة وسكت هنيئة حتى قال
كل الجيش بصوت واحد بأيعناك على قص الرقبة كرر هذه العبارة ثلاث مرات
وبعد ذلك قال اذا فتح الله عليكم فخذون لا تقتلوه والشيخ حسين المجدي
لا تقتلوه والفقهاء الأمن الضري لا تقتلوه ولهم رابع نسيته^١ ثم قال ومن
رمى سلاحه لا تقتلوه ومن قتل عليه بيته لا تقتلوه فعارضه رجل أسمع صوته
ولا أرى شخصه قائلا يا سيدي في بعض الجردات التي قتلناها رأينا العسكري
يرمي سلاحه فاذا تصديناه أخذ سلاحه من الأرض ورمىنا أو يضربنا به فقال
المهدي عم بعد ما سمع كلامه الذي تجلدونه في خط النار أقتلوه . قال تعالى
« فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » ثم بأيعنا البيعة المعتادة وهي بأيعنا الله
ورسوله وبأيعناك على ألا تشرك بالله شيئا ولا تسرق ولا تزني ولا تعصيك في
معروف وألا تفر من الجهاد (وربما زاد) بأيعناك على زهد الدنيا واختيسار
الآخرة ولم أعقلها تماما تلك الساعة فقلت الرايات وقصدنا الققرة فكان طريقنا
من الجنوب الغربي حيث دخل النيل الأبيض في الخنلق ورجع فردم الخنلق
وكنتم في أوائل الناس فلم أشعر بأي مررت على خنلق حتى وجدت قميص
عند المدفع الذي كان يضرب فينا فلما وصلنا دخل الذين كانوا يضربونه في
خيمة وأقروا عليهم فقتلوا تحتها وما زلنا نتقدم على شفير الخنلق الداخلي
حتى وصلنا قبالة صرايا غردون فالتقينا بالأمن الذين دخلوا عن طريق بريا

(١) سمعت من عمنا الشيخ أحمد حسن عبد النعم في مرة وأبي يحيى
هذه القصة أن قال له إن الرابع هو الشيخ محمد إسقا .

وملنا نحو المريا فوجدنا غردون ياشا ملقى ودمه يجري فنقضينا على قاتله حيث أوصى المهدي قبل ساعتين بأعلى صوته بعدم قتله وكانت الساعة ٤ أو ما يقرب من ذلك ثم أخذنا شارع النيل حتى وصلنا قبالة الجامع فصبنا عليه فوصلناه عند شروق الشمس فرأيت الفقيه الأمين الضرير بالجامع وعليه جبة صفراء وعته كبيرة على طربوش ولم أذكر لون القفطان تحت الجبة فصعدت الله على سلامته أما الشيخ حسين المجدي فقد قتل . ونحو الساعة ١٠ صباحا اجتمعت بمختار الرباطي فمشينا معا حتى وصلنا منزل أبي السعود ياشا ووقفنا في دهليزه الذي كان بين غرفتين الثرية منها بابها مفتوح وكانت ابنته المبكر العانس تمشط شعرها على المرأة فرأت شيخ حراينا فخرجت من باب شمالي وجرت على مشي بجانيه على ما أتذكر قصب سكر أو ما يشابهه حتى دخلت المرفق وقطعته عليها فأخذت أقول لها أخرجي نحن أولاد بلد نعفلك ولا تؤذيكي - عليك أمان الله ورسوله وللهدي . وما زلنا بها حتى خرجت لنا وهي ترتجف فخرجنا بها الى خارج بيتنا لنضعها في مأمن فلقينا بقرب الباب راية الكلاكله فادخلناها في منزل محمد ياشا حسين الذي علمناه أن مكين ولد النور أميرنا الأكبر ابتغاه ماوى له ولم أرها بعد ولكني سمعت انها تزوجت بالسيد محمد صالح جد الاشراف آل المهدي قلت لم أرها حتى يوم غرة رمضان سنة ١٣١٤ ليلة زواجي لأم أولادى ، حكيت بمناسبة حكايتها قليل لى انها ضمن المدهوات في زواجك وأخبروها فجاءتنى وشكرتنى حتى أخجلتني وحكت نفس الحكاية . قلت أنا دخلت الخرطوم في أول الداخلين ولم أسمع بوجود خندق ولكني اجتمعت بعد ما فارقتي مختار في نحو الساعة ١٢ بمحمد مصطفى عبد القادر الرباطي فوجدت ملابسه ملطخة بالطين وقد ييس عليها فقلت له ما هذا الطين - فقال لى حينما دخلنا الخندق وجدناه ملئ طينا مائما فنقضت فيه الى ما بعد ركبتى وجعل كل من جاء من الانصار يمسكنى من كفتى وقبض. أماى فبعضهم يمسكه الطين والخصيف منهم يخرج من الياض حتى جاء والدى مصطفى فلما وضع يدهم على كفتى رأيتهم فرقتهم وقلت له ياأ فقال لى محمد ٤ قلت : نعم فخرج ووضع سلاحه خارج الخندق ورجع لى فبرئى من الطين الذى وصل صلبى ثم توجهنا معا وكان العامل قد أمر أن يرفع السلاح والانصار يعبرون المنازل من أهلها فأمركا سكان الخرطوم بالخروج للديهم فوالدى

الرؤوف لم يقتل أحدا مع أنه دخل الخرطوم مع أول السلاطين بل أخذ ثمانية رجال خرج بهم قبل رفع السلاح وكلما هجم عليهم أحد يقول لا لا أن الأمير ولد النجومى أمرنى أوصلهم الديم لأنهم صناع يحتاج لهم فى خدمة الدين فتركواهم حتى أوصلهم الديم وبقي بعضهم بمنزلنا حتى سافر والذى لكر كوج بعد ثمانية شهور من فتوح الخرطوم .

عندما صدر الأمر للانصار بحجز المنازل فى يوم الفتح حجرتنا أنا ومحمد مصطفى منزل رجل يسمى محمد على بك وصوص أفنه تلجرا أصوليا فوجدنا فيه الزبيب ودقيق القمح والسمن واللحم المقدد وجوالات الذرة ولم نجد به أحدا فلم نفس شيئا من هذه المأكولات لأنى كنت صائما ولو كنت غير صائم لا يمكن أن أأكل كصاحبى حتى يصدر الأذن من ولد النجومى عن المهدي عم باباحة ما يؤكل مما يوجد من المأكولات فملا لم يصدر الأذن الا ضحى الثلاثاء حيث خبزنا من الدقيق قراصة اتمناها بالزيت قشفا مع وجود السمن والمسل ثم فكرت فى أن صلح هذا المنزل يجب أن يكون عنده من النقود والصلى الشيء الكثير فأخذنا فى البحث الدقيق فلم نجد شيئا حتى استعنا بجيراننا الذين أخبرونا أنهم يخبئون حلهم فى البئر أو المستراح فأزلنا محمد مصطفى فى البئر فوجدنا حلى المرأة شيئا كثيرا كان من الذهب فأخرجناه ووطناه فى بشكير وحملناه مما الى بيت المال - فوافه - ما كنا نفرق بينه وبين الجنائز التى كنا نمر عليها حتى أوصلناه لبيت المال ولم يخطر ببال أحدا أنه يحمل مالا فيه الغناء لمدة الحياة لو اختلصه

انظر الى هذه التعليمات التى تصرف شابا مثلنا عمره ٢٢ سنة وله زوجة ومن له روج يرجو له أولاد ولكن رجاءنا لما عند الله صرفنا عنها رحلنا من بيت محمد على بك الى بيت حاج فاصبر أبو حشيش القتيحابى لأنه واسع يسمح عائلتنا وبعد يوم من رجوعنا به سمعنا حركة فى خزانة أحد الغرف فظنناه رجلا مختبئا فخطبناه بالأمان ليخرج فلما طال الزمن دخلت عليه ومي عى محمد أحمد شكاك خلنى وكان المخزن ظلاما فلما وصلتة فصرمتنى وكاد يظلمنى فلذا هو نور مغيا .

سمعنا ليلة الجمعة أن المهدي عم سيزور الخرطوم ضحى يوم الجمعة ٢٠ ربيع آخر فنزلت فيمن نزل للنيل للقاءه فجاوخواض الشاطيء كثيره وركب

حصانا أسودا بلجامه ومرجه كقاتل ومرتنا خلفه حتى وصلنا بيت المال وكان بمنزل المفتي شاكر فنزل عند الباب ودخل فكنت خلفه مباشرة فوجدنا إبراهيم ضرار ابن خال أحمد سليمان المصني أمين بيت المال وكان من عماله فصعد السلم وصعد المهدي عم وصعدنا معه وكنت متلصقا بصفحته فأول ما فتح له الغرفة المحفوظ فيها الذهب من حلى وجنيهات وسبائك اكواما فلما فتحت الغرفة وتوهج الذهب التفت المهدي عم عند بسرعة البرق وصد عنه راجعاً فوقفت وتفكرت بالذهب وذكرت بيت البوصيري :-

فرلوده الجيسال التسم من ذهب ...

وقلت لنفسى هذا والله هو التسم. فلما نزل من السلم رأى الميزان ذا الرمانه قال ما هذا ؟ قيل له ميزان يا سيد للثقلات فقال هل بين نصف الرطل قيل له نعم فاذن في استعماله فلما خرجنا من باب السور قابضته امرأة تبكى وقالت له يا سيدي المهدي ابتنى بلحافها في الزريبة ، وهم متمبون انذ لي في أخذها فقال لها ما هي الزريبة ؟ قالت : المكان الذي جمعت فيه النساء . فطلب أحمد سليمان وهو واقف مكانه فقال له : ما الزريبة ؟ فقال أحمد سليمان : الزريبة اسم المكان الذي جمعنا فيه نساء الضرطوم اللاتي لم نجد لهن مصارف قال له امشي بإيها لا نظرها وتبعناه طبعاً فلما قرينا منها سمعنا ضجة كبيرة فلما وصل أمر أحمد سليمان قائلاً : يا أحمد كل هذه الحريمات يوزعن قبل غروب الشمس فمن يغفلها أحد أو عرفت هي أحد تسلم اليه والثياب ممن لم يعرفن ولا يعرفن أهلنا زوجوهن ورجع ونحن معه وأحمد سليمان أمامه حتى وصلنا منزل أحمد سليمان وجاءوا لنا بزلايا (لقمة القاضي) فطعنا منها ورجعنا الى منازلنا وفي الظير حضرنا للجمعة بالجامع حيث خطب المهدي عم وصلى بالناس وفي آخر خطبته قال : يا أصحاب المهدي أحمد سليمان شغل الاشراف بالمال قولوا : تعود بالله من حالهم ثلاث مرات وهم طروق كأننا على رؤوسهم الطير وهم عشيرته الأقربون بينهم أعمامه وأبناء أعمامه هذا هو القول الفصل الذي ليس بالهزل وفي عصر هذا اليوم زار المهدي عم قبر والدته وهو على الرهوة التي بجانب مستشفى العيون بالقرب من الباب الذي يقبل للقطارات . وفي يوم الاربعاء ثالث يوم الفتح نحو الساعة ٤ مساءً بالافرتجي وصلت الضرطوم وابورن مرسلان من جيش الخلاص ولعله وصل خبر فتح الضرطوم ليتأكد من

ذلك ، وقد وصلت شرق الاسكلة حيث كنا بجنيّة النور الخير (جنيّة الأوقاف)
فضربناهما بالبندق وحينما أكملت من وجودنا بالخرطوم رجعت
صار المهدي عم ينتقل بين أمدرمان التي أسست جديدة شمال بلدة أمدرمان
التي كانت قرية صغيرة تكنّلت الجيش الآن حيث قبورها ظاهرة بتردد بينها
وبين الخرطوم حيث أتخذ بيت بابكر الجار كوك منزلا له وتزوج ابنته وجعله
مسجد صلواته لغير الجمعة وأصحابه الموجودين بالخرطوم فمما أذكره أنه قرأ آية
ولقد ضرب لهم القول فلما قرأ آية : « وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها »
الى قوله « وكنا نحن الوارثين » والمعنى قتلنا أنه سيوتور رفع رأسه فإذا لحيته
كلها تظفر من شعوه ولما وصل آية « ومن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية » كررها
ثلاث مرات بتلك الحالة .

التحضير لغزو الشمال :

لم يسكت المهدي على قتل الانجليز لجيش موسى الحلو بأبي طليح فبعد
شهر أمر جيش ود النجمي بالتوجه للمتمة لطرده الانجليز منها وكنت في هذا
الجيش حيث ركب معنا المهدي نفسه الى كرري حيث زار قبر والده وودعنا
هناك بتجديد البيعة ورجع ولما وصل ولد النجمي المتمة وجسد الجيش قد
بارحوا راجعا بطريق جندول وساروا لدقلا حيث بلغ المهدي عم تناقله لدقلا
فكتب منشوره الشهير ببلاغته الذي كتبه وهو محصور منه . « أحبابي لا يغنى
افكم ممن صحبني في القلة وقام معي في الله بلاعة وفدى الدين بمحوباته رغبة
فيما عند الله » ومنه : « أحبابي أن الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار . » وليجنبوا فيكم غلظة ... الآية .. وأن أمر
مديرية دقلا قد صار أمرا مهما لتراكم أعداء الله بها ولو أن تحزبهم الماري عن
معونة الله لا يغنى عنهم شيئا ولا هم يتصرفون ماداموا في نصرة جاههم ومالهم .
ومنهم « وسيروا الى الله عرجى ومكاسير ولا تنظروا الى خيال التشاهيل المؤدية
الى التعطيل فانكم أحبابي من العقلاء والفقهاء الذين يصلون أن قيامنا هذا هو
بالله لا ابتداء وانتهاء ولو كانت الأموال والتشاهيل ممسا ينفع أو يضر لكان
لترك في ذلك حظ وافر ولكن كل من كان له كان الله له - ومن تمسك
بالأسباب تهطمت به من مقام الخطيب الى منازل الكلاب وحاشاكم ذلك أيضا
الأحباب . » الخ ... كل من هذا النوع فانظر الى قائد أعلى يأمر جيشا من

خيرة جيوشه بالتوجه الى اقصى عدو جربه في جيش لا يقبل عن جيش ولد
النجمي عبدا وعدة وروحا معنوية ونهاه عن الالتفات الى التشاهيل بالنضرة
والثمن بل يأمره ان يسرع كما بدا أمره يكلف أصحابه المتلثين منه حماسا
المقتدين به في أهواله وأصائله وبعد شهرين أو تزيد قليلا توفي المهدي عم ورجع
جيش ولد النجمي لأم درمان وكنت قبل وفاة المهدي مرضت بالملاريا ورجعت
الى أم درمان حيث كنت بالخرطوم حينما انتقل المهدي عم الى الدار الآخرة .
عجيبة لحكيها . كنا بالخرطوم وكان يقرأ لنا الراتب على شكاكه
وهو ليس من المظنوفين بالكشف لكنه كان يقرأ ثم يضع الراتب من يده على
فروته ويقول لنا اذا جاءنا أحد الآن وقال المهدي مات ما كنا صائمين به نقول
له : - قتله أو نضعه ضربا نرفع راتبه ونقرأ كرر هذه المقالة أياما - وفي تلك
الأيام انتقل المهدي للدار الآخرة .

عجيبة أخرى رأيت مناما اتى والمهدي عم ومعنا ثالث يدعى محمد أحمد
الشاماي رأيتنا نحن الثلاثة بأرجلنا القيد الذي يسمى مكيه - فالمهدي مشى
بقيدته وأنا تبعته قليلا وصاحبنا لم يستطع أن يقف ثم أن المهدي مشى غربا وأنا
أنظر اليه حتى غاب عن عيني بدون حائل ولا ظلمة ولا غبار بل حجب عني في
السهل القريب نهارا فقصصت هذه الرؤيا على جماعة وكان ضمنهم عبد الشجاع
الحسن قديلاوي فقصها على صاحب له مصري وكان وكيل التلغراف بالخرطوم
بعد الفتح فقبل له أحضر لي صاحب هذه الرؤيا فاجتمعت به فسألني هل المهدي
مشى بقيدته - قلت نعم - وهو الذي غاب عن عينيك دون حائل ما قلت نعم .
قال اذا صحت هذه الرؤيا يحصل أمر عظيم غير منتظر فلما توفي المهدي عم
اجتمعت بذلك المصري وقال لي لو قلت لك في ذلك اليوم المهدي يموت قريبا
ماكنت فاعلا بي ؟ قلت كنت أقتلك قبله .

تسليم حامية سنار :

وبعد وفاة المهدي اشتدت وطأة جيش سنار على معاصرها فانكسرت
وجل القائد الأكبر السيد محمد عبد الكريم في وقعة البقره وقتل الشيخ عبد
القادر أبو الحسن أمير العقوياب ومنتقمهم والشريف علي الهندي ورحل
الديم من مكانه فطلب الخليفة عبد الرحمن ولد النجمي من التمسمة ليرجع
ببيشه فرجع ووجهه لفتح سنار فلما وصلنا المسلمية اتعب على شكاك

ليكون أمينا لبيت مالها فاستطر حصاني وعينى صباح الخير ولما وصلنا
البرياب وجدنا السيد محمد عبد الكريم هناك ورجله مكسورة وهو في قلية
عليها راكوبة فجلسنا في الراكوبة ودخل عليه ولد النجمي مسلما ومسلما وفي
تلك الساعة حضر مندوب من حامية سنار تطلب التسليم على يد ولد النجمي
فقال ولد النجمي للسيد محمد النصر نصرك واسبك هو الذي أكرههم فلا
أجهد ذلك ولا أعمل عملا يشركني معك في النصر وألح عليه ولد النجمي
وأقسم ولد النجمي أنه لا هو ولا جيشه يدخل سنار كفاتح إلا بعد تسليمها
وجمع أسلحتها وغنائمها على يده أو على يد من عينه عنك فقال له السيد
محمد عبد الكريم أوكلت السيد محمد أحمد ادريس والشيخ مضوى برا
لقسك فودعه ولد النجمي ورأيت السيد محمد يكرر الشكر لولده النجمي
ويدعو له بالخير - وصلنا سنار وحجزنا ود النجمي في البقرة بالمكان الذي
أخلاه السيد محمد عبد الكريم وجيشه وياشر التسليم الشيخ محمد أحمد
شيخ ادريس ومعه الشيخ مضوى عبد الرحمن المالم المحمي - ونحن لم
يدخل أحد منا سنار الا مترجا . وفي إقامة جيشنا بسنار قبل رجوعه لأم درمان
زرت والذي بكر كوج رجعت فوجدت الجيش رحل لأم درمان فواصلت سيرى
رأجلأ حتى وصلت الخرطوم حيث كنا مقيمين هناك .

رؤيا الموت :

عاودتني حمى الملازما التي انهكت قواى حتى صرت تعجز عن القيام
بشيء للمستراح وترجعني كالطفل فاقطعت من الصلاة في الجميع وهذا أشد
ما كنت أجده من ألم الحمى ففى ضمن بعض الأيام سمعت الجماعة الراجسين
من الجامع يرتلون الشهادتين بأصوات عالية فاتحبت حتى غبت عن وعيى وفي
أثناء غيوبةى رأيت ثلاث رجال يبيض الوجوه واللى أحدهم يحمل سكيناً
كبيرة والثانى يحمل ميزانا والثالث يحمل حبلا من القند فجلس الذى بيده
السكين فى حجرى والذى بيده الحبل عند رجلي والذى بيده الميزان عند
رأسى فاستحضرت فى نفسى أن هؤلاء ملائكة الرحمة جاءوا لقبض الروح
وكنتم قرأت وأنا صغير فى كتاب أن الإنسان فى حالة الاحتضار يسلط عليه
العطش ويأتيه الشيطان حاملا كأسا من الماء ويقول له أن سجدت لتبخر الله

مقتك أو يقول له أن قلت أنت ربى مقتك وقد قرأت أيضا في ذلك الكتاب
 أنه من قرأ - فقد جاءكم يصم منه الشيطان فقبلت أقرأ : لقد جاءكم في سرى
 وبعد كلام قليل دار بينهم لا أفهم منه شيئا - تقدم من يده المسكين وقطع
 رجلى اليمنى من فخذها فغرزت خزة شديدة شعر بها الناس الذين اجتمعوا
 حولى يلقنوتى الشهادة وأنا لا أسمعه - ثم تحول لرجلى الشمال وأنا
 تحولت معه بعينى فقطع رجلى الشمال فجاء من يده الميزان فوزنها فرجعت
 أحدهما - وأخذها اليمنى على اليسرى رجحانا واضحا فرمى الميزان وأنا أسمع
 له صوت صليل عال ثم قطع من يده المسكين يدى اليمنى ثم تحول فقطع
 اليسرى وفى كل حركة عيني تتبعه بتحديد شديد يتعجب منه من حولى ثم وزن
 صاحب الميزان يدى فرجعت أحدهما عن الأخرى أيضا فرماها أيضا وأنا أنظر
 الى المضل يرف رفيفا شديدا فقلت في نفسى يا سلام - لهذا السب الناس
 يقولون الروح للمحضر خرجت من رجليه لأجل انها يقطعان أولا - وأن
 الروح الآن جاءت في حلقى بعد قطع يدى وصار الرجال الثلاثة يتكلمون - في
 أثناء كلامهم رفعت رأسى فرأيت بتنين في السقف يدهما متدبيل أيضا
 ويده الأخرى كوز شديد البياض وهما يضآوان - شعر كل منهما متدبل من
 السقف بارعتا الجمال فقلت في نفسى هاتان حوريتان ينتظرانه خروج روحى
 لتسقيها صاحبة الكوز وتتناولها صاحبة التدبيل الى النعيم المقيم وسررت جدا
 واستسلمت لخروج روحى ولكنى سمعت صاحب الميزان يقول لأخويه وهو
 يفرطق بأصبعيه يمد وصلوا فاتبعتم بنظرى فلم أر للبتين شبحا فانفتح لهم
 سقف البيت وحينما غابوا من عيني رأيت من حولى من أهلى وأخوانى يصم
 والحسنى على صدرى ووالدتى ممسكة سبحتها تسبح بها فى الحال شعرت
 بنشاط قوى في بدنى فقلت بصوت عال مالكم اعطونى الطريق فاقسحوا الى
 وهم في سرور وبشر وعجب فقلت فثطا وخرجت ودخلت ولم يشتد المرض
 بعدها على وفى صباح ذلك اليوم شربت من ملح الطعام كمية وبعد قليل شعرت
 بأن الذى كنت أشعر به فى معدتى يصعد نحو حلقى فصرت أنشم بثلة حتى
 أحسست به قريبا من فمى - فأدخلت أصبعى ورميت به فاذا هو ثمان الباطن
 يتحرك متلويلا فتم شفائى فما زلت الى اليوم كلما تذكرت حادثة احتضارى
 هذه تمنيت ان لومت آنذاك .

من فتن غيبته انهضت مدينته :

أذكر أنا وأحد أقاربي المدعو أحمد القويش الشهير بجيد ذهبنا للخليفة شرف رحمه الله بمد شفائي لبطينا خادمة نبيها لضرورة لاحتنا فقال لنا اكتب لكم لأى أمير قللت اكتب لنا لعلى شكاك بالمسلمية فتوجهنا له فوصلته وأنا محموم من تعب المشى راجلا وحصانى وعبدى عنده فلم يتببه لى فرقنت على برش فى غرفة مظلمة وانى أسمع فيه ألسهم وضحكهم وأملل من الجوع والنمى (لأن الصمى اللاريا لا تمنعنا الأكل وانما تضعف الحركة حتى قال والدى بابكر وعلى شكاك نصيحا جوف ومرضى قوائم حينما رجعنا من المنمة محمومين)

ولما جاء عمر حجازى يرقد على فراشه بعد السهرة من سرهم وطننى وقال من هذا قلت بابكر يدري فرجع الى عمى على وأخبره بحالى فلم يبد حراكا حتى أصبحنا وللحظ وجدت موسى أخى ممة مستبنيه ولم يعلم موسى ببجيتى لوصولنا مساء وهو غائب فلما أصبحنا تقابلنا فأرسل عمى على موسى للجزار يعرض لهم أثنين كبده وثلاث أقات لحم ضان فاحضرها وكان عمى على شكاك متزوجا امرأة من غنائم سنار تدعى زينب بنت خير الله فلما جهز الغداء دخل موسى البيت فوجد عمى على ومن معه يأكلون وأنا لست بينهم بل راقنا فى جامع على ود شمو بجوار منزله فاعتناظ موسى وطلب صباح الخير وسالما عييدنا فقال لهما شدا الحصان وأتياه فلما أحسن عمى على شكاك بذلك أخذ يستعطف موسى فدا بالى به . فحرب السلطة ليكرهه على ترك الحصان والعبيدين فبما استطاع لأن موسى أهاج صباح الخير بأن حكى له ما حصل لى وأنا فى الجامع لا علم لى بذلك ولو أخذ رأى لما حركت ساكنا لأتنا زاهدون الدنيا وما فيها لا يهزأ مدح ولا ينضبنا قدح والانتقام لا يخطر ببالنا لأن المهلى عم يقول : (من فتن غيبته انهضت مدينته) فأخذ صباح الخير الحصان وساق سالما قدماه وجاءونى بالجامع فركبت الحصان وركب هموى حماره وسافرنا فى تلك الساعة فأخبرت موسى انى جائع فاشتري لنا زاد وبقيت معه نفودا وصلتنا الخرطوم فى هذه السفرة اعترفت تماما بأن موسى أخى رحمه الله أكرم منى وذلك أنا وصلنا حلة الجديد فوجدنا فى سوقها كسرة مجلوبة ونحن

جاء جندا فاشترى موسى بكل ما معه طعاما قليلا أعطى للمبدين منه بقدر ما
أبقى لنا وكان بودى أن تزيد عليهما ثم جاءه رجل سائل فوددت أن نمطيه
شيئا ونصرفه بكلام طيب فما كان من موسى إلا أن قال له تفضل كل ممنا
فتصاغربت قصي لدى وأكبرت أختي حد الأكار .

في سرية ود النجومي :

وصلنا الخرطوم وبعد شهر عزل عبي على شكاك ووصل الخرطوم
بأمراته وبعد أيام سافر جيش ولد النجومي لبربر في طريقه لدقلا فلحقناه
بالمراكب بكل عائلتنا ولم يزل والذي بكر كوج فوصلنا لبربر ومكثنا بها شهرين
شعبان ورمضان وكان الحر أشد ما رأيت حتى كنا نضطر في رمضان أن نمكث
في الماء في الليل الساعة والساعتين حتى الاصفرار ترى الناس عائدين لمنازلهم
وكانهم جاءوا من عمل أو سوق ثم تحولنا لأبي حراز بالقرب وهناك حضر لنا
مساعدة قيوم أميرا لأتصار الغرب مستقلا تحريا من ولد النجومي وذلك في
أواخر سنة ١٣٠٣ وهذا من أوائل تغيير السياسة في المهدي بعد وفاة المهدي عم
من الحوادث التي حصلت في أبي حراز - قتل محمد الفصل كبير الصلاب
وذلك أن رجلا يدعى محمد عبد الماجد من أقاربه ومن معتقدي المهدي المتطرفين
زار محمد الفصل في بيته فأخذ الحديث يدور بخصوص المهدي وكان محمد
الفصل مطمئنا لغيبة وقرينه فقال لمحمد عبد الماجد من باب الجدول أسكت
المهدي غشانا والخليفة لأن يكذب علينا فما كان من محمد إلا أن قام من حينه
وذهب الى ولد النجومي وأخبره الخبر كما حصل فأحضروا ولد الفصل من
بيته فاعترف فكذب ولد النجومي يدوره الى خليفة المهدي فأمر بضرب عنقه
وتفقد قتله في محفل حافل .

طلبني ولد النجومي لأصحب أحد عماله لتحصيل الضرائب من قبيلة
الناصر فيكيت وقلت له يا سيدي ما رأيت غيري قطعه من الله أرجوك
وأرجوك بالله ورسوله والمهدي أن تمنني فيكيت . ثم قال ولد النجومي هكذا
يكون أصحاب المهدي وأرسل غيري ثم أرسل ولد النجومي من أحضر الجمال
من الريان الحسانية والقربيات والهاويز بالقرب والجصيطاب والعبابدة والبشاريين
بالشرق فأحضرت وكان الكثير منها صعبا لم تروض بعد فروضت تحت الحمل
سافرنا طوائف للشايقية التي وصلناها فيها أكثر من عشرة أيام وكان الأمير

• محمد الخير راجعا من كرنه كامر خليفة المهدي فقابلناه بصنم (مروي الآن) ورأيتة علي حصانه في استعراض عمله لقابلتنا وأشبه الناس بابتة التجاني ثم واصلنا سفرتا بالبر والبحر حتى وصلنا (الاردن) فقلنا المركز فوجدنا الأمير مصطفى ولد جباره وضع الديم على شاطئ النيل بقرب المدينة القديمة فلما وصل ولد التجوي رفقه من محطه الموجوده خرايه الى اليوم والتي سكن بها بعض من العرب وبها قبر الأمير محمد الخير الذي أمره خليفة المهدي بالرجوع فتوفي بها .

كالمادة سكن ولد التجوي شمال الجامع بجماعته وسكن مساعد قيديم جنوب الجامع بجماعته ثم أخذت سلطة مساعد تملو ومسلطة ولد التجوي تنخفض تدريجيا . حينما وصل التجوي أرسل النور الكنزي ومعه نحو ثلاثمائة من الأنصار لصرص فجعلوا بها دينا وأرسل محمد أحمد هاشم الى صوارده وكنت من جماعته فأقمنا بها نحو أربعة أشهر غالب أكلنا التمر والذرة لا تصرف الا للمرضى فمن الحوادث المضحكة أن أمرا ابن عم لي يسمى البحاري يدعى المرض لتسكن من صرقه ملوة من الذرة باسمه لتخط بها مديد التمر التي سئناها ولما صرف لنا الذرة باسمه جئناه وأحبرناه ليقوم فادعى علينا نحن أنفسنا المرض لئلا يخدم ما يلزمه من الخدمة فمدنا تمره فلا يتحرك ولا يضحك كأنه ميت فلما طبخنا العصيدة وأحضرتهاا نهض قائما . في صوارده هذه اتفقنا نحن تسعة وتطأنا على أن نذهب لحطام تفتحها أو نسال الشهادة وكلهم رجال إلا أنا لي حصان تركته في مرلحه خوفا من أن يفقدوا حصاني فيكشفوا خبرنا ويلحقونا ولكن فاتنا اتني كنت الذي أقرأ الراتب حببا بعد الصلاة فلما غبت غنوني مرضا فلما لم يجدوني اتبهسوا لكشف خبري فورد عليهم رجل من قرية تسمى مرشد شمال صرص فأخبرهم بأنه رأى تسعة من الأنصار كلهم راجلون جادون في السير فاركبوا وراءه خيلا فيها صديقي الشيخ عبد الجليل الصادق وأرجعونا حزينين .

بين صرص وصواردة :

ثم تمين عبد العظيم مساعد قائدا عاما لبعث صوارده وصرص فنقل ديم صوارده لمرکه ليكون وسط بين العرض وصرص فأقمنا بفرکه قليلا - فبلغ عبد العظيم أن عرب القرارض بأم بکول ينقلون أخبار الديم للترك بعلنا فبين

سرية لترحيلهم برئاسة ابن عمه عبد الله محمد شنكوله . كنت في تلك السرية
وصرنا بالشرق حتى قابلناها اختيننا وراه الجبال حتى التفت الأخير من الليل
اقتحمنا البحر الذي لم نعلم أنه واسع ولولا هضبة في وسط النيل ارتحنا عليها
لكننا من المفرقين ولا أذكر اني بعد ما كنت ماسكا لبجام حصاني أقوده صرت
وراءه ممسكا بمؤخر السرج أحيانا وارتكز على كتفه أحيانا وصباح الغير
عبدى الشديد المانع يوم أمامه حتى خرجنا بالجزيرة متفرقين فلو كان أهلها
مستعدين لقتلنا لأكروها على اقتحام البحر راجعين أو لاستأصلوا قتلارادى
ومشى ولكن الله سلم صيحاتهم وأكثرهم ليام ما بينهم الا صيحات المزعج
فاستسلموا لنا فجمعنا الرجال في مكان خارج الحلة وأمر العامل الجهدية
بجمع البهائم بكل أنواعها وأختار ممن يأمنهم منا ليصحب كل اثنين ما رجلا
الى منزله ليخرج اهله وأولاده مجردين ما يصل من الامتعة ويصل بهم المكان
الذي جاء منه ففي ظرف اربع ساعات جمعنا كل ما يملكون من الامتعة والغلال
والبهائم وسلمت النساء ما عندها من الحلى وكنت كاتب السرية فكسبت لكل
منهم ما سلمه من النقود أو الحلى تماما بعد ذلك رحلناهم منا حيث دلونا على
ان يهرب الجزيرة خور صغير خصناه حتى الماعز خاضته فاسفنا لتعينا مسجرا
اوصلناهم فرقة بالغرب فوجدنا الشيخ عبد العظيم قد احضر المراكب لنقلهم
وقلنا عبر النيل فطلب الكشف وسلم كل أحد ما قيد لأسسه وعين لهم مكانا
شمال ديسا بالغرب في جبل جحا وفرض على رجالهم ملازمة الصلاة كل الاوقات
بالجامع ومن تغيب اعتبر جاسوسا يقتل ثم رأى عبد العظيم أن يختبر حالة
ما وراء عقبة البنات أى أكمة وجزيرة كلب لأنها لم يسبق أن وصلها لحيلولة
عقبة البنات بالر وشلال دال بالبحر فمضى الشيخ حاج على ليحصل العثور من
التخيل وزرع السواقي وعينني معه كاتبنا ايضا فقصوا لنا بواسطة عمدتهم
آدم سليمان فحصرنا النخل شرقا وغربا حتى وصلنا جزيرة كلب ووجدنا بها
الشيخ محمد صالح هلال الازهرى العالم البطيل فجعلت اكر مجلسي معه
ووجدت عنده ضمن كتبه كتاب الخريفى في التصوف فاهله لى (ولهذا
الكتاب قصة ستائى) ففى بعض الايام طلب العامل الشيخ حاج على محمد
صالح هلال بمنزل العمدة الذى يجاوز قبة عكاشه وضره يجرى النخل بعد
ما ارقده على الارض مع انه كان يبغله فلما سمعت صراخ الشيخ محمد صالح

أسرعت إليه ووقفت عليه وهو راقد وجعلته بين رجلين فجاءه المساميل الشيخ
 وكلمني بملظة وحده وشممت منه رائحة (الدكاى) مشروب ربما أسكر فأخذته
 جابيا وأسررت في أذنه أنك شارب دكايا فأتبه ودخل البيت باديا عليه الحجل
 ولكن الاهالى لم يتركوا جلد الشيخ يضيع سدى بل تصرفوا حركة تفضى
 عاقبتها فكتبت للشيخ عبد العظيم بالعبر وأرسلت الكتاب مع عبدى صباح
 الخير فأرسل عبد العظيم طلبا للشيخ بالرجوع وما معه وليبقنى بأكمه وأمر
 صباح الخير يقيم بركة لحينما يعطيه الردى ولمسى ذلك لكثرة أعماله المتعددة
 المتنوعة فلما رأيتنى وحدى وحالة الاهالى مضطربة رحلت في سور من الحجير
 على ربوة شرق قبة عكاشة وليس معى أحد غير حصانى وانما يأتينى العمدة
 بما أحتاجه لى ولحصانى مدة واحد وعشرون يوما حتى وصلنى عبد الله
 ثم تكوله بدل الشيخ حاج على فلطمان البلد وشرع يحبنا ويصن فنه حتى
 صرنا كأننا منهم .

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم :

بعد رجوعنا لفكرة ذهبت للمرضى ولا أذكر السبب في دهاىي له ولكننى
 أذكر في بعض الليالى ضرب النحاس ليلا فاجتمع الناس فرسانا ورجالا في
 ميدان الجامع ينتظرون خروج ولد النجومى من بيتيه فاذا هو الذى ضرب
 النحاس وإذا هو قائم على ظهر غرفة النحاس قائلا بأعلى صوته . قال الله تعالى
 « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخسوهم فزادهم ايمانا وقالوا
 حسبنا الله ونعم الوكيل » فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
 وابتغوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم — انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه
 فلا تخافوهم وخافونى أن كنتم مؤمنين » (ألقاه بصوت ليت القارىء كان
 معنا فسمع صوته ليعلم كيف يكون الالتقاء القرون بالشجاعة في وقت الخوف
 والطمأنينة في وقت المحنة) ثم قال جاءت البومسة الآن من عبد العظيم مساعد
 يغبر باستشهاد النور الكثرى ومن معه بصرى جميعهم لم ينج منهم الا حسن
 ود القوز مجرحا مقطوعة أصابع يده اليسرى ومجروحا في وجهه فالآن أريد
 تعيين جيش ممن يتبرعون بأرواحهم ويكون أميرهم منهم لينهبوا لمرص
 يلقنوا الشهداء ويوفلون بمد حرص لمسافة بيضة يضعون فيها علامة تدل
 العدو على وصولهم هذا المكان ويرجعون لتركه حتى يأتهم أمرنا فكنت من

هؤلاء وأمر علينا ولد النجومى محمد عبد الماجد صاحب قتل ابن عمه محمد
 الفضل ولكننا لما وصلنا فرکه عين عبد العظيم ابن عمه محمد أحمد هاشم أميرا
 مقبلا بصرى وزيد جيش فرکه من العرض وصلنا سمنه وتغن بالفرق رأينا
 جبلا ترعى غرب التبل وحمولا لقاء فبين محمد أحمد هاشم عمى محمد أحمد
 شكاك وأرسلنى معه ككتاب له . فلما وصلنا الاحمال وجدناها بضائع مكررا
 واقمطية ودقيقا فأخذنا عشرها وأخذنا أصحابها للشرق فأعطاهم محمد أحمد
 هاشم وصلواتا ثلاثا أخذوا منهم عشر في كل مكان آخر فكان هذا نواة بيت
 مال مصرى الذى عينت . أمينا له فلما وصلنا صرصر دفنا الشهداء فوضعتنا
 العلامات بين جمى وعمكة وهى أعلام صغيرة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد
 رسول الله محمد المهتدى نظيفة رسول الله وتوجهت مع من توجهوا لوضع
 العلامات كأمر الأمير وكان محمد أحمد هاشم دقيقى المعاملة لا يؤثر أحدا على
 أحد حتى نفسه وبما أنا لم لكن معنا عائلات كنا نأكل بلبلة الذرة مخلوطة
 بالتمر وبعد مدة جاءنا قليل من الذرة جعله الأمير في غرفة أمك مفتاحها بنفسه
 وصار يصرف لكل شخص قسطن في الأسبوع فطلب منه الأمراء الذين معو
 أن يحصم بشيء فرفضه بثانا قلت المثل الذى شاع (صرصر جوعها قرص
 وأميرها حرص لا يؤثر فارسا ولا فرس .) وحينما طال علينا أكل البلبلة بحثنا
 في الجبل فوجدنا جبلا باصلاح قليل يصير مرحاكة أصلعناه وصرنا نظهى
 بالثوبتية الطحن على أحدا والخبز على غيره والطبخ على ثالث والملح من
 تراب مالح . كان على الطبخ يوما فطبخت ملاح لوبيا وضعت الملح فيه دون أن
 أحله في الماء وأصفه قصار طينا فضحكوا على وبما انى ماهر في الطحن والخبز
 اقتصرت عليهما . عزمت على الزواج بفرکه فاستأذنت الأمير الذى سمح لى
 بعد عتاء وسلم بيت المال لمحمد حمودى الحضرى الذى كان تاجرا . وصلت
 فرکه وبنييت بيت العرس الذى كان مكبا طوله وعرضه وارتفاعه لا يزيد عن
 مترين ونصف الا قليلا أعنى كل منهما أربعة أذرع ومكثت نحو شهرين فعلمت
 أن أخى سميد حضر بالرضى ومعه والدى وزوجته وأولاده وسعيد راجع
 لكر كوج بأمرورية فتوجهت للاردى لأوصل والدى لفرکه وبوصولى الاردى
 طلبت من الياس أحمد الزين أمين بيت ولد النجومى أمرا لكل العمال بالطريق
 يسامدوننا بالزوامل والزاد فاستلمته وقمنا فلما وصلنا بلدة بالمحسن غرب دلقو

نزلنا بالخل بقرب منزل رجل تاجر يسمى فضل شنيد فضل عليه عبدنا صباح
 الخير في منزله ليأخذ منه ما يسكت به الطفلين من التمر ففضب فضل وصار
 يسب ويدخل عليه والذي بعد ما رأى سور منزله الواسع كله محاط بالسور باب
 الملاى بالذرة والقمح وأنواع التمر والقطنى . انت يا فضل غضبت من دخول
 العبد وأخذت ثمرات لاسكات طفلين فحينما يصلكم ولد النجومى بجيشه
 ينهبون كل ما تملكه يقال فضل والله ما قدرول يعملوا لى شيئا مما تقول لأنى
 أقتل بابى وأمسك بندقيتى فقال له والذي هم لا يأتوك من الباب وانمسا
 يكسرون السور عدة كسور يدخلون جا حينما يروك يكتفوك (يربطون)
 يدبك ويدخلون ركبتك بينها ويضعون عصا فى داخل ركبتك ويلزوك ما تشاء
 ثم يأتون دفعا حتى آخر دفعه حيث يأخذون التراب الذى يكون مغلويا بشيء
 مما بقى من اللال وإنك ملقى حتى يحلك أهلك بعد ذهاب كل الجيش فانكر
 ذلك جدا فلما وصل بجيش ولد النجومى حصل عليه كما صور تماما ولما جاء
 أهله وحلو وثاقه قال لهم أنا كلن جاءنى لى الله الخضر وأخبرنى بكل ما حصل
 ولكنى ما سمعت نصحه فدغنت محصولاتى فى التراب بسيدا عن بيتى مرنا من
 عنده وكلما جئنا فى بلدة عمدة طالبناء بتنفيذ أمر بيت المال فكان الكثير منهم
 يعصون لولا قوة صباح الخير لتمنا مع أغلبهم (أكثرهم) ولا وصلنا بلدة
 قرقور وجدت حمارا فى مربوط (هر) ساقيه ترعى وكان والذي ومن معه
 تقدمونى حتى وصلوا الحلة وزلوا فى بيت الشيخ . وجدت العمارة فركبتها
 لألحقهم . جاءنى رجل طويل متين أنزلنى منها فلما عارضته فيها صفعتنى
 فوقعت على الأرض منشيا على فلما تأخرت كثيرا رجع صباح الخير يتعرف
 خبرى فوجدنى ملقى على الأرض فلما فقت سألنى فأخبرته بما صنع الرجل
 لى فقلت هنا دربه (أثره) خبته فوجدته بساقيته والحماره ترعى بجايه فأخذ
 الحماره فلما اتبه الرجل لحقه عند مكانه الذى ضربنى فيه فمسك الرجل
 الحماره فصنعه صباح الخير صفة ألقاه بها على الأرض وكثف يديه يظهره
 وساقه معنا وأركبني الحماره حتى وصلنا المنزل فكتمه وأدخل له المصا وألقاه
 فى الشمس .

سألنا عن أحمد عبد الوهاب الزباطى وهو عامل الجبة فقبيل لنا أنه
 بالشرق لتسهيل سرية من أهل الغرب وهذا الذى أتم فازلون فيه منزل زوجته

وبعد قليل حضر أحمد عبد الوهاب الذي رأى والد زوجته مكتوباً فوعلم منه أن من كتبه داخل بيته فدخل علينا وبعد أن رحب بنا أخبرنا أن الرجل المكتوب هو نسيه والد زوجته فطلناه واعتذر كل منا لضاحيه بعدم المعرفة بتنا الليلة عندهم وفي الصباح بارحناهم على رواجهم ثم وصلنا فركه ورحلنا منها بمواظنا الى مصر التي استقمنا بها حتى جاءنا ولد النجومى .

أوغلنا في أرض الحجر والتحمنا مع التربة :

وفي مصر رأى عمى على شكاك أن تفصل من راية مكين النور ومن راية على حمد السيد الرياطى وتبع راية عبد الحليم مساعداً فعلاً تبعناه وذلك لأسباب اقتصادية وقد صار عمى على شكاك وكيلاً للراية وصرت أنا كاتباً نائباً للشوثة وأمين الشوثة يدعى فرح الصاحب معمد والباشكاتب بابكر كرم الله عيده وبالنسبة لكثرة عائلتي وقلة الغلال صرت أختلص الغلال كل يوم صرفية مع من آمنهم حتى جمعت أكثر من أربب جطلته في عدلين ثمارتين ووصعتهما بفرفتي الخاصة بى وزوجتى البقيع بنت عثمان فاشتبه في أمين الشوثة وأخبر عبد الحليم الأمير الذى قرر رفتى فاتهمت عمى على شكاك وأخبرت والذى الذى حكم قياساً بفلقه ونهاني أن أعتقد ذلك فبعد قليل أرسل عبد الحليم مساعد أرسل مراكب للسكوت والمحس لتأتى بالغلال والتمر وعلف الغيل فكتبت اسمى ضمن مندوبى هذه المأمورية وعرض الكشف على عبد الحليم الذى أقروا ميدنياً وبعد ما قابله عمى على شكاك بعد يوم شطب اسمى واسم قريتنا عطا المنان القومضى وهو عدل عمى على وبينهما حصام فعارض عطا المنان عينا وقال للأمير انت ظالم لأنك تسمح لابن أخيك هاشم سنوياً بمر على القسمين فيرجع منها عنيماً أما أنا لم أتكلم ولكن أقنعت والذى أن عمى على هو الذى سقى في هذا التأخير وقبل قيام المراكب توجهه عبد الحليم لفرقة الهجرة فدخلت معه فيها وصارحته بما يأتى يا عمى عبد الحليم نحن ما خرجنا من رأيه مكين ولد النور وفارقنا أهلنا الرياطاب الذين بقوا بها الآن الا ننتال منك بعض الراحة في عيشتنا لقد تركت لأنك تعلم أن الدين واحد في كلا الرأيتين قالت يا عم عبد الحليم رفتى من الشوثة والآن شطبت اسمى بعد ما صدقت ميدنياً فهذا العمل يشين سمعى زيادة على تضيق عيشى مع علمك بكثرة

من أعولهم فإذا كنت مصمما على هذه المعاملة لى فانى أنفصحك بأنى وكل من فى مقدومية على شكاكك يتصلون معى حتى شقيقه محمد أحمد شكاكك فمسأله ألى شئت فأرسل له أامامى وسأله عن صحة قولى فقال له عمى على شكاكك والده موجود معنا وهو كبيرنا فلذا أمرنى قمى بأن انفصل منك لا يمكننى أن أخالنه وخرج عمى على شكاكك فقال لى عيد العظيم أنت تسافر فى المراكب قلت والأآن عائلتى عرافته فأكتب لى لبيت المال كمسوة فقال لى أكتب ورقة من كل نوع قطعة واحدة فكتبت عشرة أنواع والمادة يكون الأمر بالصرف هكذا :

« المحترم أمين بيت مال مصر - أصرف الأشياء الموضحة أعلاه لفلان إرادة ضرر »

فمرضت له الورقة فمضاها بخطه فأخذتها وحفظتها الى آخر يوم تسافر فيه المراكب ليلا لتصبح فى شلال سمه صباحا ففعلت يعين كل عبد صغرا ومشيت عند الغروب ومعى صباح الخير لمحمد حمودى طلبت منه صرف الاذن فقال لى : أنا ماشى للجامع تمال عدا فقلت له لا يمكن أن تحرك قبل أن تصرف لى فلما رأى صباح الخير معى وهو وحده رجع وصار يرمى لنا كل نوع حتى يكمل العدد يرمى لنا غيره حتى أتمنا الصرف فربطت من كل نوع تسعة وسفرت بها أخى موسى للعرض فباعها واشترى لنا من ثمنها ثاقفة وحملها غلالا وجاء بباقي النقود وجعلها رأس مال دخل بها السوق جزارا مرة وتاجر فاتورة مرة أو غلال وهكذا ونحن سافرنا صحرا بالمراكب كان عامل دلقو محمد الحاج الخضمر قبلى من جيران شيخنا الفقيه أحمد الكراس ومن مكان رفاعة فلما رآنى رحب بى ترحيبا حارا وعاملنى معاملة جعلتني عنده واسطة خير لمن جاءوا معى فأعطانى أردوين غلال وثلاثة أراذب تمرا وأرسلنى فى المركب التى تصعد شلال كاجبار حيث المندوب بها الصافى ود حاج عبد الله الذى هو فى قيد الحياة بمشرع أبى روف فأعطانى بدوره أردب تمرا ومائة كليفة قصب لحصائى ورجعنا لللقو فجعل الجماعة يكلفوننى أنوسط لهم عند محمد الخضمر: صار يقول لى اعطه كم ريالا أقول له ريالين ثلاثة يعطيه فبعد مرمين قال لى (سجم أمك) فعلمت أنه يعطيهم مما قرره لى فأمسكت عن الوساطة وجئت ما بقى واحد وعشرين ريالا من ثلاثين ريالا التى كان قررها لى هدية فأخذت كل ما أعطيت ورجعنا بالمراكب فحاول عيد العظيم أن يجرنا مما معنا ولكننا وسطنا له الشيخ العاقب قاضى السرية الذى هددناه بأننا نشتكىه عندك فنصح

له بقوله أنه إذا اشتكوا له يحكم لنا ضده فتركنا وشكرنا أخوانى على رأيى .
 هذا وبعد ما سافرت بالمرآكب شكاني مصد حودى لعبد الحليم بأى ضايقته
 وهددته بعبدى أخيرا وأخبره بالاعداد التى استلمتها منه فبعد رجوعى طلبنى
 عبد الحليم وقال لى أنت صلحت الورقة قلت له أنت حينما صدقتها كنت محبوسا
 وهل مثل عائلتى يكفيها عشر قطع وكان القاضى حاضرا وهو رباطى ويعرف
 أفراد عائلتنا بالأسماء والذوات . فقال لعبد الحليم لا يمكن أن تكس عائلتهم
 بأقل مما استلم وانهت المسألة بعد قليل اشتد الجوع وحسروا عند المائلات
 بدقة فاحتجنا الى عدلى التمر اللتين اختلستهما حينما كنت بالشولة فوجدناهما
 فارغين فعلمت أنه أخذ من لا يرد ولا أستطيع أن أتجه ثم احتذر اليه لأنى
 لا يمكن أن أستغنى عنه فى اشتداد هذا الحال الذى بلغ فيه الربع المصرى من
 الغلال أربعة رطل مبيدى - رأيت بعينى الشريف سليمان العبيد يخرج كل
 تجمع جمالا من الغلال يقسمه على الناس خارج بيته فى الشوارع عدة جمع
 خيرية ولم أر ازدحاما من الناس غير اعتيادى حتى يؤذى بعضهم بعضا فعملت
 أنسج من كرمه وقناصهم البادية فى نظامهم .

فكان موسى أخى وصباح الخير يأخذون العصابة والنساقة يتوجهون
 ليجلبوا رطب التمر أو كلما سمعوا بأن الأهالى يريد قتل السمك فى بعض
 الترع يحضرون بينهم فيأتون بسمك كثير تأكل من طريه وهدد الباقي لحفظه .
 خرجت سرية برقامة عبد الحفيظ شمت فزرت طاية خور موسى ياشا وبعد
 ما دخلوا القيقر جاء المدد من عنكش وأخرجوا الأنصار بعد ما قتل أكثرهم
 وقد رأيت عبد الحفيظ وبه أربعة عشر جرحا بالمنج تدلوى كلها بالسمن المطلى
 وهو يستأنس مع عواده كان المصمى عليه غيره .

واقعة الجميزة :

لم يسكت عبد الحليم على هذه الحادثة ونسب مرة أخرى برقامة حسين
 ولد جبارة ببعض الناس ليكونوا كقاعدة يرجع اليهم وانتدب عثمان أزرق غازيا
 فلما قربنا من خور موسى ياشا قال قائل منا الأحسن قلب قضيب السمكة
 العديد لنمط اذا فعلنا لئلا قطع الطمو علينا خط الرجعة فأخذنا نسمك
 الفلك فلا نستطيع تحريكه لاتصاله ببعضه وربطه بالقضيب فلما قمنا قال لنا

عبد الرحيم أحمد الرباطي أنا كنت دفنت مفتاحا يفتح القضيبي عن بعضه
فليمش معي خمسة من القراذ يقفون خلفي لعل أجده فمشيت ضمن هذا
الحرس وبعد دقائق رجع لنا عبد الرحيم ويده المفتاح ففصلنا به قضيبي عن
بعضهما وصرفنا قلب القضيبي بسهولة حتى قلبنا نحو ميلين أو أكثر ثم نزلنا
خور موسى باشا حيث صلينا الصبح أول الفجر وقرأنا الراتب الصغير ومشينا
حتى طلعت علينا الشمس وكلما مرت قنبلة على رؤوسنا فجرى وراءها وقول
لها سلمى سلمى فبعد وقوعها على الأرض ينحوس بعضها فتأخذها من الأرض
وتكث مساميرها بواسطة من يتقنون فكها منا ثم تفرغ بارودها وتحفظه ولكن
لا ينفع وبعد ساعة على وقوفنا صفوفا والخيول ترقص لمسافة وترجع للصف
كأننا في عرضة الجبهة إذ رأينا حركة غير اعتيادية نحمو عنكش فتأكدنا أنه
استعداد جيش للخروج علينا فكررنا راجعين ولكننا راجعين بنير طريق البحر
فندب منا خيل كنت من ضمنها لتسير على طريق البحر الذي جهنا به لربما نجد
مريضاً أو فترلاً أو خائناً يريد الدخول للقيقر وصحب جيشنا ليتوصل به
لفرضه وفعلنا وجدنا ما ظننا فدرجنا العاطل وبعد ما تعدينا ما قلبناه في سكة
الحديد جنوباً إلهاماً لنا فوجدنا حفلة بها رطباً ومشراً سهلاً لسمي الخيل فنزلناه
وطلع صباح الخير النخلة يرمي لنا الرطب ونحن نأكل مطمئنين إذ رأيت ذيل
حصان أبيض في ثنية جبل فقلت لصباح الخير انظر شرقاً ماذا ترى فصباح :
« أخوانكم معكم » وهي جملة مصطلح عليها تنبئ بوصول العدو فالجئنا
خيلاً وركبنا فلما تقدمنا قليلاً رأينا السوارى والهجاة قريباً منا فالتفتنا لهم
وكررنا عليهم ونحن قليلون فهربوا منا وطمعوا الجبال فطلعتنا وراءهم فأصيب
حصان أحدهم المدعو أبا زيد ادريس من أخواتنا الدفاعة فكسرت رجل الحصان
الذي رفعها وجرى نحو خيل العدو فأخذ أبو زيد خمسة من جمال العدو وكانت
باركة في سفح الجبل وأصحابها يبيدون عنها يطاربونها ولما طلعتنا في سهل بين
الجبال ضربت أحداً بحرثتي الكبيرة فأثنتي سناها فرميت بها كما أن ثوب
غطائي وقع في الأرض أثناء المقاتلة مع العدو فرأيت مكانه بقرب المعسرية
واكتشفت عنها بما هو أهم منها وكنت طعنت عسكرنا مصرماً ونحن بالأرض
فوقع على جسر المسكة حديد قبل طلوعنا فلما طلعتنا الجبل معهم صار العدو
وهو أضماقنا إذا هجمنا عليه يتقهقر وإذا تركناه يقدم علينا وما زال كذلك

حتى سمع جيشنا الذي سار بنير الشامي صوت السلاح فقدم اليها وفي هذا الكرو والفر قتل بكباشا انجليزى وأخذنا جمالا منهم وما زالوا يدرجونا حتى أوصلونا البيادة عند رأس السكة حديد المقطوع فوجدناهم مصطفين قلمسا رأوا رأيناهم قال أحمد أبو من أمير اللصوصي لعثمان أزرق الأمير العام الأحسن أن تقف وراء هذا الجبل وترك العدو يقدم علينا فنهجم عليه في هذا السهل ولا نمكنه يؤدي الخيل والناس فرد عليهم عبد الحفيظ شمت « الخيل خيل المهدي تموت في سنة المهدي » فسكت أحمد أبو من ووضع رجله على قريوس حصانه فلما استعد العدو رمانا بطلق متحد فهرب عثمان وعبد الحفيظ وغيرهم وأنا هربت معهم ولكن بعد ما تقدمت مسافة قليلة التفت فرأيت أحمد أبو من ومعه ابن عمي المحدثي مصطفى والطاهر اسطق الزغاوي واقفين مكانهم فرجعت لهم وقلت لأحمد أبي من لماذا أنت واقف ؟ فقال : خيل المهدي تموت في المهدي — فأخذت لجام حصانه وقدرته ورجعنا ولكن نزلنا بطريق البحر فوجدنا عمي محمد أحمد شكاك ومعه كثير من الرجال فلما وصلنا مكان العسكري المتبول على جسر السكة حديد قطع عمي محمد أحمد رأسه وقد أدخله في مختلا فلما قابلت الطريق الذي صعدنا به في الجبل صعدت به رغم معارضة عمي محمد أحمد لأخذ ثوبي وحرتي وصعدت فعلا فوجدتها ووجدت بجانبها بريلة بهالها ولما وصلنا صرص راجعين أرسل البصاا ورأس العسكري ويريلة البكباشى لود النجومي الذي أرسلها بدوره لخليفة المهدي . هذه الواقعة تسمى واقعة البصيرة .

بعد قليل عينوا عثمان أزرق أميرا علينا ونصن سوارى وبيادة مجموعنا أربعمئة رجل غزوا في بلد يدعى — سبرى — شمال حلقا بالقرب . دخلنا البلد عند شروق الشمس ونهنا بهائمها ومحصولاتها وكان البصل كثير فتعرض لنا رجل يدعى خليل ابراهيم وألقته مستخدم حكومة برمي رصاص بنقيته علينا فدخلنا عليه في مكتبه وقبل أن يفصله رماه أحد المجساهدين برصاصه فقتله وبعد قليل حضر الوابور يعمل بلكا من الجيش فواقمناه على بعد السلاح ولم فختلط بهم ولما اشتد الحر كرونا راجعين قبل أن تزود من الماء الكافي فمعد الغروب قسموا لنا بصلا خفف علينا وطاة الطلش ومضينا سائرين أكثر الليل حتى وصلنا ثونة العديد جنوب حلقا بالقرب حيث يربط بعضها

هاك فتمرينا وارمنا ثم استأفنا المير نصرص حيث قسم عبد العظيم ماوصلنا به من متاع على الرايات بالتساوى الشيء الذى لم يرض به الأمير حموده ادريس الهباني نائب مساعد قيديم بصرص ولكن عبد العظيم لم يبال فكتب حموده لمساعد بالأردى الذى أرسل كتابه لخليفة المهدي .

بين خليفة المهدي وولد النجومى :

طلب الخليفة عبد الله من عبد العظيم أن يحضر الى أم درمان ومعه ولد النجومى فى دوره الأخير فلما وصلوا أم درمان عتب خليفة المهدي عليهما ولما رجع عبد العظيم نصرص قال له عمى على شكاك ليتك أخذتني معك لأرى خليفة المهدي فقال له عبد العظيم والله لو مشيت معنا ترجع متكرا فيه ما سمعه وما تراه من غيره . قيل ان خليفة المهدي وبغ ولد النجومى بقوله « اقت يا ولد النجومى هوين أخوانك الذين مملك كلهم استشهدوا فأنت الى متى تحيا خائفا من الموت . وبرجوع ولد النجومى صار الخليفة يرسل له ما يسميهم بالأمناء لينظروا فى الخلاف الذى بينه وبين مساعد قيديم حتى آكل الأمر الى ارسال يونس الدكيم رئيسا عليهما معا فلما وصل يونس الأردى وقرأ أمر تعيينه بالجامع فى حفل حافل بعد صلاة الظهر بأن يكون كلا من ولد النجومى ومساعد ليونس كالميت بين يدى الفصل فما كان من ولد النجومى تلوا انتهاء القارىء الا أن تقدم ليونس الذى كان جالسا بالمحراب فسلمه سيفه وحرا به وقالوا أنه سحب سكينه من خراعه الشمال ووضعها مع ماقدمه من سلاحه فشكره يونس الدكيم بقوله : « بارك الله فيك أنت يا ولد النجومى من أبكار المهدي عم - ومن أعظم قوادنا المنصورين ثم تلاه مساعد قيديم فعمل مثل عمله فاقتاد ولد النجومى اهيادا تاما وترك السياسة تركا باتا حتى وانى رأته يخرج من بيته للعصاة ويرجع منفردا مما أدى الى احترام يونس له اما بمساعد قيديم فأنى رأيت يوما يونس فى العرضه يوم الجمعة يناديه قائلا له مساعد كى : أنزل خذلك طلقه المعنى ، أنزل من حصانك وخذ حربتك وأجر برجليك مسافة ثم ارجع جاريا دون أن تقف وهكذا يفعل صماليك التقوم فعندما ينزل مساعد قيديم ويبعد قليلا يلتفت يونس الى من معه قائلا : « الله عليك ما خلعت لآك عبيد » سخرية به فيرجع ويركب حصانه فيبعد قليلا يكرر له هذه العبارة مرتين أو مرات كان سلاح النار أيام ولد النجومى برئاسة

حسن بن عمه فلما جاءه يونس عزله عنه وولى عليه أحد عبيده ثم أطلق يده فمزل كل عمال ولد النجومى من تحصيل الضرائب وأبدلهم ببنيده فى الأماكن الطبية والأماكن الأخرى كالحصن والسكوت يمين فيها من يقدم الهدية الكبيرة أو الخدمة الجليلة وإذا فاقس بعض عمال ولد النجومى بعد عزلهم سجن وضرب وبعضهم جنع له العقابين ومن ضمنهم من يدعى محمد نور الكتيابى عامل الخندق فقد أمر بضربه خمسمائة سوط فضرب على صلبه حتى خرج وورم ثم ضرب على بطنه حتى أصبح يرى به منبسطا على حمار فنظروا الى مكان يضرب عليه فلما لم يحدوا له قال لهم اتم نسيتم لسانى وأخرجهم لهم فتمم الضرب على رأسه وضرب الشيخ عوض الكريم بن على الذى كان يدرس المعلم الى عهد قريب بالمعهد العلمى بأم درمان ويؤم بعض المصلين فى صلاة المغرب فى شارع الأربعين الى اليوم صرب خمسمائة سوط لأنه كتب نصيحة وأتقأها ليونس دون امضاء فاتهم بها العمال الكبار المعزولين لأن عوض الكريم اذ ذاك كان عمره فوق العشرين سنة قليلا أو فيها فلما رأى أن غيره سيماقب بجريمته وخصوصا القاضى عثمان عبد المطلب الذى وجهت له التهمة أكثر من غيره كما اعتبرها يونس جريمة قدم نفسه له وأخذ جزاءه فهذه شهامة ونبالة عظيمة .

يونس ودالكيم امراة علما :

فى أيام يونس اشتدت علينا وطأة المجاعة بصرى حتى صار بعض الأنصار يرحلون من صرصر فاجتمع أمراء الدناقلة عند عبد العظيم فتحدثوا فيما يرضع الجوع وهجموا حلقا يموت من يموت ويرتاح الحى من هذه الحالة فقد رايت شيخ اجرس أحمد هاشم وهو على حصانه الكبير الجسم الجميل الصورة وقال يا أصعب المهدى أن جيم الجوع مقرونة بجيم الجنة فى كل أنحاء السودان خصوصا فى قور الرىاطات فمن أراد أن يستريح من الجوع فليقلع الجنة ويدخل حلقا أو ماوراءها فيرتاح من الجوع فكانت هذه الجملة نهاية المجلس الذى كان مقودا على ظهور الخيل فى مكان المرض وفى رمضان سنة ١٣٠٥ هـ أرسل ولد النجومى جابيا كبيرا من الأبل التى غنمت من قبيلة رفاعة أبى روف لنا فى صرصر قسمت على الرايات وذبحت قمتها الناس من

لعمها ولما جاء وقت السحور أنا في ذلك اليوم ما صحت للسحور ولكن زوجتي وأخواني وكل جيرانا قالوا انهم رأوا كبرية تبيت من اللحم حتى انك لترى في قم الماضع المضغة يمضغها كأن الوقت تهارقما العلة يا ترى في هذه الظاهرة وكيف يعلمها العلم أم تعلينا لها في وقت حدوثها فانا نعتبرها كرامة لنا كما اعتبرنا الضوء الذي يلح من رؤوس الحراب ليلا والنار التي تأكل أجسام من تقتلهم .

من ضمن عمال يونس ولد الدكيم بالحصن سعيد أخى الأكبر الذى كان يندبه الأمراء بدقلة ليحضر لهم الرماح للحراب من كركوج فلما تحقق غرب قيام ولد النجومى من الرضى لنزوة القطر المصرى جمننا والذى وقال الأحسن أن تعطوني العائلات أسكن بها مع سعيد بالحصن وأنتم ساغروا مع ولد النجومى . اذا قتلتم الترك فاحضروا لنا الواپورات البحرية لتصلكم بها وأن هزمتم تكونوا خفافا ترجعوا لنا فنجتمع وكافت والدتى الصماء العقيمة في المجلس فهجمت على والدى وقبضت على خده وقالت له « هوى يادا الراجل الكافر صد براك من الله نحن ما صادين شىء » فضحك والدى ورجع فملا لسعيد وبقي معه حتى هزمتا ورجعت له زوجته الثانية فأخذها وتوجه لكر كوج . كان والذى يقول ذلك وهو على يقين أن جيشنا سيهزم ومن أقواله ان ولد النجومى بليد يسافر بلا مؤونة قالت له والدتى لا تتكلم في ولد النجومى رابع الخلفاء وما زالت مؤمنة الى أن توفيت بأم درمان وهى تقول « أحيى يا رقيده في ضل القبة » المعنى واشوقى الطار التمنى رقيه في ظل قبة المهدي « عم »

كنت في ليلة أقرأ في كتاب الحرفشى على ضوء عود من خشب الفلنك المدهن وكان رأسه المضىء لأعلى وزوجتى بجانبى فلما أطلت القراءة أخذت العود وطلمسته في التراب وقالت : « كمالك قرابة » فوضعت الكتاب على الإنافى وقمنا لننام ففي سحر تلك الليلة ضرب النحاس فركبت حصانى كالعادة وسافرنا لجهة حلفاء ، لما بلننا أن الترك يتحركون لصرص فاقمنا في هذه السفرة ثلاثة عشر يوما ما فكبتنا الكراوات ولا قلعتا الجيب وفي كل ليلة لنا خفراء ورباطنا وصل الى ما بعد حلة نجنى ولما لم يأتنا أحد رجعتا فوجدنا أن الديم بصرص تحول غريبا استعدادا للسفر مع ولد النجومى عندما يصل صرص ووجدت في مجل منزلى عليه ردم المقف فما استطعت الحصول على كتاب الحرفشى

لضييق الوقت فانتظرونا ولد النجومى بالغرب وسافروا معه يوم ٢٨ رمضان
سنة ١٣٠٦

واقعة أرقين:

حينما رحل الدير للغرب سافر يوسف أخى وهو وقتئذ تحت البلوع
ومعه صباح الخير الى العرضى لياتوتا بمقوفة فلما رجعا وجدانا سافرا فعلا.
قبل أسبوع أخبرنى يوسف وهو صادق كما يعلم عارفوه أنه قال « لم أقتنع
بسرهم حتى علمنا طوعا من الفلنك وعبرنا النهر للغرب فدخلت الدير فوجدت
صاحبى المدعو ماسكا رجلا من شخص ميت معه فى البيت
وبضغ فيها فلما قريت منه لم يعرفنى وقاديت به اسمه قالت على ولم يعرفنى
فعلمت أنه فى غيبوبة تركته ورجعنا للشرق حيث توجهنا لوالدى بالمص
فأم درمان » أما نحن فسافروا مع ولد النجومى وأميرنا عبد العظيم فلما وصلنا
شوة العديد قضينا فيها الليلة وعند السحر ضرب النحاس وفى أثناء الاستعداد
للسفر طلع الوقت فصلينا الصبح ولم نقرأ الراتب فواصلنا سريعا . فما طلعت
الشمس الا ونحن قبالة أرقين حيث نرى النخل على مسافة ثلاثة أميال تقريبا.
زلنا الى البحر فوجدنا النخل حمله كله نيا فقطعناه لأننا جائعون وأخذنا الماء
للمائلات بالدير ورجعنا لمقابلة العدو الذى ما كان يعلم أين نزلنا ورتب الجيش
كالاتى :-

ولد النجومى ووزيره عبد العظيم بقيا فى الدير - حسن جباره سلاح
النار قبلى أرقين بالقرب من قبالة التوفيقية - الأمير ولد أبيض بحرى البلد
مع الطبقية والمدافع استعدادا للوابورات التى تجىء من الشمال والفرسان
والقراية فى الوسط . بعد قليل نحو الساعة ٢٣٠ ظهرنا قد ظهرت الوابورات
والبيادة فهجم علينا البيادة فلما هجمنا عليهم تهقروا حتى قابلنا الوابورات
وصرنا نحن والساكر الذين رمتناهم فى شاطئ البحر تتحارب والماء الى وسط
أجسام بعضنا أو أعناق البعض ومكاننا به زرع فرة فكان يميننا ولما علم القائد
الانجليزى بأن لنا مدافع صوب على غرضها مدافعهم فحلت قذائفهم المدافع ومن
يستعملونها ولم ينجم منهم أحد وكنا نظن أن حسن جباره ينجدها سلاح النار
ولكن أرسلت اليه أرطه فزخته فاقسم جيشه أقسام بعضهم ماتوا وبعضهم

هربوا لدينا وأكثرهم سلم للأرطة لأنهم سوداية وتلك الأرطة رجعت اليينا
في جنوب الوابورات والأرطة التي كنا نطارها من بحري فلما كان نحو الساعة ٥
هجمت القرسان منا على الأرطة الجنوبية ففى نحو عشر دقائق لم يبق رجل
وحصائمه سائين الا قليل منهم ونحن القرابة (البيادة) اضطررنا الوابورات
والأورطة الشمالية للتقهقر .

الكوز مجيدى :

سبق فارس يدعى عبد القادر المجب بالخبر لولد النجومى الذى كان
ومن معه واقفون خارج الديم فلما قال له عبد القادر ناستا كلهم ماتوا رد عليه
ود النجومى مفضبا « أنت مالك مامت » أى لأى سبب أنت لا تموت مثلهم .
رجعنا للديم ليلا مهزومين . ثم بتنا ليلتنا وأصبحنا مامنا أحمد له رغبة في الجهاد
ولكن بعض الناس لهم عائلات مثلنا ياكروا النهر وأخذوا الماء قبل أن تحضر
الوابورات التي وصلت نحو الساعة ٦ صباحا ومنعت الناس من أخذ الماء أو
التمر النوى فلما صار النهار الساعة ١٢ صار كوز الماء بريال مجيدى قول
شاعرهم من القراريش مثلهما شامتهم علينا :

مهير ود هاوس اب حيلة شديدى حبر المويه خل الكوز مجيدى
من قصيدة أثرت فينا أثرا سيئا لم أحفظ منها غير هذا البيت وقد رأيت
يمينى أحمد عبد الحليم طلب . من موسى أخى ماء يشربه فلما موسى له الكوز
ملئا . أنظر لكرم موسى رحمه الله حتى فى أضيق الساعات . فى تلك الساعة
كانه الياس ولد أحمد الزين - أمين بيت مال ولد النجومى - فى النزح ووالده
الشائب معه فدخلت عليهم فى خيمتهم ووجدت ولد النجومى معهم يقول لوالده:
يا عمى أحمد الياس الحمد لله منع الشهادة . فانا استشهد من بنى عمى وأولادهم
فلان وفلان وعند نحو سبعة أشخاص فرد عليه أحمد ولد الزين : يا شيخ عبد
الرحمن أنا لا أحتاج الى تسمية - اسكت بارك الله فيك أنا ماجئت من بلدى
لا أكسب مالا أو جاها وإنما جئت بأولادى وخرجت عن عمارتى للموت وفى
ساعتنا تلك توفى الياس فجوزناه ودفناه فى قبر وحده فذكرنى ابعاده البيت
الذى يضرب به مثلا للتقيد اللفظى فى علم البلاغة :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

في تلك الليلة انشد المجلس الأعلى للحرب بعضهم حسنوا الرجوع حيث
 ا لهم هزموا في أول موقعة وأعظم قوتهم ذهب فتورطهم في بلاد العدو يمتبر
 اتحاروا وكان من أهل هذا الرأي بعض أقارب ولد النجومي وعبد السلام
 الحاج بله والبعض الآخر ومنهم ولد النجومي قرروا الاستمرار في السفر .
 ففي تلك الليلة رجع بعض ممن حسنوا الرجوع فالتقهم ولد النجومي من
 ردهم . وفي صبيحة يوم ثالث الوقعة بارحنا أرقين بعد أن حرقوا المثقلات
 كالخيام وبعض سروج البهائم التي ماتت وعقريات . وحينما مررنا على
 حروف فيها بامية وملوخية فكنت من المتأخرين فكان من سبقونا يأكلون البامية
 وورقها وفروعها ولما أتينا بعدهم قلنا العروق ومضغناها فستطلى طعنها ولم
 نألف من لزوجتها التي لولا شدة الجوع لما سألناهم ولما قبلتها معدة فوصلنا
 فرص وما تكامل البيض برس حتى الساعة ٣ بعد الظهر مع أن المسافة لا تزيد
 على سبعة أميال تحريا فوضع الديم كالمسافة على بعد أربعة أميال من النهر
 خوفا من سلاح الوايبروت وناهيك بأذى الزمن فيضان والوايبروت يكشف بعيدا
 وكان عسى محمد أحمد شكاك مجروحا في ركبته والمذني وهو ابن عسى وزوج
 شقيقتي الكبرى السهوة مضروبا في إيهام يده اليمنى فلم يبق معي غير موسى
 أخى الذي يبنى وبينه أربع سنوات ومعنا غيره - أختي وبناتها ووالدنا وأختنا
 الحسني وعمرها نحو اثنتي عشرة سنة وأختنا أم طبول والبتول وزوجة والدي .
 حملنا نيتنا من حرام وأثواب وسكننا نحن جميعا فيه وفي المساء نزلت
 البحر وأحضرت للماء على أحد حمارنا وفي الصباح قال لي موسى أما أن تأتي
 بالماء وأنا آتي بالتمر أو العكس . أختار موسى الماء ثم رجع فقال لي أنا أعرف
 مفلوح النخل أكثر منك فأت أذهب للماء وأنا أذهب للتمر فوجهنا معا كل على
 حمار حتى قربنا من النهر فموسى توجه نحو النخل فوقعت مكاني أنظر إليه
 لأنه لا يعرف طرق الحرب حتى رأيته طلع النخلة ولم يكن أحد هناك من العدو
 فذهبت للماء فوجدت كثيرا من الناس واقفين ورأه للنازل ورأيت وايبر البحر
 وسط النيل فوضعت سيني وحرامي عند من أتق به وربطت سرج حمارى جيئنا
 وضررته بالحصى فلما وصلت الشاطئ وجدته عاليا فحملت الحمار من صلبه
 ودمر جته حتى وصلت النهر وهنا أقول الواقع ولا أحمل الناس على تصديقي
 فيه حملا والله يعلم إلى ما أقوله وأكتبه هو الواقع وضعت القربتين في المساء

وجلست بين الرصاص حتى بلت القربان ملأت أحدهما وأوصلتهما قرب السهل خوفاً من أن تظهر فيأخذها أحد ثم رجعت للقرية الثانية فملأها وبدأت أربطها فاقطع حبلها ولا أخرى ما قطعه ولكنني في تلك الساعة تصورت أنه قطعت رصاصة لكثرة الرصاص حولي ولكن الله ملم . فرغت القرية وطلعت أكتفى بالأولى ثم تذكرت اني أربطها يدك سروالي فرجعت للنهر وصرت أملا القرية فوقف من في الوايوور عن ضربي ولكن حماري المكتوف ضربته رصاصة في عرقه فأخرجت القرية الثانية بجوار أختها ووجعت للحمار وضربت بالمصا فوقف نشطا فسقيته وطلعت حملت عليه القربتين ونهبت مسرعا . سبقت موسى أخى فشرب الناس وبعث من الماء ستة أكواز بستة ريالات مجيدى . اشترمت بها لحما جقودا ثم حضر موسى بالتمر فأخذت السهوة تمد لنا الطعام وهو مركب من التمر الأخضر واللحم الجقود أى لحم الجمال التى قترت من المشى لضعفها تطبخه معا في قدر النحاس .

في شأن الله والرسول :

لما جاء أخى موسى شرب وأخلت له مكاني وجلست في صدره وزئب بنت السهوة جلست في حجره ونحن على تلك الحالة اذ وصلتنا شطية جله من المذافع التى نصبها لنا العدو في الشرق فضربت أخى موسى في صلبه بعد ما خطفت رأس البنية التى ماتت وهى قاعدة لم يحصل منها حركة غير صم قمها أما موسى فكسرت صلبه فبهتنا جميعا من رجتها فكل منا ظن أنه الذى ضرب . فبعد ثوانى قلت من يكشف الحقيقة غيرى ففقت وهزوت بدلى فوجدته سالما ورأيت البنية وأنا عارضها ورأيت أخى موسى يتن فالتفت الى الباقيين وقلت لهم كلكم سالون الا موسى وزئب فأخفت والدتي حرية صغيرة كانت بجانبها فمزتها وقالت موسى ولدى وهبت لله تعالى . دفنت البنت وأصبحنا مقيمين لكثرة الجرحى وفي الليلة أحضرت لموسى مدينة غلال قليلة رقيقة فأطعمته اياها كأني أجرحه ماء وحيث لا اسعافات ولا أطباء أصبح الجراح متعفنا وحالة الجرح متفيرة في تلك الساعة ضرب النحاس وقام الجيش وقام معه المدنى وعيسى محمد أحمد وعلي شكاك والنصور أبو كوع وموسى الثمامي وكلنا كنا في تاية ولمدة وركبت السهوة على حمار والحمار الثانى حملوا عليه الأمتعة

وبقيا أنا وأمي والحسنى مع موسى فجاءني عثمان أزرق الذى كان مسند اليه تنفير الناس من الديم مهما كانت حالاتهم لئلا يؤسروا فيقتلون لأن الترك فى أول أمرهم كانوا يقتلون الأسرى فلما قابلنى عثمان أزرق قال لى قم قلت وهذا وأشرت الى موسى المحتضر فقال لى أتركه لى الله قلت لماذا لا تترك حاج أحمد أخاك وأركبت فى « شبرية » هودج كالمرس فضحك وفاتنا ثم أبى أحدث قحفا ووردت البحر وأتيت بالماء فيه سقيت أمى وأختى وصرت تنقط الماء لأخى فى حلقه حتى فاضت روحه فكفتمته فى فردته الدمور وفروته التى ربطتها عليه وحضرت الرمل من خلفه حتى افهار جسده فى الحفرة فقلبتة نحو القبلة وهبات عليه الرمل وودعته بها قرأته له ومشيئا عنه فلما خرجنا من الديم وكنا آخر من خرج منه لحقنا فارسان من الشايقة على ما أفلن فلما قربا مسأ أجلست والدنى على حجر وكانت خميفة البصر فبعثت عنها نحو الفارسين ومددت البنطقة نحوهما فرجما عنا فأخذتها ثانية وأومات لهما بالبندقية فرجما نهائيا فأخذت بيدها وجعلت أمشى كمشيها فأذا عثرت على حجر قالت : « فى شأن الله والرسول » رافعة بها صوتها بحماس (أفطر يا قارئى لهذه العقيدة التى تجعلنا لا نشعر بفقد الصديق الشقيق المريد فقد فى وقت الحاجة اليه ثم مات ميتة غير اعتيادية ثم دفن دفنا رخيصة بلا أحد يفسه ولا سلاة ولا غسل ونحن فى حالة مجاعة وعدم أمن وفقدان نصر وكل هذا لم يؤثر فى عقيدتنا ولم يضعف من مهنيتها هذه والله هى التعليمات القيمة والقيادة الدينية الخالصة) . ولما مشينا نحو الساعة ارتفع النهار واشتد الحر وتعبت والدنى . لذلك تركتهما فى ظل جبل عال على قارعة الطريق ومشيت بنفى فلحقت الجيش الذى وجدته فارلا قبلى حة بلانا شمال أى سنبل نحو ميل أو أقل — قصصت صديقى وابن عمى وابن خالى عبد الله حاج الحصن قديلاوى قلت له أنى تركت أمى والحسنى أختى فى ظل جبل لمجهزهما عن متابعة السير وجئتك تعطينى جملك أوصلها به فقال لى أقعد حتى يأتى الجمل من البحر . وبعد قليل حضر الجمل وعليه قربتان ثلاثان ماء فقال لى اركبه فركبت لما وقف الجمل بى سمعت والدته تقول له يا عبد الله تعطى بابكر الجمل وعليه قربتا ماء فوقعت لأسمع رده عليها فقال لها الجمل اذا سلم بابكر وأوصله البلد ابتاع رخيصة بل بيع بأعلى ثمن . سررت لرده هذا ولكزت الجمل بى على فانطلق بى حتى وصلتنيهما . ركبتي

والدتي والصنعي خلفها وقلت الجبل ولم أسقهما ولا غيرهما من القريتين حتى أزلتهما بمنزلنا وأدخلنا الجبل لصاحبه وقلت لو ألدته عمتي الحاجة أئمنه: هذا الجبل وهذه القريتان لم يصل وكاؤهما فأنكسفت وقالت لي: الجبل ياولدى جبلك والماء ماؤك فلم أذكر لها ما قالت وانصرفت شاكرة عبد الله الذى مكنتنى الله تعالى من مكافأته حينما احتاج لى وأما عنى بحمد الله .

أنا والحصار بين الماء والنار :

في المساء نحو الساعة ٤ أخذت القريتين والحصارين للبحر الذى وصلته بعد ثلاث ساعات لنضع الحميم فوجدت الوابور بعض النهر فربطت الحصارين وأخذت قرية واحدة وربطت فيها في رقبتي وتسلحجت حتى وصلت الماء فركنت فيه حتى بل رقبتي ثم شربت وملأت قريتي على مسير التيار مخافة أن يسمع من في الوابور صوت الثلبقه فيضروني وبعد ما ملئت أو كانت ربطت آخرها في صلبى وصعدت ما شيا على أربع يدي ورجلي دون أن أقف .

لو ترى يا قارئ ما قامسته من الصعوبة لمجبت لم أجراً أن أسقى الحصارين ولا ملأت القرية الثانية وما وصلت الديم الا قرب الفجر حيث صليت الصبح ونمت قليلا فلما صحت بعث في القرية مئة أكواز بمستقرالات مجبلى اشترت بها تمرا أخضر ولحما جقودا كما بعث أحد الحصارين الذى كاد يموت لمن يذبحونه ويأكلون لحمه بعث بغير ربالات ورجعت مساء ذلك اليوم بالحصار الثانى الذى لم أجراً أيضا أن أسقيه في البحر ولكنى حينما قعدت في الطريق لصلاة العشاء أعطيت قليلا من القرية في قرعة وفي ثاني يوم أيضا بعث ببيع ربالات لمن يذبحونه وصرت أخذ القرية بنفسى كل يوم نحو الساعة ٣٠ هربا وأسعى الى البحر لأملأها بطريقة ربطها في بطنى بحيث يكون فيها الذى تملأ منه مما يلى صدرى والثاني وهو الواسع الدائم الربط الى صلبى فاصل البحر وأجد كثيرا من الناس واقفين خوفا من الوابور الذى يكون وسط البحر في المشرع فاضع حرتى وأنسجج وأما رافد يضى أنسجج حتى أصل الماء الذى أجد برده أذ ما يكون وأما بملابى لتساعنى رطوبتها على ترطيب جسمى المحترق من العطش وتعب المشى وحزr العظم فاذا بلت القرية تحتت فيها تلقاء التيار وسقت اليها الماء بلطف كما تهدم لتلا يظهر صوت جلبقة

الماء ينتبه لي من في الوابور ثم أصدد ذلك المرتفع على أربع والقسرة تجول
فتضربني في حنكي وبين وركي فإذا صعلت تمت وحملتها في كفتي وأخذت
حريتي وسرت قليلا وأستريح حتى أصل الديم سحرا بعد العشاء وفي
مرة وصلته ضحى لأن بعض الأنصار من جماعة الفسرب لاقوني في الطريق
فأرادوا أن يفتصبوا مني القرية بيائها فتأخرت عن ميعادي في منازعتهم فجزع
أهلي جزعا شديدا وحزنوا على فلنا منهم أني قتلت قلما رأوني سروا مرورا
عظيما - كما وأني يمشت فبعد وصولي أبيع كل يوم ستة أكواز بستة
ريالات أشتري بها التمر الأخضر «الفلوت» بلمة أهله ولحسا جقودا لغنائهم
الذي هو الوجبة اليومية . وهكذا دواليك من العشرين يوما التي أقامها
العيش في بلانا .

حوادث :

أعطيتي حماتي يوما سحنا صغيرا لأملاء لها ماء فلما وصلت البحر
كمادني وصلت الماء بطرقتي المعتادة . أخذت حريتي وملأت السعن وغرزت
له الحربة على الشاطئ وهو في الماء فتكرمت الوابور بقرب الشاطئ فاختبأت
في حوشي قريب مني لتلايولي والقسرة في بطني لم تملأ فغضب الموج السعن
وقطع الحربة فانساب السعن وغرق في الماء فلما رجعت لمكاني بعد أن بعدد
الوابور لم أجد السعن والحرية ملقاة فيما أصابني من الخوف من حماتي
الصعبة قلعت جبتي وجعلت أعطس في البحر بلباسي حتى كنت أعرق وما وجدت
السعن فلما وصلت الديم وجدت حماتي بمنزلنا وابتتها بجانبها تنتظر حضوري
للسعن فأخبرتها بضياعه وميبه وبمشي عنه فصرقت وجهها الملبش عنى وقالت
« هه » بعته بكم ؟ .. فاضطربت ابتتها كاضطرابي لأنا أحسبنا بشر منها
وهولت راجعة لبيتها وأخبرت أولادها وبتتها الكبيرتين وطلبت منها اما أن
أترك كل عائلتي وأهبط لنفقة بنتها أو أطلقها فراجها ولها أحمد فلم تفتنع
وصارت تعلى صوتها بسبب أولادها وسببنا فاضطر أحمد أن يأمنني متكلما
معي وهو خارج البيت لأنه أبى أن يدخل وبالصدفة كنت واضعما رأسي على
فخذ روجتي لتخيل شمري من النبار فقال لي يا باكر قلت : نعم قال : الآن
صار الناس الذين كانوا في قرية صاروا في مكان بيت كبير والذين كانوا في

حوش صاروا في مكان غرفة وغالبهم مكشوفون بلا حواجز ومتقاربون جدا قلت صحيحا قال : ان أمي صممت على أن تطلق البقيع أو ترك كل المتعلقين بك وتنفي عليها وحدها والأولى ممكنة فأنا جئت لك لأخبرك . وكثر سبها لنا ولكم هالسامعون يظنون أنا مكشوفوا حال فلاجل أن نسكتها أنا جئتكم طالبا منك طلاقها على شرط ألا يتزوجها غيرك أن حيننا وأذمتنا أفرقا جميعا فقلت له : أما يرضيك غير طلاقها على شرط ألا يتزوجها أحد ؟ قال : نعم فرفعت رأسي من حجرها وقلت له طلقتهما قبكت وأيكنتي ولكن هي بدموع عيبيها وأنا بدموع قلبي وافترقنا الى اليوم وسيأتي في مكانه ما حصل بخصوصها من تطور وأخذ ورد . طيبا في تلك الساعة تذكرت كلام صخر خصوصا البيت الشهير :

فأى امرئ ساوى بأم حليلة فما عاش الا في شقا وهوان
وأنا أهم بالعزم وأستطيعه . أخذها أخوها وبقيت مع أهلى أعولهم .

الهمة عالية والمعدة خالية

عين ولد النجومي جيشا برئاسة عبد الحفيظ شمت لينير على قرية مري الذي سبق أن غرنا عليها وعبد الحفيظ شمت كان معنا ولما كنت أناكد من أنهم لا يأتون بفائدة منها لم أصحبهم فيها ولكني سبكت حادثة الحمارة وخبرها أفي طلبت من جارنا على حمد الرقاعي حمارته لأصحب بها السرية وما آتى به من الثمر عليها يكون بيننا مناصفة فأعطانيها معتمدا ذلك ولكني أبعدتها عن منزلنا في منزل خالي مصطفى عبد القادر بجوار منزل عبد الله حاج الحسن وكنتها بين حجرين فظلت راقدة وأنا أجيء اليها يوميا وأحفظ لتلا يراني على حمد قبل أن تعود السرية فلما أזור الحمارة خالي مصطفى يقول لي : يا بابكر الحمارة هذه لا هي ملكك تريد منها فائدة ولا هي لتبكر تخاف الله فيها أقول : والله لا هي ملكي أريد منها فائدة ولا هي لتبكر تخاف الله فيها فيقول لي : « الكلام ده أنا ما فاهم فيه شيئا » أي كلامك هذا غير معقول فانظرها وارجع وبعد أيام رجعت السرية بغضى حنين فظهرت لعملى حمد الذي سألني عن حمارته فقلت له أنها فترت وتركها وراء ذلك الجبل فصلقتني واتنعت بكلامي ولكن أهله حرضوه على أن يشتكيني للقاضي وفعلوا شكاني للقاضي فأخبرته بما قلته

له فطلب على حمد من القاضي أن يلزمه بالذهب لها إذا وجدت لها حية أدرجا وأن وجدت ميتة آجىء له برأسها فطلبته منه ماء وزادا يوصلني للجبل ويرجعني ونويت إذا أعطاني الماء والزاد أبيع الحمامة لمن يذبحونها وأخرج رأسها من البيع وأحضره له فقال للقاضي ما عندي ماء ولا زاد له . قال له القاضي وهو غير ملزوم أن يخاطر بنفسه في الحصول عليها فافتتح وبعث الحمامة بستان ريال.

لننظر ما حصل بيني وبين علي حمد في أم درمان سنة ١٣١٤ . ثم بعد ذلك لنا جوار عندنا فاقه وما عنده قربة للماء فقلت له أعطيني فاقته أسقيها وأحمل عليها الماء بالنصف فأعطاني إياها فصرت أجلب عليها الماء أياما . ففى بعض الأيام بركت في الطريق وتعرفت على القريتين فوصلت الدويم بماء قليل مشيت لمسى عبد العظيم مساعدا طلبت منه قريتين بالنصف فأعطاني إياهما والناقة بالنصف فلما علمت والدتي ذلك قالت لي : « الناقة لها النصف والقريتان لهما النصف . » وأنت تدرك الدوب » وما علمت حيثى التى نويت عليها فعلق قريتي المخزنتين في عبد البيت خروقا لا على وصرت غسلا آتى من البحر سمرا أغشى بيتا أولا فافترغ أحد القريتين في قريتي والباقى في الموائع وأجعل في كل قربة من قريتي على عبد العظيم نصفها وأظهر له ولصاحب الناقة انى لا أستطيع حمل القربة ملأى ولذا تأتى ناقصة بعد أيام ماتت الناقة قبل قيام الجيش يومين لما أردت أن أرجع القريتين لمسى عبد العظيم حلف على المدنى مصطفى زوج أختي طلاقا لا أرجعها له بل نيسهما وتنفق ثمنها طعام يوم فلما بنهما وقلت لمسى عبد العظيم الذى لم يعلم بموت الناقة عندما جعلت الماء في القريتين غرقا من ضرب الموج للشاطئ . أخذت هذه الحيلة من غرق السمك المشنوم فافتتح بذلك وقال فدتك القريتان والحمد لله . وفى اليوم الذى بعده أصبحت مهموما كيف أطعم هؤلاء الناس فأرسل لي عبد الله أنماج حسن فمشيت له حالا فقال لي خذ فرسى هذه ويسمى بالسوق وكانت فرسه حرة جميلة أعطى فيها في بربر مائتى ريال فما رضى يبعها لأفها مولودة عنده وعزوة عليه . أخذتها للسوق فعارضنى أحمد ولد بشاره ألا أبيعها لكأمر ولد النجومى الذى يعرف القرم جيدا ويعرف عدم حاجة عبد الله لثمنها وذلك لأن ولد النجومى من زوجاته كثوم بنت حاج الحصن شقيقة عبد الله فقلت له يا سيدى

عبد الله إذا ما هزلت القرص للدرجة عدم النفع لا يرضى أن يبعها وركبتها أمامه
ولزمتها يرجلي معا فما خضت بل طأطأت رأسها ولوجت ذنبها فصالح على
يبعها فبعتها بشان عشرة رهالا فأعطاني منها ستة رهالات فقلت هذا رزق المساكين
بعد أن مضى على سبعة وعشرون يوما لم أذق فيها طعام العيش ضعف
يدني رغم نشاط همتي وهمتي بأهلي خصوصا بعد العصر حتى صرت أزحف
لأقطع الجمار الخفيف بعيدا عن النساء وأرجع زاحفا وإيمم وأصلي تكبيرى
كان آيتنا ومع ذلك إذا عرض لى المصحف أحلف عليه أنا تفتح مصر فأنظر لهذه
الروح المعنوية وانسبها أن شئت للعقيدة أو للطيش أو العجز ولا لك لا تستطيع
أن تنكر وجودها .

فى بعض الأيام كنت جالسا كعادتي أمام منزلنا الذى يمر الطريق شرقه
حياء ولد النجومى ومعه قر قليل فأدركتهم صلاة المغرب أمام منزلنا فأهمهم
ولد النجومى وبعد أن كبر أصابه دوران وألقته من الجوع فجلس فى الأرض
بعد أن سلم فقلت له الله يذكى يا ولد النجومى بعد هذا الذل ثلاث مرات بأعلى
صوتى فالتفت الى ووضع يده على فيه وتيسم ثم نهض قائما بعزم وكبر بأعلى
صوته وصلى وتم صلاته بأحسن ما يكون . ومن الحوادث أن بعض النساء
صرن يجتمعن بذرة القرط وبفليتها حتى يلين يجمعنها ويضعنها فى السوق فكان
ملء فنجان بقرش صاغ ورأيت أحد الأمراء الممتازين ومن أعقلهم وأعظمهم
وأشبههم جالسا وسط النساء اشتري فنجان فأكله . ومن الحوادث أن اشترت
يوما لحما من السوق ولما طبع وجدنا له خيوطا لم نألفها فى لحم الابل وبالسؤال
علمت أنه لحم حصان فلم أشتري بلعنا لحما الا منها من جبل ولكنى سررت
حيث اتى ذقت لحم الغنيل فى عبرى . ومن الحوادث قتلت أختى من أبى وكان
عمرها نحو خمس سنوات فما تقدها أمها حتى وقت الفداء فأخبرتني عنها
فبحثت عنها حتى وصلت بعد أبى منبل حيث وصلته حران متعبا ورقدت فى
ظله على الرملة الباردة كنت آنام ثم رجعت بطريق آخر فوجدت البنية ميتة
فدفنتها من غير غسل ولا صلاة ورجعت وأخبرت والدتها التى لم تبد أى تأير
قلت . . . فى حر الشدة . هذا من فوائدها كما قال المثل السودانى ان جارك
من أم سبوك تسيك أمك وأبوك . أى إذا أصابك الشدة فى ذاتك فتهيك
عن غيرك .

لا تجبوا علينا الا جبة متروزة وحرية مركوزة:

في هذا الدير جاء كولد النجومى كنساي من قائد الجيش الانجليزى يقول له ما معناه أن الخليفة عبد الله مذك وولى ابن عمه يونس مكانك وأرسلك بلا ذخيرة ولا مؤونة وغرضه يراتح منك ومن جيشك لأنكم قوة يخشى بأسها فأنى أنصح لك أن تسلم فستجد منا ما يسرك وعدد له أشياء تخرى غير ولد النجومى فأخبرنى محمد نور كاتب تحريره وهو جد مكواى أفندى سليمان المصرى لأمه أنه أى ولد النجومى قال له اكتب له قتل له أنا بايت المهدي وخليفته على الجهاد وسأستمر مجاهدا — فان قتلناكم نجد عندكم ما حكيته لنا في كتابك وأن قتلتمونا لا تجلون عندنا الا جبة متروزة وحرية مركوزة وفى هذا الدير جاءنا عبد الله سعد والعباس العبيد مددا بجمعائهم • ومن الحوادث أنه قد جمع ولد النجومى يوما الا مراة في ظل جبل شرق الدير وسمعتة يقول لهم وهو واقف • من أراد الرجوع منكم فليرجع فانى لا أمنعه اما أنا فانى بايت المهدي عم على الجهاد في سبيل الفتحى الموت وسأموت شهيدا حيث لا أمل لنا في النصر وأنى ألصحكم أجمعين الا ترجعوا فوالله من رجع لا يكون « عائلة ولا مجاهدا » أى يعامل معاملة الدل ولا يمكنه أن يدفع عن نفسه هذا سمعتة من لسانه رحمة الله عليه فذكرنى كلام عبد العظيم مساعد لعلى على بصرى « اذا مئيت معنا ترجع منكرا » • رجع من هذا الدير عمى على شكاك • ترك امرأته وأخاه جريعا وموسى ولد الشامابى ترك زوجته ووالدته رجعا معا مع المنصور ولد أبى كوع الذى حمل خادمه على جملة وركب حماره وغرضهما يتوصلان معه • علمت لما وصلوا شوفة الحديد وهزل الجمل فذببوه قبالة خور موسى باشا بالقرب مساء أكلوا دمه أولا بعد أن فضجته لهم الخادمة أولا وياتوا يشوون ويأكلون من لحم الجمل حتى أصبحوا • حملوا ما تبقى منه حتى جلده وعظمه فصدقوا المثل القائل : « أربعة شالوا الجمل والجمل ما شالهم » .

بعد خطبة ولد النجومى أخذ الناس يرجعون ومن رجع منا البتول أختى وزشب بنت شيقوق زوجة والدى فنحيينا من الأمر • تحرك الجيش من بلانا بعد عشرين يوما بحالة نهائية في الضعف • من ذلك أنى أعرف رجلين وزوجاتهما

تركوا ولديهما الهزليين لعدم استطاعة الولدين على المشي وعدم استطاعة الرجل وأمراته على حمل ولديهما لأنهما عمر كل من الولدين بين السابعة والعاشر فلا أعلم بالضبط عمرهما فأخذ الولدان يصيحان يا أمي يا أبي تركتمونا وهل تلدون أكبر منا والوالدان كان لم يسمعا حديث ولديهما يا ترى على من يقع اثم موت هذين الطفلين البرئين .

وصار السير بطيئا وقد ترك الترك قتل الأسرى فلما تأكد الناس من هذا الضخيم صار كثير يتعرض للأسرى أما رغبة منهم أو ينزل للماء أو ينزل للنخيل للتمر فيؤسر وأنا والمدني مصطفى لياثي بالتمر من النخيل الذي صار الجيش يقطعه ويكدمه على الشاطئ ويخبيء المساكن أنفسهم على يده منه فإذا حمل الأنصار التمر وكروا راجعين ظهر لهم هؤلاء فأسروهم . حملنا التمر ورجعنا ومعا أربعة آخرون فلما أشرقت الشمس أحاط بنا نحو عشرون عسكريا سودانيين ويدهم بنادهم فلما رأيناهم على يده جلسنا على الأرض علامة التسليم لأننا لا نستطيع الجري منهم فضلا عن الهجوم عليهم فأسروا ومن المصعب لم يأمرنا بومي السلاح والابتعاد منه هوأنا بنا فأرسلوا معنا أربعة منهم ونحن ستة بحرا بنا حتى وصلنا محل الأسرى أدخلونا على ضابط يدعى خير الله أفندي مصري بكباشي أمر لنا برغيف يابس . فلما مد لي نصيبى قلت لهم لا أريد طعاما لأن بالي كله شغل بوالدتي التي تركتها في الخلاء وشقيقاتي والطفلين - فقال الضابط : اتركه هذا لا يأكل طعام الكفار قلت له أتم لستم بكفار وإذا كنتم كفارا فطعامكم حلال لنا . قال الله تعالى : « وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » قال لي : أمت تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم : قال : اقرأ لنا ربما فبدأت من أول البقرة فلما وصلت « ان الله لا يستحي » . قال الضابط : صلي الله العظيم ، ثم نادى يا أمياثي غيفي هذا الرجل ينزل البحر ويأخذ البلع وينتقل في المعسكر كما شاء ولا يعجز الا اذا مشى للدراوش فنحنى القرآن العظيم - تذكرت بهذا الموقف قول الرجل الذي صحبته لمدني « القرآن لا يرميك وإذا رماك يرميك على برش » ثم خرجنا من عنده من المعسكر فوجدنا كثيرا ممن عرفنا وكنا غلنا انهم ماتوا ففي تلك الساعة قال لي المدني الذي ترك زوجته وبناته بالجبل ولا يعلم عنهن شيئا فطلب مني

بالحاح أن أحضر له تمرا من الكوم الذى بالقرب منه فذهبت وأحضرت له التمر ولما رأى لا آكل صار يلح على الأكل « يازول أنت كافر » الزول يموت والده ووالده ولا يبطل الأكل وأخيرا حلف على طلاقا وأكلت قليلا بلا قس . وفى عصر ذلك اليوم جاء حسن حيثى صهر عبد العظيم وبسط للقالد حالة الجيش وكان يوم الخميس فاستمعوا فى يوم الجمعة وفى يوم السبت سمرا تخدموا ولما صار نحو الساعة مساءً جرى بجنسازة ود النجومى فى أسرا وعرضت للتأكيد من شخصيته وكان ما ظهر من ضربه جلبة فى ساقه لأنه كان لابسا جيت والنبار بلعت الجيلة كأنه رجع من العرصة لم تظهر عليه كآبة الموت رحمه الله رحمة واسعة وقد قال شاعرهم بعد موت ولد النجومى شعرا كثيرا أذكر منه بيتا واحدا :

ولد النجومى التى كانت مصيبتنا الله موته فى طوشكى ياخيئنا
ولا تسأل عما أصابه هذا الشعر فى قومنا لو كنا نستطيع دفاعا أو
اجابة ما آخرونا .

وفى صباح اليوم الثانى جاء عسكري مصرى فأمسك بيد مستنا امرأة الأمين اندرس الرىاطى وكانت جميلة بقيافتها لحضورها فى السرية الأخيرة فأحبها زوجها وسرا معه أنا وأولاد الباس وأولاد رحمه ولد العملى حتى وصلنا باب السور المحيط بصيوان الضابط الكبير فصار العسكري قابضا على يدها الشمال وزوجها يسكها من يدها اليمنى فالكبرى يريد ادخالها السور ونحن وزوجها فبيدها للخارج فلما رأى الضابط منازعتنا للعسكري خرج لابسا قميصا ورداء ورأيناه كلنا منعظا . فلما وصلنا قال بلهجة قوية أطلقها فطقتنا كلنا الا زوجها فلم يطلقها فرجعنا وأمسكناهما معه فقال الضابط لزوجها : مثلك لا يتزوج مثله . فقالت له : والله هو زوجى وابن عمى . وفى أثناء هذه المحادثة رأينا وود هاوس باشا قائما على جملة ولكن الضابط لم يره لأصابعه عكس الجهة القادم منها حتى وصلنا وود هاوس باشا فلما رأنا الضابط ترك البنت وجرى ليلبس رسميا فلما حضر وجد وود هاوس باشا قد عرف القصة منا كاملة فلما قدم التعظيم الرسمى قال وود هاوس باشا أنا البكبشاش وأنت اللواء ثم أمر بالرجل وتوجه معنا وجلس للنساء موضعا خاصا منزلا عن مكان الرجال وأمر ألا يصلهن رجل قط .

وفي صباح الغد امتلا المسكر بالأمري فأمروا بنقلنا إلى الشرق وقد كان المسكرى الخفير علينا في المدينة ينظر إلى كل ما رقت رأسي له - ثم انه انتقل بجاني فقال لي ما جنسك قلت رباطاني قال من أبوك قلت واد بدي . قال لي : انت بابكر ؟ قلت نعم . قال : هل عرفتني ؟ قلت : لا . قال : أنا المسكرى الذى أخرجني والدك من قيفر صالح وأقمت معكم وكتب يوما حلفت بسيدي الحسن وأنت قلت تضرني حق الله قلت له : انت أحمد ولد علي قال : نعم . قلت الحمد لله لأنني في غاية الحاجة اليك قال هل معك أحد من أهلك ؟ قلت : ذاك المدنى مصطفى . ذهب له وسلم عليه ثم رجع لي فلما خرجنا بالشرق في المسكر جاءنا أحمد علي وقال : أنا أمرت أن أذهب لسجن حلقا بالبوسنة اليوم فهل لكم حاجة بطحا ؟ قلت له لنا حاجة بين هذا المسكر وحلقا وهي أن يكون طريقك بالقرب فتسأل عن أمي والسهوة وأم طبول ومن معهن اذا وجدتهن فاعمل اللازم في تمديتهن للشرق بكل وسيلة فاخبرهن أنا والمدنى هنا وسر في طريقك فلذا رجعت من حلقا بالشرق فتمكن من وصولهن لنا فسافر بالقرب ولما اجتمع بين ولوصلهن الشرق وأعطاهن علقو جيله فصرن هن تحت الظلام حتى وصلن حلة اشكيت حيث حلقن على العملة ذهب الذى سح لهن بأن يأخذن الزعفران من النخيل فصرن يعملن مقاطف ويعملنها على رؤوسهن إلى سوق التوفيقية يعمنها فيشتري بها الطعام والأدام وهكذا .

الى سجن الشلال :

أما نحن ففي صبيحة يوم سفر أحمد علي أرسلونا لسجن الشلال في مركب الحوادث بين المسكر والشلال « لما وصلنا بلدة قبل كورسكو بها نخيل به رطب وكانت جمعية من النساء تحت نخلة جاءني المسكرى الخفير علينا من المصريين وأمرني أن أطلع تلك النخلة وآتيه منها يوطب وأعطيني مندبله فلما وصلت الرطب طلب مني أولئك البنات الجالسات تحت النخلة أن أرمي لهن رطبا فصرن أرمي لهن تارة وأجمل في مندبل المسكرى أخرى فرأني الضابط الرئيس على الرسالة من الأمري فصاح علي أن أزل فأخذت في النزول وكان يده موملا عنجا فوقف تحت النخلة وأوسعني ضربا وأنا نازل من النخلة ولما وصلت الأرض قال لي اشبط النخلة وكان صغرى غاربا فشبطت النخلة

وصار يضربني حتي آدمي ظهري ولما تركني قلت له أنا مظلوم فصفعني على خدي فكرت له أنا مظلوم فقال لي : من ظلمك قلت : ضربتني قبل أن تسألني قال لي : رأيك بالنخلة قلت أمرني هذا العسكري فأفكر العسكري أنه قد أمرني قتلنا للضابط هل عندي منديل هذا منديله فافتتح وأمر بحبسنا قسلاقا وهذا الضابط على أفندي ابن حسن باشا الجويسر الذي كان مدبرا لكرديفان في التركية الساجدة وفي أثناء الرحلة ولا زلنا بهذه المركب أتحدا عني محمد أحمد شكاك مع أمه زوجة أخيه على شكاك الذي هرب منها وتزوجها فعلا ولما وصلنا كروسكو أعطانني الشيخ الملقب ربالا كبيرا وقال لي اشتر لنا منه زادا من السوق وكان عني محمد أحمد رآه فأخذ مني الريال وحلف ملاقا لا يرجعه لي فرجعت الى الشيخ الملقب وقلت له الريال خضاع مني فسكت ولكنه ظهر علي وجهه أنه اتهمني بسرقة ثم قال لي : أنت ولد ود بدري ماذا أقول لك انظر ماذا آل الأمر بخصوصه في ما بعد في كروسكو جاءنا موسى انشاملي الذي ترك زوجته وولدها ووالدته مما يبلانا جاء من السودان لأجلها ووجدنا تزوجت برجل من كروسكو قبل يومين فقط وولدها من موسى توفي فقابلته حماته عائشة بنت قسلاي فجاء لأمي يوسطها لها ليوافقانه علي رغبتهما فيه دون الزوج الجديد وقال لها أي لأمي أن سمينا ولدها صاحبه ينسبه في المحسن بيته لياكل معه ويوسف ولد بدري ما يدخل معه فقالت له أمي « هوى يادا الزول أنت صاحبك ده تشكر فيه ولا يتبتش فيه » . أي يا هذا الرجل هل بولك هذا أنت تمتدح صديقك هنسا أم تعيره ورفضت التوسط له . وصلنا الشلال نحو الساعة ٤ مساء فورد علينا الأهالي وكل حامل بيده ما يؤكل وأكثره رغيف قمح طازه وصاروا يرمون ما عندهم في النهر لأن المركب بعيدة من البر ولا سقايل عليها فجعل المساجين من الأسرى يرمون في البحر ويلتقطون ما يرمى اليهم وكنت جالسا مع الشيخ الملقب على سطح مؤخر المركب « البطونة » ورأينا محمد الفضل ومعه آخر بينهما رغيف اذا أحدهم الآخر يقطسه محمد الفضل فيطلق الرغيف من يده فاذا طلق الرغيف ورفع محمد الفضل يده من عنقه أسرع فقبض المظن الرغيف قبل محمد الفضل وهكذا . فقال لي شيخنا الملقب قم جشنا برغيف نأكله نحن جائعون فقالت له : يا مولانا ماذا جئت بك برغيف بهذه الحالة « وأشرت الى محمد وصاحبه »

انت تأكله مطمئنا فقال لي بشهامة لا والله لا آكله شاب + أخطأ وشاب أصاب
فما برحنا مكاتنا وإذا بمندبل به رغيغ ورطب رماه صاحبه فوقع بيننا فأكلناه
وبعد أن صلينا المغرب في مكاتنا .

ماهر بك في سجن الشلال :

أخرجونا حيث دخلنا السجن بالشلال وهو سور مربع لم يكن به مايقل
غير مكتب الحرس فجللوا النساء في سور آخر به غرف ومظلات والرجال في
السور الكاشف .

حوادث السجن

دخلنا السجن ووجدنا غذاءا الذرة اليابسة لكل شخص كوز. قلد رطل
في الضحى بعد مأمورية الصباح في الضممت المتنوعة وكوز عند غروب الشمس
فأكله عليقة كمليقة البهائم أما الجروحوون والمرضى يصرف لهم يكسمات فطبيخ
فلما طال بنا مضغ الذرة عيتوني لرش بيوت الجيران فأعطاني صاحب المنزل
قرشا اشتريت به سكر من دكان بقرب السجن والسبب الذي جعلني اشترى
السكر هو أن العمسك الميعين الحرس علينا يسألوننا عما اذا كان معي عرق
محبه ويصفوه لنا بأنه حلو الطعم وكان عندي جراب صغير قديم فجلت بالسكر
وجعلته في كوز وأخفت عروقا من جميزة واقعة عند باب السجن وجعلتها في
الكوز بالليل كله ثم أخرجتها حتى يسمت فجعلت من فم الجراب قطعة صغيرة
من الجلد أخرزها في العرق وأحك جانبا من الجلد على شيء خشن مثل حجر
ومرة على ظهر قدح خشب حتى ييلو طرف العرق ليذاق طعمه وجعلت عمي
محمد أحمد شكاكه سمسارا يلهم على وصرت أبيع العرق بقرشين الى أربعة
قروش وتشتري الرغيغ من خارج قارة ومن طبابخ المسجن قارة . واتفق أن
أشتري منى عسكرى يدعى ابراهيم بحري عرقا بأربعة قروش وظلمني فيها
فاشتكيتك للجاوش الذي وبغه وأجبره بالدفع فحقده على ولما جاء يوم عاشوراء
طلبني وأوقفني في ميدان المجرمين أمام الحجارة الكبيرة التي يرمونها
ويضعونها كحقوبة وقال لي « بير » لا رفع الحجر فما قدرت على رفعه وصار
يضرني بكفه حتى سال الدم من أذني الاكنتين على حتى فجاءه الشيخ العاقب

وعاتبه عتاباً شديداً وهدده فلما جلست بمكانى ملا مقلفاً كثيراً من البليلة التى عملت للنساء ذلك اليوم من القفر مباشرة وأمرنى بعملها فعملتها وسار ورائى حتى دخلنا سور النساء فجعل يأخذ لكل امرأة كوزاً من البليلة وهى على رأسى أحسن بغيرها فى مضى لثمة حرها حتى فرغت كلها وهو يريد أن يمدبني بها ولكن الله أرادها لى علاجاً فانى لم أشعر فى أذنى إلا بما بعدا ولكنى حدث اذا عمت فى البحر مدة طويلة يخرج الدم يابسا من أذنى مدة ثم اقطع - فى هذا السجن مرض عمتا الفضل الصادق وعلت به ليلاً فأصبح للظهر حتى سمعت به توجهت لأولاده وعسى معمد أحمد شكاك وأحمد عثماناً حملنا الجنازة لدفنها خارج السور فلما حفرنا الحفرة وأردنا أن نصل اللحد قال لنا المبكرى الصغير علينا اغتفوه وكادوا ينصرفون فحبستهم حتى صليت عليه وهو فى قبره . قلت تأكل الذرة عليه ولكن لما زار ماهر بك السجن وودهاوس باشا كنا نعرف يوم زيارة أحدهما بأن المساكين ينزلون البحر فتسبل ويحضروا لنا طعاماً غير الذرة فما نشرع فى الأكل حتى نسمع المكركون يقول : « كركون سلاح » فيدخل ماهر بك أو اللواء وودهاوس باشا فيجدها تأكل البقسماط غالباً بالطبخ . فشكوا لمر بك بخصوص الصلاة على أمواتنا فقرر الصلاة والكفن والقبول .

كنت دائماً فى المنتهين الأوائل للخدمة فأجيب المساء أو نمشى للفهم أو عيره من الخدم العادة ، قفى بعض الأيام تأخرت عمداً فلما منى أن من يتأخر يرتاح فكان دورى أن أحمل المذرة بسور النساء فلما علمت ذلك ولا يسمنى إلا الطاعة للامت ولكن حدث وأنا ماشى أنظر يمينا وشمالاً لآلة آخذ بها المذرة من الأرض فلقيت قطعة حملتها مع القصرية وجلست بميدا والمساكين الثلاثة الحرم علينا وقفوا بميدا بمكس جهة الرص وجماعتنا وضعوا القصرات يتعلمون ويتنمرون . لاديت أحمد عثمان من بينهم وأعطيته الصفيحة وقلت له املا قصرتك بهذه قبل أن يأتى المساكين فعمل بمشورتى وعلى حين غفلة حمل المساكين صارخين وصار كل واحد يأخذ المذرة بيده ويضعها فى قصرته ونحن حملنا قصرتنا أمامهم للمكان المعد لوضعها ونزلنا البحر كلنا اغتسلنا ورجعنا السجن ومن ذلك اليوم صرت أبادر لأخذ الجردل حتى قلت لسجن أسوان .

كان بجزيرة أصوان الملك طمبل من ملوك أرجسو وعبد النعيم الذي
تسميه الأنصار عبد القيوم بالقرب من كينتو بالمصن هاجرا مع مصطفى باشا
ياور في صلب الجيش الانجليزى فأرسل الملك طمبل ولده ليخرج أسراء
الدناقلة بضماته وكذلك عبد النعيم أرسل ولده لأسرى المصن وكان الكتاب
المقرر بالشلال احمد الحكيم من الاسرى وكان صديقى فقدمت نفسى مع
الدناقلة وكتبت اسمى وقلنا اجمعين لشوة اصوان وفي العصر جاء ماهر بك
ليصدق كتابة الاسماء والاجناس والصفات الخاصة لكل واحد في الاسرى
لتدون في دفتر الخاص بالاسرى للمضولين ومن يضمنوهم فلما دخل قال
لصالح بن عبد النعم أين جماعتك ؟ فتقدموا له وكانوا قليلى العدد فسمح بهم
وقال لأبن الملك طمبل أين جماعتك فاصطفينا صنوفا فلما رأى ماهر بك كثرة
عددا التفت الى ابن الملك طمبل وقال له ابوك ماهيته ثلاثون جنيا يسكر
بعلوى في الشهر بـ ١٧ جنية كيف يؤكل بالباقي ولو ما اليه بمنش كان في يده
فانطلق جاريا وردنا الى الثبوة ليضمنا اصحاب المروعة فاضطجعت على ظهري
وصرت اقرأ القرآن فمر بي ماهر ووقف قليلا وسمع قراءتى فتحول لوجهي
فقلت مسرعا فقال لي تحفظ القرآن كله ؟ قلت نعم والحمد لله . فقال لي اتحب
أرسلك مصر لنزلي وحرأ في الجامع الازهر وتميش مع اولادى قلت كان هذا
خيرا سمعناك ولكنى تركت والنتى وعشيقاتي في الجبل وأريد أن أخرج من
هنا لأتحسن خبرهن اذا وجدتهن فدمعتن أنفخ في امرى واذا كنا في مكان ما
بالقطر المصرى اسمى في اجتماعي بهن واذا رجعت السودان اطمئن عليهن لأن
والدى وأخى الأكبر موجودان قسر من حديثي معه وقال جميل والله يصنعك
بهن ودخل الناس الرانبون في أخذ الاسرى بالضمآن فجاو رجل يدعى على أبو
محمود من جمافرة دراو ورغب في أخذى وجاء بالضمآن فلما عرض اسمى
على ماهر بك قال لملى أين محمود هذا يحفظ كتاب الله وأنت وعبك موسى
تخدمونه في المزارع فقال على لماهر بك تركه يعلم اولادنا فقال ماهر بك أنا
سأتى بدراو لداو جدته متعاقصم ظهر ك « بهذه المباراة » فقال على أبو محمود
حاضر يا سمادة المدير . أخذنى وليته لم يأخذنى بتنا تلك الليلة بأصوان عند
أحد معارفه وحينما جاءوا بالشاء رغيف قمح بسك قال لهم على أبو محمود
أتم تأكلون بالنسك « المثلوث رغيف القمح . » نحن في دراو نأكل رغيف

بطيخ فمررت لأن الرعيف عندنا ما كان من قمح والطبيخ عندهم كل ما آدم
 الطعام ولو ماما . كان صاحبنا في رحلتنا من أصوان إلى دراو الميرلاى فرج بك
 أبو زيد راكباً جملة وكان إذ ذاك بوظيفة ملازم أول فلما ألقى المشي لبعد
 هدى به شرعت أقص غزوة بدر وأكثف تقبى السعى مع زاملتيهما وصارت
 تضربنى حجارة العقبة حتى أكاد أقع على وجهي ورغم ذلك لم أقطع حديثي
 فلما صار صوتي يتقنع تبعا لنهوضي المتكلف رق بي فرج بل حيث أوقف جملة
 وتناولني من ذرائعي يده وأرغمى خلفه وهو على جملة لم ينخه .

مبروك عاد يا بابكر الفيه خير يدي :

وصلنا دراو ليلا فلما أصبحنا صار الناس يأتون أفواجا وكل متفرج منهم
 يقول لعلى أبو محمود . جيت ليك وحيدة ؟ هيحييم : نعم
 يقولون : وين هو عاد ؟ فيناديني : بابكر تعال سلم أبوك ، ولو كان طفلا
 الزائر . اسمك مين ؟

أنا : أسى بابكر

الرائر : بابكر - مبروك عاد يا بابكر الفيه خير يدي . ومعنى هذه
 المحادثة باللغة الفصحى هي :

الزائر : يا شيخ على هل آتيت بأحد الأسرى ؟

يقول : نعم

يقولون . أين هو ؟ فيناديني . يا بابكر تعال أقبل لتحية أبوك وحينما أقبله
 يسألني ما سمكت ؟ أقول : أسى بابكر .

يقولون بابكر أن شاء الله تكون مبارك والذى فيه خير يظهر

مكثت معهم ثلاثة أيام لا عمل لى وطعامى قليل وغير منتظم المواعيد
 قلت لأمرئته : يا مدينة ، أين الأولاد الذين أعلمهم ؟

قالت . الأولاد يقرؤ عند أحد أبسط الله شئ .

قلت : وأنا أعلم أى شئ ؟

قالت : أنا عارفك . الرجال ماى الخلا شئ .

قلت : لكن أنا جىءى لى لأعلم الأولاد القراءة .

قالت : يه الولد عند أحمد ابطل الله انت روح الغيط .
ومعنى هذه المعادثة باللغة الفصحى اننى قلت لامراته : أين الأولاد
الذين أعلمهم ؟

قالت : - الأولاد يعلمهم أحمد أبو عطا الله ولا يمكن أن يخرجوا
منه . أنت اذهب للغيط اعمل به كالرجال .

ومن ذلك الحين اقطع منى الطعام وأمرت أن آتى بالماء من التربة وهى
على مسافة نصف ميل على الأقل . أجيء فى كل يوم بأربع عشر قادوسا على
كتفى وإذا طلبت الأكل قبل الذهاب للماء تقول لى : - يا بابكر ما حميناك
أى ما أوقدنا النار فى الفرن للآن وإذا جئت بعد كماله الماء تقول لى يا بابكر
ما تتقدم شئ ياود الناس الميش خلص

يأتى زوجها وينادى مدينى .

تقول مدينى : نعم

يسألها قائلاً : بابكر أممش

مدينى : ما عارفه كيه

أبو محمود : ما عارفه شئ

مدينى : ضلك ما فضل شئ غير عيش عاشه

أبو محمود : هاتى له رغيف عاشه

فتقوم ومفرقا لها صوت وغبار وترمى بيتاؤه .

أبو محمود : يتاوه صغبرى تعطر بها عاشه العظيمة

أبو محمود : ضلك ياكل يايه .

مدينى : ما فيش طيبخ بار أنا عارفه

أبو محمود : جييله راس بصل

فقامت مدينى ورمته ببصلة واحدة . فقلت الحمد لله .

ومعنى هذه المعادثة أنه كان يقول لى عندما أطلب الأكل قبل الذهاب

الى الماء : بابكر للآن لم نوقد النار فى الفرن للغيز . أممش اقل الأربعة عشر
قادوسا وأحضرها وقل لى أنت تأخرت والأكل توزع للأكلين ولم يبق لك

منه شيء فامسوى . وفي بعض الأيام حصلت بيننا وبين زوجها المحاورة التي أكتبها بلقمتهم حينما جاء من القبط فوجدني عند الباب راقدًا على الطوباء التي أُرقد عادة عليها فقال لي تميت ؟ قلت لا . وما كان يسألني ولا يسأل عني فلما وصل في المحاورة لقوله : . . . له رأس يصل . قلت في نفسي : يريد أن يرسلني برأس البصل للنيرو لأن كلمة رأس البصل عندنا معناها حمل الانسان . فلما كانت النتيجة بصلة واحدة سررت لثلاث ليال وأنا حامل البصل للنيرو هذا هو اليوم الوحيد الذي سألت عني فيه فلما اشتد على الجوع ذهبت معهم للنيرو فقال لي أحملهم لمشي افتح الماء في الحوض ورجعت إليهم فلما الماء الحوض وانكسر حين وصلنا الماء عند النيرو وبضيق الجدول الكبير فلما رأى الماء قال لي : يا وقت الشوم . وجروا كلهم فسيبوا الماء فرضخت تحت ضغط الجوع لأخدم أي خدمة توصلني للأكل وقلت لنفسي إذا كانوا هم أنفسهم متعبين فكيف أطالبهم بأن يطعموني دون أن أعمل معهم مثل ما يعملون . ففي بعض الأيام أمروني بأن أرحل البوص « قصب الذرّة » من النيرو الى قضيب آخر السور فأخفت الجبل للنيرو وحملوه لي قصبًا فادًا وصلته باب السور أهله على كفي للشونة والماسة لا تقل عن مائة متر فلما رحلت خمسة جمال وأدخلتها الشونة وكنت قبلها ملأت الأريكة عشر قاذوا اضطرب جسمي من الجوع والتعب دخلت على ست مدينه طالبا الغذاء لأنني مرت مستحقًا له بما قدمت من الخدمة فكان الجواب ما تقدمش ياود الناس . حينئذ بلغت الروح الطوقم . رجعت بالجبل ورحلت جليلين سددت بها باب المنزلين المتقابلين لمنع كل داخل يتحداها من الدخول وخصوصاً الرجل الكبير موسى أبو محمد علي والد ست مدينه الذي يأتي بعد الثروب دائمًا على حماره سددت البابين وجلست جانبًا فلما جاء الشيخ موسى وجد البابين مقفولين . قال وهو على حماره .

مطورة موسى الرموز له بم . وبايكر الرموز له بم :

- م . من جاب دهنًا
- ب . أنا بايكر
- م . بايكر الاله ما دخلته يا ولدي عاد

- ب • ما بقدر
 - م • يس تقدر تترى البتاه
 - ب • أنا لآنى بتاو أدرسها
 - م • لاه عائش ك بلا خبسة
 - ب • أنا راضى أخدم
 - م • تسهوق السود .
 - ب • ما بقدر
 - م • تطول الميه .
 - ب • ما يعرف
 - م • تحرت الأرض
 - ب • ما بقدر
 - م • يس تحلل لمتك يه عاد
 - ب • يا عنى موسى اتركونى أمشى السوق واشتغل صنمه وأعيش
وأيت عندكم
 - م • ياك نحن مستيرك افت تجار .
 - ب • لا
 - م • جلاد
 - ب • لا
 - م • خياط
 - ب • لا
 - م • تشتغل آيه عاد
 - ب • عينى فاتمه كل البشوفه أعمله •
 - م • حد عينه مقلوبه ماكل الناس عينها قايدنهاش
 - ب • أنت يس خلونى أنا يميش تقى
 - م • ياك نحن مستيرك .
- بعد هذا حضر الخدامون من النبط فادخلوا القصب وفسحوا لم موسى
الطريق دخل بيته ولم أقف له على أثر بعدها « محاولة على وزوجته واشتداد
البحر على »

عن ينس تكس :

جاء بعده على أبو محمود الذي كرر نفس الفصل السابق مع زوجته . لم تسمح لي برغيف عيش هذه المرة ورقعت على طوباتي ثم تذكرت كلام يوسف أخي بخصوص صديقه ورجته الذي يمشق في رجل جاره الملت فقالت لي نفسي أهرب مثل العبد في بلد أجهلها فيلقوني ويرجموني ويصربوني ثم قالت لي نفسي قم ليلا فاشخذ الطعام في البيوت قلت في نفسي لا يمكن ذلك - ربما أتوطن بينهم وأزوج وأولد منهم يسبون أولادي في المستقبل بقولهم «يا أولاد الشحاد» - قلت لنفسي الأحسن أن تصبري وتضيفي هذه الأيام على أيام بلانا حيث لم تنوقي طعام العيش سبعة وعشرين يوما وأنت مكلفة بمعيشة من تعرفينهم . فرقنت تلك الليلة تنازعتي ثلاثة عوامل واحد منها يكفي لهذا الجلد وهي ولوعي بوالدتي وشقيقتي الذي والله يلزمني في كل حاله ويطنى على كل مشقة أو يكافئها . والثاني تباريح الجوع الذي أحس أن أمعائي ومعديتي يصعدن ويهبطن - الثالث موقعي الأخير بين الأمل والخيبة حينما أصبح هل يتروكني أمسى لرزقي أم يمنوني ولدا رفقت البقاء معهم هل يرجعوني للسجن أم يخلو سبيلي وكيف يخلو سبيلي وهم واضعوا ضمانتي في الحكومة فهذه الوسواس لا تجعل للنوم سيلا لمني . وقبل الفجر بقليل ذهبت الى التربة أتوضأ وصليت وجلت اقرأ في الراتب فاذا مر بي أحد أخبرني أن السيد عشرا جاء البارحة من الغابة ونزل عند ابن أخته سلامة أفندي فقمت من وقتي وعبرت التربة وذهبت للغابة قبل أن أجلب لهم الماء كالمساحة لأجس نبضهم هل يسعون خلقى أم يتمسكون بي أو يملون فيردون بغيري ، فلما وصلت السيد عشرا وبعد امهاله قليلا قلت له أنا جائع فأمر لي بإكل فجيء لي بطبيلة عليها ستة أرغفة وفي وسطها العجى به مش فأشرت له بأن يخلي لي المكان فوزع الأولاد بعد أن جيء لي بالماء فلا أكتكك أيها القارئ أي أكلت حتى كل قسي من المضغ وأن بطني لم تشبع فجعلت استريح قليلا من المضغ ثم أعود اليه حتى أكملت الستة أرغف فقال لي السيد عشرا لا بارك الله فيمن أجاعوك هذا الجوع فرجعت منه وعمت التربة وذهبت للمنزل المشنوم - ولكن الله أتى لي بالفرج منهم . اضنعت يوما ضحى كالمعتساة فشرعت اقرأ القرآن وأتذكر كنت اقرأ في سورة « اذا جاءك المنافقون » اذا مر بي ولد ينعى

نور الهدى ما رأيته قبل ذلك فوقف قليلا ثم قال لى : بالك أنت حافظ القرآن؟ قلت : نعم . قال لى ما معناه لماذا لا تزور الكتاب ؟ « الكتاب فى اصطلاحنا جمع كاتب . » قلت له وما الكتاب . قال : المكان الذى يقرأ فيه الأولاد . قلت أرييه مشى معى حيث وجدت الأولاد يكتبون ألواحهم فتناولت لوح أحدهم لأكتبه له علامة للفقير الذى لم أجده وقتئذ ليعلم من كتابتى زيارتى وانتظر ماذا يصنع أيايبنى فأعيد له الزيارة أم لم يمتنى به فاقصر منه ؟ فوجدت اللوح : « ان الله تعالى يدفع عن الذين آمنوا » فى مسورة الصح فقرا « ربح حزب » فكتبته وشكلته ولكن برواية على لا عمسر وهم يقرعون برواية حفص فكانت علامة ثانية ورجعت لمكانى فاذا الفقير أحمد عطا الله على أثرى فأخذنى وعاد بى الى كتابه وجاء لى برغيف ويض مما يجعله له الأولاد عادة فاكلت منه رغم أكلى الكثير بمنزل سلامة أفندى فلما فرغنا من الأكل حكى لى قصته ومعه شخصان من أهله انهم كانوا بقرة الأبيض وانهم هربوا ليصلوا الخرطوم فقبض عليهم احد عبد النيل الأبيض وقيدهم بالحديد فزرعوا له غلال الصفراء ولما رأى احلاصهم فى الغلظة ولكمنهم القيود وما زالوا حتى تضج الزرع حيث تزودوا منه وهربوا للخرطوم وختم كلامه بأنه خاق مثلما ما أنا فيه الآن وألح على ألا أستحي منه فانه يظفرنى كل يوم وسيجمنى بالشيخ حسن ود على أبو حاج عمدة دراو وهو أى حسن يحب المساكين أمثالك خصوصا اذا انتسبوا للدين لأنه دين فتستمت الفرج من الله الذى لا يتركى لأولئك اللثام وأنا مهاجر فى طاعته فعى أول رؤيتى لحسن أبى حاج يوم الجمعة لأول مرة صليت الجمعة بالجامع فى خلف الصفوف لأن جبتى لا تزال عليها أثر مخ رأس البنية ودم موسى أخى فضعت أن يستغذرنى الناس فبجاء الشيخ حسن ولد على أبى حاج متأخرا فجلس بجانبى وبمد أن سلم الامام أسرع بالقيام لأنى لا أعرف حسن . فعى يوم زدت السيد عشرا عائلا للترعة وحينما خرجت منه رأيت جملا بوصا متجها نحو نجع العرب فقلت يلزم أن تكون على الترعة قنطرة يمر عليها هذا الجبل فأمر منها وارتاح من سباحة الترعة فتبعت الجبل ولحقى لما وصل القنطرة توقفت من المرور عليها ورمى القصب فاشتغلوا فى وضعه عليه حتى وصلتهم .

عند رجل المروءة حسن على اب حاج :

ياكل عىاى بابكر بدليقينا ته ديل .

فلما رانى الشيخ حسن مسلم على ببشاشة وأنا بدورى بادلته طبعسا
البشاشة لاني محتاج لها لمالحي وعرفت أنه الرجل الذي صلى الجمعة الماضية
بجالبي وبعد تبادل التحية قال لي : انت من جماعة ولد النجومى ؟ قلت نعم قال
طفنى أن أحدهم عند على أبو محمود وأنا أريد أن أقابله فقلت ألا هو فقال
لي ما اسمك ؟ قلت اسمى بابكر بدرى قل نعم انت هو ومن أين آتيت الآن ؟
قلت : لي صديق قديم اسمه السيد عشرينا نزل عند سلامة أفندي قال اركب
خطي على العمارة . فركبت وأخذ يسألني عن كيفية قتل جيش ولد النجومى
فحكيت له الأسباب التي سمح لي الوقت والمكان بسردها له وفكنت حسن
ولد على أبى حاج الذي بيته عند جامعته وكتابه فلما مال بي الي أحد الشوارع
مسلكه مغريا حتى وصلنا منزلا أناخ جملة عنده أدخلوا القصب في شسوته
فدخلتني الشك في أنه حسن المعنى ثم جاءت والدته فقال لها يا مدينتهذا بابكر
من جماعة ود النجومى اذا جاءكم صباحا أم ظهرا أو ليلا أو في أى وقت قدموا
له طعاما ولذا ما عندكم اشتروه من السوق وان لم تجدوه في السوق اشتروه
من البيران والآن هاتوا ما عندكم فذهبت وجاءت برطب ورغاف قمح فأكلنا
ثم قام برجليه وأخذني معه قائلا هذا منزل والدتي وزوجتي الكبرى معها
أما بيتنا الكبير فنريكه الآن . مشينا حتى وصلنا فإذا هو البيت الذي عرفته
بيت العمدة فأدخلني الحوش - سور المنزل - وأراني عرفة عند بابه وقال تنام
هنا فإذا جاء العابدة أو غيرهم من الضيوف المادين فاتركها لهم وأدخل نام في
ديوان جلوس والدي فسلمني مفتاحه وذهبت الى الفقيه أحمد أبى عطا الله
الذي أوصاه بي بعد أن شكرته قلت له أنى أخاف أن بقيت مع حسن عتقاب
موسى أبى محمد على وابن أخيه على أبى محمود فقال لي لا تخف هذا سيدهم
لا يستطيعون ممارسته . اجتمعنا بالعمدة على طعام : فلما جاء الليل جلس
والده على للعمدة على دكته وجاء الأعيان من أهله جلوسا أمامه وأخذوا في
الحديث وأنا وحسن على مسطبة الجامع حيث صلينا المغرب حتى وضع الخادم
لأبيه الطعام كمادته ثم ناداني : بابكر تعال . قصمت له فوضع لي كرميا وقال

لى أجلس وتمش فجلست وأكلت مع والده الذى لا يغشطينى كآله لم يشعر بوجودى . فلما رفع يده من الطعام هضت قائما وبودى لو طال الزمن فلم يثمت الى واستر على هذه الحالة يومين آكل معه الثلاث وجبات وفى مساء اليوم الثالث حينما أكلنا قليلا وكان سيدى موسى أبو محمد على ضمن الجالسين أمامه . وفى هذه الليلة التفت الى السمعة قائلا من هذا : قلت بابكر . قال : بابكر مين ؟ وين دا قلت : من جماعة ود النجومى قال من جاء بك هنا فاضطربت وتمنيت أنى بقيت فى جوعى ذاك فقلت فى صوت خافت جاء بى حسن وقال مفتخرا حسن ولدى قلت نعم ثم التفت الى حسن وقال من جاء بهذا يا حسن ؟ قال : جئت به أنا . لأى شئ ؟ قال : لياكل ممالك . قال وهو رافع رأسه ورفع يده أنا يا حسن عبد الرحيم دبلون ما ياكل عشمكى « أى معه » وله أبو محمود ما ياكل عماى وأبو سيف أبو حاج ما ياكل عماى وموسى أبو محمد على ما ياكل عماى — ياكل عماى بابكر بدليقياته ديل « هذه » قال حسن « نعم » صفى يديه على بعضها وقال « حى حى » أنا عندى بشر حلوه — عذبة — وعندي ولد صالح ثم التفت الى وقال يا بابكر حسن مو صالح شئ لذا كان حسن ما صالح (الزيك أنت) أى الذى مثلك يقبله أحد بدليقياته ديل وبعد ما رفع يده من الأكل فنهضت كمادتي . نادى قائلا : يا نعم هات لبابكر سمن يشربه المتسل بابكر ده لا يشبع بس يستحى جيب له سمن فجاءنى بفنجسان شاي ملآن بالسمن فشرته فصار راتبا لى كل لیسلة حتى قنمت ممدتى من كثرة الأكل وصارت اعتيادية أوقفته برفضى له . صار يقول لى كل يا بابكر لا بارك الله فى بيت لا ياكلك ولا فى خير ما يسمك أنت يا بابكر لا ياكلوك لآلك ود ناس تكافى ولا يؤكلونك لله ولا يؤكلونك لآلك تمدح فى المجالس كل يا بابكر قال يا بابكر الكباب عندكم فى (موجود) قلت لا وعدد أطعمة العشاء فجاء فى بالى أنه يريد موسى أبا محمد على الذى عجز أن يطعمنى البتاوه بعيدا عنه فهو ذا يطعمنى من هذه الأطعمة على مائدته وصلى فنى وصرت آكل معه كل الوجبات وإذا أردت أن أتعطل منه يريدى تأكيد بالاستمرار فى الأكل نعمه ولم يجرأ موسى ولا ابن أخيه على التكلم معى ولا مع غيرى بخصوصى .

ففى يوم الثلاثاء الذى هو يوم السوق الجامع قال لى حسن تمشى السوق

معا ، وفي الطريق قال لي معنى كلام والدي عنك بدليقيساته ديل - يعني بدلقولاته هذه قصد اني اكدوك فلما وصلنا السوق اشترى لي لباسا وقيصا عربيا أي قميصا مفتوحا كبيرا يلبس فوق العراقي الذي يلي الجسد وهم يسمون القميص الكبير المري وثوبا ومركوبا وعمامة . وبعد أيام مشيت لمنزل على أبي محمود وكانت معه حماته بمنزل واحد ولما زرتها وهي تسمى رني فلما رأيته اندهشت وقالت لي من كساك هذه الملابس يا بابكر قلت كسانها حسن ولد على أبي حاج قالت حسن صالح اذا كنت للآن مع موسى يكسوك ؟ ما يكسيك شي (شيئا) ثم قالت مدينة أم موسى وركابي أبو موسى وعلى أبو موسى وسيله أم موسى وخديجه أم موسى تعني أولادها . قلت أعرفهم جيدا قالت موسى يرجع ليته الكبير وأنا أعطيك نصف بيتو قلت الأحسن يا عمتي رني اذ تنصالح يا عمتي رني أنا لا أعرف الكتابة من هذا النوع اذا كنت أعرفها كنت أكتب موسى لنفسى وافت ما عندك نصف بيتو تعطيني إياه اذا كان عندك تكسي به بناتك رباطه وانصرفت عنها فذاعت هذه الحكاية في نجع العرب وشهرتني عند من أعرفهم وصاروا يأتوني أو يلقوني في الطريق فيسألوني عنها مع اني لم أخبر بها أحدا ولا كانت لها عندي قيمة . صرت أركب مع الشيخ حسن وأجلس معه فنقرأ في الكتب دخل الممسة على أبو حاج فوجدني جمعت بر حصانه في طبق لأضعه على شوفة الزبالة فقبض على الطبق بيديه وقال لي مفضبا لاه لاه (لأي سبب) تحرق يا بابكر بيتي بالنار انت تحفظ القرآن وتعرف العلم وتنقل بر حصاني واستلم مني الطبق وشئت البعر بيديه كما كان ثم غسل يديه . جاءني مرة ابنه محمد الكبير سحرا وقال لي أمش مع جماعتنا لتعلموا مركب الجزيرة التي غرقت فقممت ووقفت مع الجماعة استعدادا للمشي فجاء حسن ووجدني واقف معهم قال لي : لماذا واقف هنا ؟ قلت لأمشي مع الجماعة لتعلم المركب . قال : ومن أمرك بهذا ؟ قلت محمد أخوك فدخل على والده وأخبره فجاء الممسة يجر ثوبه ووجد محمدا واقفا فقال له مفضبا : أنت قلت لي بابكر أطلع المركب مع أولاد حجازي فقال : وماله . فقال له الممسة : مله في جنبك بابكر يدقركه (وهو شخص تماما) ويقطع المركب مع أولاد حجازي . بابكر اذا أهله يلقونه المركب حفظ القرآن وهو كـ

وحقق الملم وهو كه (هكذا بهذا الحجم) إشارة إلى أنى حفظ القرآن صغيراً + ثم قال يا محمد مالك مبسوط من يابكر وقرأته عم حسن (أى مع حسن) وركوبه عم حسن ومن صلاته عم حسن ثم التفت إلى وقال أمش الجامع فذهب محمد يياقى جماعته ولم يطلب منى يملها أى خدمة + رأيت رجلاً وث الثياب المقطعة جاء من السودان وأظنه من المحسن فوجد العمدة جالساً على مصطبة فقال له : أنا عريان والوقت برد والناس كلهم يقولون لى من خلفا اذا وصلت عمدة دراو يكسوك ، فحجبتك لكسوتى الله يطول عمرك ، فرأيت العمدة ارتجف أرسية وقال له : من خلفا الناس تقول لك عمدة دراو يكسيك ؟ قال الرجل : نعم والله قلع ظميوطه الذى لا يقل ثمنه عن خمسة جنيهات وأعطاه إياه فلما له ومشى به فسمع ولده محمد بهذا فأعطى الرجل ظميوتا من نسج وصوف دراو وقيمته جنيه وأخذ منه ظميوت والده فرجع الرجل للعمدة وأخبره بما حصل فى الحال . فطلب العمدة ولده محمد وقال له : يا محمد كان أبى يعطى وأنا أسرق وأعطى مثله انت يا محمد أنا أعطى وانت تقلع (ترد) يا محمد ظميوتى ما مالكه عمك (ظميوتى الذى على جسمى لا أملكه معك) يا محمد خلينى أموت واستلم كل شئ هات الظميوت فجاء به ضمه للظميوت الرخيص الذى سلمه إياه الرجل ومعهما الاثنين وقال لمحمد امش اثتر زميوط لرقبتك وظميوط لبيك (لأبيك) بالتصغير فأخذ الرجل الظميوتين وذهب الطريقه .

حصلت بين ابراهيم السلواوى ومحمود بك حسين باشا خليفه قضية فى طين ريشا محمود بك بعد زمن كبير ومصاريف باهظة من الاثنين فلجئ كبار نجع العرب فى لدوتهم وقروا أن يتصرفوا لآين عمهم ابراهيم السلواوى بأن يدعوا أرض القاه التى يسكنها أولاد حسين باشا بأنفسا ملكهم من آبائهم ويطلبون من الحكومة ردها لهم وطلبوا من العمدة موافقتهم على ذلك فقال لهم اكتبوا الطلب لا سمح حجبتكم فيه فعينوا الشيخ محمد على الأزهرى ليكتبه فلما قرأه الكاتب للعمدة قام العمدة وصعد على سلاله فى النروه معنوده للخطابة فقال أحمى يا درلو فيك الاجمل ولحد والباقى نياق (دالوكت) — أى دال الحين — كتبتم للحكومة تطبيقكم القاه لأنها ملك آبائكم وأجدادكم

طلبكم هذا منقوض من وجوه الأول انكم بطلبكم هذا هضمت تصرفات
آبائكم واجدادكم فتفضحون عند القبائل هذا اذا نجح طلبكم - ثانياً انهم
مكثوا أكبر مدة يمتد بها القانون للتمليك - ثالثاً - لو سلمنا جدلاً ان الحكومة
خكمت لكم فهل تحول للمباينة الساكنين نحو مائة سنة خلدوا أشياءكم
(أقتاضكم) وقوموا والا مع المجهلة لكم تحول أعطوهم خسائرهم فمن
يشترى منزل محمود بك يشتره موسى أبو محمد على يأكل فيه البطيخ قرداحا
أنا عندى لكم رأى أحسن من رأيكم وهو ان تدخسوا ثمن الأرض وعلى ان
أراضى محمود بك يأخذ القيمة وسطى إبراهيم الأرض فاقضوا عندما سمعوا
دفع القيمة - هذا رأى رجل أمى لا يحسن الكتابة ولا القراءة - كان العملة
المتولى تطهير الترة - ففى سنة سبعة عربى كان للأموء على شوقى بدرلو
فاتفق مع أحمد بك خليفه أن يتولى تطهير الترة فلما بلغ العملة ذلك ركب
حصانه وسار وسار للترعة فأخرج الناس من السبل فى التطهير وقال لهم انزلوا
السيط فلما سمع أحمد بك أخبر على شوقى فأخبر ماهر بك المحافظ بأسوان
فجاء ماهر بك وطلب العملة بالضابطة وسأله لماذا منع الناس من تطهير الترة
بواسطة أحمد بك مندوب الحكومة فقال له انى أرى العملة هسو المسئول
للحكومة عن الجماعات والامن والأمراض الوبائية والذي يعرف رعيته المحتاج
منهم والمرضى هو الذى يباشر عملية تطهير الترة وكل عمل تحتاجه الحكومة
وعلى كل حال أنا لى رأى فى عملية التطهير وهو ان يجعل على كل فدان قرشين
يدفعها كل صاحب فدان يروى بالترعة ويجعل للناس أجرة يومية قدرها سبعة
قروش صاغ يأتى الرجل طالما مختاراً فى وقت فراغه من عمل فى زهره ومعه
أدوات الحفر والغرف لإبروج ليلاً لأولاده حاملهم مؤونة يومهم والمتشفون
بالماء يلحفون القود مقابل ضمهم اما طريقة المسخرة بالنوبة فلا تخطو من نوع
من الظلم حتى بواسطتى لما أحمد بك فلا يعرف فى الناس الذين يطهرون الترة
فكيف ينظم لوباتهم وان ادعى معرفتهم فليذكر عشرة من الذين حفروا بالأمس
وهم كثيرون فوافق ماهر بك على هذه الفكرة وكتب بها للداخلية وصودق
عليها وحرق بها العمل حتى توفى العملة سنة ١٣٠٩ هـ .

غزا الأمير الحسن سعد العبادى أرض المبابدة فهربوا للنيل وكثير منهم

جاءوا بليلة دراو وكان أكثرهم يأتي لخيمة العمدة على ليقسم لهم البتاو
 والبطيخ للمشاء فكثرت الموت فيهم والحكومة ألزمت أحمد بك بلغن من يموت
 منهم على أن تصرف لهم الكفن فلما تب طلب من علي أفندي أن يمشي معه
 للعمدة للتضرر في وجود المباينة بدراو ويطلب ترحيلهم لكان أوسع فزار أحمد
 بك والأمور العمدة بمنزله وبسد التهوة خرج معهم وكان الأمور والعمدة
 متهاككين اليدين فقال للأمور للعمدة ما سألتنا عن سبب مجيئنا لك فقال جئنا
 زائرين ؟ قال نعم ولكن عندنا غرض بحيث عندك قال له : غرضكما مقضى قال
 أن تكتب للمدير وتطلب منه ترحيل المباينة لكان أوسع من « دراو » لأن
 المصايين منهم وكثرة اللواتي تسبب العلوة للوطنين . فنفض العمدة يده من
 الأمور وضرب بها على صدره وقال له أنا جفري يا شوقي أفندي ورجع منها
 فسأل شوقي أحمد بك ما معنى أنا جفري ؟ فسر لها له يأتي لا أطرد ضيفي
 مثلك أنت فاعتبر على شوقي هذه لعانة له وقدمها لاهر بك الذي حضر وطلب
 معرهم يسرون هذه الجملة فلما ادعى على شوقي أمام الحاضرين قال العمدة
 أمالة في ذمتكم يا أيها الحضور أنا ماني جفري ؟ شى قالوا جفري تمام
 فقال على شوقي تهدد أنا لا أطرد ضيفي مثلك . قال له سمعتها منى قال : لا
 ولكن فسر لها لى أحمد بك وقال تهصلنى أنا يا رجل يا أهل فقال له العمدة
 نحن شيايب تتاي مثل النمل فتنفخس كالعرب قوم أذكر محاسنك فقال
 بعض الجالسين للعمدة قم أنت يا شيخ العرب فقام فكفكف يدي قميصه وأخذ
 عصاه فبرمها وخطا خطوات وقال : أنت متلى أنا يا أحمد بك طابقتى نعى .
 وقمرى يهدر والذي يجيء في بيتي أقل ما يجد طيبخ بى رغيث المباينة الذين
 تطلب مى طردهم أهلى ولا أهلك أنا أعطيتهم الأكل أنت عاجز من دفن الميت
 الذي تصرف لك الحكومة كنه أنت مثلى أنا يا أحمد بك جلدك الحاج محمد
 لما كتل الرقبة في المباينة وهرب للنيل جى لى جدى عيسى أعطاه أرض الشطب
 عمل فيها بيوته ولما نزلت بهايه لكوم أمبو الجافرة قطعوا أذناها وأذناها
 فشكا لجدى عيسى وأعطاه عيسى قدافا يرعى فيه بهائمه لا ضلكتافى فدان الحاج
 محمد قبله لكم طين غريبه لكم طين يحربه لكم طين شرقيه لكم طين جاء جدك
 خليفة لى بدوى أعطاه أرض الغابة بنى الصغين فيها ثم سكنت . وقد كان

الناس محبوبون بفخره ثم قال يا أحمد بك قم وأخضر فقال لا أخضر مع أهبل
مثلك فضحك الناس وانفض المجلس وضحك ماهر بك من فخره وكان دائماً
يبدأ فخره بقوله : أنا بطاح أنا عمدة « دراو » وأنا سيد البلد ألقبه جاي
واقبله جاي ويقلب يديه .

سبق أن قدمت شيئاً عن حسن علي بحساج . استمرنا في الإخاء حتى
وصلنا لدرجة رفع الكلفة وصلق الألفة ولكنني لا يمكن أن يظن ضميري من
وخزة فقدان شقيقائي وأمي . ففى ذات يوم عنده ضيوف فلما جاء الغذاء
وكثف غطاءه فاحت منه رائحة بخار الديك الرومى فمليتنى دموعى حينما
ذكرت أنى آكل مثل هذه الطيبات من الطعام وأمى مجهولة الحال فغطى الخادم
الآكل وأزبح من مكانه فصجلت ووبخت نفسى على سوء معاملتى لمن أحسن
الىّ ثم توضأت وصليت ركعتين وتكلفت البسط ودخلت عليهم فقدموا الطعام
وبعد انصراف الضيوف رفع حسن يديه وقرأ الفاتحة وقال انشاء الله بركة
الشيخ اسماعيل النقشبندى فى هذا اليوم تجد خيراً عن أمك . فأمنت على
دعائه وتوجهنا للسوق ففى طرف السوق لقيت رجلاً يدعى عبد العظيم حيرى
من الأسرى ولكنه بفمه تيناك فسلمت عليه سلام جناء ثم قال لى لقيت خير
أمك وأخوانك قلت لا قال هن يبلده اشكيت عند العمدة ذهب فأقبلت عليه
بمير ذلك الوجه ورأيت فى غير تلك الصورة ووددت لو قبلت فمه بتيناكه فلما
سمع حسن بكلامه كتب جواباً للعمدة ذهب وأرسل داخل الجواب بتكنوت
جنيه مصرى وطلب منه إرساله بمركبته وحينما تقوم بهن المركب يكتب جواباً
بالبوسته ولكن ذهب حول الجنيه راجعاً وقال صحيحاً كان هؤلاء النسوة
عندنا ولكنهن يارحنا منذ شهر ولم نعرف لهن خبراً فرجماً لارتباكنا لكن
لدرجة أخف لضماناتنا حياتهن وكونهن فى القطر المصرى ومطلوقات التصرف .

وفى شهر ربيع الأول مشينا السوق تشتري بهائم المولد لقينا إبراهيم
عوض الكريم القهرشى جاء من حطفا فأخبرنى ان والدتى واخواتى بالتوقيفية
بحطفا فكتب حسن لصالح مناقش وأنا كتبت لأمك العربى وأرسلت له نسخة من
قصيدة ملحت بها الزبير باشا وعبد الله بك حمزة ومحمد صالح ثروة وصالح
مناقش فعرضها على صالح مناقش وهؤلاء الأربعة هم الذين خدموا الأسرى

من أغنياء السودانين بمصر فأسرع صالح بإرسالهن بمركب ورد هو ومالك الجواب بقيام المركب فأصبحت في الانتظار على مثل جمر الغضا . وذات يوم سافر الصدة لأسوان ولما رجع أخذت الحمار وقابلته في المشرع فقالت لي أين جماعتنا قلت كلهم في الخارج للزرع فأركبني خلفه ثم التفت علي وقال لي جيتني بالحمار قلت نعم قال أنا جئت لك بخبر ناس أمك فاضطربت من المرح واستمر قائلاً جاءتني أختك الكبيرة ومعها ابنة عمك وأخبراني أنه أمك وباقى العائلة في بيت بعيد لا يمكن لحاقهن والوابور يصغر للقيام فطلبت أولاد حجازي وأكدت عليهم بأخذهم بمركبهم بحيث يصلن دروا قبل شروق الشمس والا أقسم ظهركم فإن شاء الله يصلن في الميعاد فلما وصلت البيت أخبرت حسنا فسر جدا وقام سحرا كعادته فلما صلينا الصبح أعطاني حمارته وقال لي امشي البحر إذا وجدتهن فالحمد لله والا أصلهن بأسوان وشهلهن بمعرفتك فلما وصلت السوق رأيت السهوه أختي الكبرى التي لم أعرفها لولا أني رأيت أمي تقودها الحسني وبقية أخواني لأنها قضيت كثيراً من التصب اذ صارت رقيقة سوداء انطمست شلوخها فلهشت وصمت ولم أدر ذلك الصمت أمن السرور أم بهتان أم لما رأيته من اثر التعب عليهن حتى وصلنا البيت فوجدنا حسنا أخرج والدته من بيتها وأدخلهن فيه وأحضر أرب غلال وخروفين بآرك الله فيه حيا ورحمه رحمة واسعة ميتا .

وردت مرة للجروف فلما رجعنا رأيت منصور الجميلاني ومعه جماعة من أهله وهم من قبيلة الرباطاب فنزلت وسلمت عليه فلما وصلت حسنا سألتني : هؤلاء من أهلك قلت لا فتأخر عني كأنه يقضى حاجة الانسان ماثلاً عن الطريق حتى وصله منصور ومن معه فسألهم عني فقالوا له قرينا فقال . ما جنسكم ؟ قابوا رباطاب ، فجأنتي وسألتني عن جنسي ولم يسألني قبل منه فقلت له رباطابي . فجابني على نكراني لمرفة منصور ومن معه بصرار يسير على سيرهم حتى وصلوا بيت والده فأدخلهم وأكرمهم مدة اقامتهم .

واجتمعت مرة بفاطمة بنت منصور المشهورة بالنية . أمها رباطايه وأبوها أصرواني ومعهما بتولي زوجة المرحوم التوم أخو النية فصرت أزورهن حيث لا يوجد في لبح العرب من الأسرى غيري وهما . ولا أزورهما الا بمد المغرب

لكثرة ملازمتي لحسن ولا أخرج منهما يقدمانى حتى الى خارج العرش
ورجع فبجتهما مرة كعادتي ولما قمت قامت معي النية وحدها فلما جئنا في
الدلهيز المظلم ارتجفت وقبلتني فصرختها بكل كمي ضربة مؤلة فمسكت رأسها
وجلس في الأرض وسرت في طرفي واقطعت منها زما طويلا ثم عاودتهما
فلم أجد للمادة أثر عندهما ولا عندي والحمد لله .

رأيت والدتي محتاج الى ثوب فذهبت للشيخ حسين أبى أحمد التاجر
بدر او فطلبت منه أربعة عشر ذراعا ولاية بالقيمة أقسطها له لأنى أصبحت مرة
خيالا ومرة جلادا فذرع لي الأربعة عشر ذراعا طبقها ورمائها لي وقال أعطيكها
لوجه الله رددتها عليه وقلت لا لقبها صدقة ومشيت منه فأرسل خلفي وبحكم
الضرورة رجعت له فقال خذها وقسط ثمنها كمسا تحب فقلت في كل سوق
أسبوعي أدفع قرشين قال : جميل فذهمت له الثمن كالاتفاق فله الشكر .

أرسل لي عبد الله بك حصة خطابا من الرمادى لأنتقل له بمائتي
بارمادى وكنت لي علاقات بدر او حيث انى أصبحت كصناعي أطلب وأطالب
فما رددت عليه ثم الله خاطبني ثانية بنفسه وأمر من يعرفني أو من ارحامي ممن
معه في كنفه أن يكتبوا لي فاقمت بالتوجه له خصوصا انى وجدت في نفسي
ميل عظيم تجدد عندي بعد اجتماعي بأبي وشقيقائي بالنزوع الروحي الى
مراجعة زوجتي التي أحبها والتي أخلفت من بين فكي وخصوصا بعد ما علمت
ان أمها توفيت حيث ما بقى لي من السعى اليها الا أن أطنن على من ممى في
ممشيتهن وصياتهن وما دام الفقيه محمد المدني وبابكر كرم الله وغيرهما من
الرباط والكتباء وغيرهم من الأمري الذين أعرفهم وآمنهم هناك فلا مانع ان
أناهل فيما أطلبه من غيرى من قود وأضحى بما عندي لأتبع ما على وأنتقل
الى الرمادى هذا هو الرأي الدافع الى الانتقال يقابله الرأي المانع وهو انى
قد عرفت بدر او ووجدت كنف الصلة القادر المخلص لي وصداقة حسن ولده
الذى لا يخل على بماله ولا يباله ودراو بها سوق كبير في الأسبوع وصغير
في كل باقى الأيام وبها تجار مشين من مهاجري دقلا أمثال منزلاوى يمكنني
يسهولة بعد سنة أو مستين أن أنتقل من الصناعة الى التجارة خصوصا وان
دراو بها العباد المصلون بالسودان وقاؤنا يجعل لنا فرصة معرفة أخبار

أهلنا وهي ثمر سهل الوصول للسودان إذا أمكننا ذلك . أنا في الترحيل بين الرأيين إذا عبد الله بك يرسل لنا ولده حمزه بنفسه ليتقلنا بركبه التي داهية الى أسوان لترحيل محصول وبيمه وبرجوعه يأخذنا بالركب فوافقته وكانمى بدرأو (بالغبابة) رحمة الله وأبشر ولدا الياس عمر الرباطي وحضر لهما الفقيه محمد المدني صهرهما وابن صهما وشقيق زوجته وشجنى على النزول للرمادي ولكنى أخننت بالهزم مشيت أنا والسهوة أختى قبل مجيء حمزة لأنظر أفا حالة الرجال وسبل المعيشة غير الاتكالية على عبد الله بك في المستقبل قريبا أو بعيدا لأن دوام الحال من المحال . فرأيت اما أن تألف قصى من كلمة أسمعها أو حالة أراها فأرفض جميعي فيه ولما أن يدل هو استمرار الصرف على الناس الذين لا علاقة لهم به الا الوطنية الواسعة . أخننت السهوة فبتنا يوما ذاك بطله سلوة عند رجل رباطي يدعى أحمد عبد الله مولود هناك وله أولاد وخيمة ضيوف عرفنا أحد أولاده فلما أخبره جاءنا وبمد التحية ساكنا عن بلدنا وجنسنا وعرفنا في الحال انه رباطي سنجراي وسنجر كما يقول النسابون هو أكبر أولاد رباط وله قصة طويلة يرونها وزعمون ان له أولاد في اندفو .

أخذني الرجل وأدخلني في بيته مع أولاده وأختى مع بناته فلما جاء العشاء أمسك بصحن اللحم في حجره وترك الطبلية فلما فرغنا من أكل الطعام أخذ يقسم اللحم بيده ويمد لكل واحد نصيبه ومد لى يأكبر نصيب ولما كنت ما رأيت هذه العادة الا عند شيخنا الفقيه أحمد الكراس وكنت أراها هي الوحيدة التي تعلم الدفاعة من معاملاته لنا وأنا طفل ، رفضت أخذ نصيبى من اللحم منه فألح ما ألح على وشرح ما شرح وحسن ما حسن ولكن قصى لم قبل أكله بل أخذته منه لحرمته على ووضعته في مكانه فضحك وتركتى .

قنا صباحا من سلوة وعبرنا النهر ومشينا فوصلنا الرمادي نحو الساعة ٣ بعد الظهر فتخلت السهوة على نساء الأسرى ودخلت أنا على عبد الله بك حمزة بوكاتته حيث وجدت معه جمعة ممن يميزهم من الأسرى ومن أهل الرمادي ومنهم الأمين ولد العمدة أبو مشالى فلما فرغنا من التحية والتعارف أخذ عبد الله بك يسألنى عن ألمان بعض البضائع يترأو فأرد عليه بما أعلم وبالسكوت عما أجعل فافتحمنى الأمين أبو مشالى يسؤال من النساء فقلت

لا أعلمه فقال الملبس أختك يمكن تعرفه ولم يرد عليه عني عبد الله بك الذي كنت أنتظر أن يرد عليه فلما كرر لي السؤال قلت له : نحن لصواتنا لا يعرفن مثلاً نعرف فضلاً عما نجهل ، بل أخواتكم هن اللاتي يعرفن ما تعرفون وما تجهلون . فقال لي اطلبها نسألهما فقلت الملبسوها فإن جاءتكم فهي كمسا تقول فأرسل لها عني عبد الله بك خادمة له فلم تأت ثم أرجعها لها فلم تأت فأرجعها ثالثة فرجعت الخادمة ثالثة قائلة له ان المرأة أخذت مقفلها على رأسها وخرجت من البيت وقالت لي قولي لأخي يلحضي بالطريق فاني راجعة لدرأو فضحك عني عبد الله بك وقال للامينة هذه نساء السودان الحرات وأرسل لها بأبكر كرم الله الذي كان من الجالسين وهو ابن عمتا فأرجعها بعد أخذ ورد فبتنا ليلتنا وفي الصباح رجعنا (ولا أكتمك يا قاريء اني ما كنت أتى الرمادي لولا أملى القوى وغرضي الملح في مرحلة زوجتي) وصلنا درأو بعد فتور شديد .

وجبت صعوبة في اقتناع السهوء بلثي للرمادي وبعد أيام جاءت حمزة وأخذنا بالمركب حيث تركنا غالب أهل درأو آسفون لفراقنا خصوصاً حسن الصالح ووالدته مدينة . وصلنا الرمادي في أوائل شعبان . وعبد الله بك لم يطالب الأسرى بخمسة قط . يصرف لكل شخص كبير كان أو طفلاً (ولو وضع يومه) ثلاثة أرباع مصرية أو ٣٧٥ رطلاً في الشهر وهذا يكفي ويصرف لمأكلته الكبيرة وحيله الكثيرة . فمحصوله من ساقته وألبسانه لا يكفي بل يشتري مؤوته السنوية من كل نوع في موسم حصاده أو كساده ويحفظها في مخازن وكالته المدة لحفظ تجارته ومؤوته .

حادثة : كنت أقرأ له في مقدمة ابن خلدون التي كان يحبها كثيراً كما أنه كان يحسن معاملتي حتى يجرى معي أحياناً وأرد عليه بجرأة فلا يضب حالاً ولا يترك هذارى مالا . في مرة كنت أقرأ له وضممت الكتاب لأقوم فأشرب من الزير فقال لي اشرب من قلبي في الصينية ولا قطع القراءة فرفست قلة لأشرب منها فقال اشرب من الثانية الوسطى فشربت منها شراباً أشبه بالسوييت فاذا هو العسلية فلما رجعت أحسست بديب خدر في رأسي وزوغان في عيني حتى صرت أقرأ سطراً وأترك سطراً فلما ضحك عني عرفت ما مكروه بي فتركت الكتاب وخرجت فلما وصلت الشارع التوصل بين الوكالة وبيننا صرت كلما

رأيت أحدا وإن كنت أميز شخصه لكنني أراه صغيرا جدا في عيني وإن قسى
تحدثني أني إذا أمسكته يمكنني أن أكسره فلمسا وصلت والدتي قلت أنا
سكران فخرجت وقالت الله يكفيننا شر السلب بعد المطاء قلت أتركوني أنا
ولا توقظوني للعداء فمست إلى العصر فصحوت عافلا صباحا فلما رأيته ضحك
مني وقال لي (ماعنوك ضيق) أي ماضيته غير مسكر . وفي يوم أمر مكى
البرابى الذى اتخذه من الأسرى لتأديب خيله أو ترويضها فبدأ يركوب مهر
فطرده مكى فلما سمع المم غضب وقال له لا تطرد الخيل فتتمبها كما اتخض
الفقيه ولد المجنوب ليدرس أولاده القرآن

ففى يوم ضرب ولده آدم قطبه وقال له لا تضرب الأولاد وتفرهم فقلت
له يا عمى عبد الله بك انت عجيب خليك تؤدب بلا طرد وولدتك يعلم بلا ضرب
فضحك جدا وقال للفقيه اضربهم وقال مكى طرد الخيل ثم التفت الى وقال لي
انت حكيم . فى مرة أراد أن يعمل بمساقيته سياجا بيناه مؤقت من اللبن وكتل
التراب القديمة ولم يجد المال لبنائه فقررنا نحن الأسرى وأولاده القيسام
بيناه بواسطتنا فكان معى الفقيه محمد المدنى وولد ابكر - محمد يأنى
باللبن والكتل وابكر يعمل الطين وأنا ابنى فبناه ينظر علنا وهدم ما بيته
ووقف كاتخضب ولتخير فلما جاء المدنى باللبن ووجد البناعهونما قال بحد
من هدم هذا رد عليه عمى عبد الله بك بقوله : أنا هدمته فقال محمد لماذا ؟
فقال له من بناء قال بناه بابكر قال المم ليه بينيه معوجا ؟ رد عليه هل كان
عند أهله بناء ؟ قال المم : كان ملكا . قال محمد الانسان اما أن يكون ملكا
واما أن يكون بناء . الا توجد درجة وسط يعيش فيها ؟ فضحك المم حتى
جلس على الأرض وقال لي : ابن يا سيدى فاعدنا البناء ورجع المم عبد الله
عن باقى مروءه حتى أتممتا السياج لم يعد اليه .

بعد أن اطمأنتت على أهلى عزمت على السفر مصرا بناء على آخر جواب
مؤرخ يوم ٤ شعبان بنظ أحمد عثمان يقول لي فيه احضر لترجع زوجتك
وبرجوعك لصحبك أنا والحسن أخى لأتزوج أنا أم طيسول وترتزوج الحسن
الحسنى اخيتك ولعيش معا كما كنا وبخيرنى ان المدنى مصطفى زوج أختى
الكبرى وعمى محمد أحمد شكاك معهم بمصر وإن والدتهم توفيت فكل هذه

العوامل الدافعة عجبت بى للقيام ومن المشجع لى مركب عبد الله بك قائمة
لصر وراقنى فيها عى حجازى وأبو شه صديق عى على شكاك حينما كان
عاملا بالمسلمية فنزلنا على بركة الله ونيتى نسيب ما وراهها وتوجهت لى هو
أمامها واشتدت بى الصباة والحلم العلو والأمل المسلى فصرت أتمثل مجنون
ليلى وما نسب اليه حتى قلت قصيدة على روى يائته أذكر منها :

تذكرت أياما لنبا ولياليا	مفت بضياء وسرور تواليا
وحين عيون الحاسدين غولمض	تلتهت بما قد كان فيه تلاها
الى الله أشكو ما ألقى من النوى	بنقد حبيب كان للود راعيا

ومنها : -

وجسودى يا بقيق يزورة	تثنى مسقوما له فقدكم اعيا
وان الذى أرجوه يا سيدة النسا	بأن توصلى حبلى وان كان ولها
ولا تمثى سى بما قد جنيت	فقد قل مادام الوداد تصافيا

ومنها : -

فيارب مو الحب شطرين بيننا	تصلى بنار الحب كى تدرى مايا
ويارب يبقى العمر لما قد كتبته	وعند (بقيق عثمان) تبقى وفاتيا

ولكن اقلب الحب الطو مرا وخاب الأمل فاققلب بعد التسلية حزنا
حينما وصلنا أسبوط ولقين بها من الأسرى من أخبرنى أن البقيق تزوجها الزبير
باشا نفسه فى يوم ٢٧ رجب أى قبل تاريخ خطابهما لى بسبعة أيام فأشار على
رهيئى بالرجوع للرملدى ولكنى رأيت هذا الظهار للجسزع وفواتا لاداء
ولجب المزم .

فصمت على وصولى القاهرة وعالجت نفسى فى الطريق حتى سليتما
تماما ووصلت القاهرة بطالة هادئة وفكرة واهية والفضل فى ذلك لتربية المهدي
« عم » الذى كان يصر قوله تعالى « لكيلا تمزقوا على ما فأنكم ولا تفرحوا
بما آتاكم » بقول يدخل فى القلوب فتضسه بصامتة قبل أن يدخل فى الإذنان
فلما دخلنا مصر أشهد عمر حجازى بأن تنزل عند حميد باشا وكيل دائرة حيدر
باشا فرفضت أن أنزل فى غير بيت الزبير باشا لأن نزولى عند غيره من مظاهر

الحزن والجوع اللذين لا أحب حينذاك أن يرى أحدهما على فيداد الثامت
شمتا بقرأت بيت الهزلي :

وتجلدى للشامتين أريج انى لرب الدهر لا أتضع

دخلنا منزل الزير باشا وقابلناه لحز الساعة هـ مساء قرحب بنا وأولانى
بعض العناية الخاصة ثم خرجنا حيث صلينا المشرّب في جامع السيدة زينب
ورجعنا وصرت أصلي الأوقات في الجامع كلها . وفي اليوم الرابع صليت الصبح
فلقيني الزير باشا عند باب الجامع خرجنا معا وهو بلا بس ينطون وكبوت
ومكاويه على رأسه بماتتا ويده سوط يضرب به رجله ويده اليسرى ممسكة
بيدى اليمنى حتى دخلنا بيته حيث وجدنا بعض من الأسرى قائمين في غرفة
خارجية فصار الباشا يضربهم بالسوط فهبوا كالخيران ولما رأوا الباشا خرجوا
من الغرف فجلس في برقة سرايه وطلبهم فاجتمعوا حوله وأنا معهم فقال لهم
مويضا الزير باشا عدل لكم للمصارف حتى التعم وأجر لكم يسونا بالبيزة
بعائلكم . الزير باشا الى متى هو حى لكم يا فاس كميتمكم بهم الميمنة
ما تشبعوا لى بنت عمى (نيك) يا ناسى ما يسيمون في حرف تمشون منها فرد
عليه بأكبر كرم الله عبد الله فقال يا سعادة الباشا العرف في مصر كلها محتاج
الى مفتاح وضمانا ورأس مال كل هذا ما نخذل ؟ فكان رد الباشا عليه : أنا
عارف لكم حرفة لا تطلب واحدة من هذه فقالوا ما هى يا سعادة الباشا ؟ قال :
الولد منكم يشى حارة اليهود يوم السبت يتيكوه ويسطوره قرشين فخرجت
من بينهم وهم يضحكون مما قال وتفرقوا فخرجوا الساعة ٨ صباحا في هذا
اليوم طلبنى وهو في غرفة الجلوس يسرايه فوجدته جالسا على كرسي له
عجلات اذا اتكأ عليه يجرى في البلاط فأشار على بالجلوس على كرسي مقابل له
فجلست وبدأت بيننا هذه المحاوره :

ز - لاي سبب جئت لمصر ؟

ب - انت يا سعادة الباشا الناس يتوهون ويخطرون في الخوفا ليروكا
وأنت في اليهودية فلما كتبت طينا أن تسكن القطار المصري لمدة لا تقلها جئت
لأراك وترى بشخصى وإيسى حتى نأخذنا دليلتى ما أحتاج للمساعدات في

كنت لسعادتك كتاب من تعرفه .

ز : ثم ما السبب ؟

ب : أولاد عثمان أولاد خالي واخواني ووالدتهم توفيت جئت أعزيهم .

ز : ثم ماذا ؟

ب : المذني ابن عمي وصوري وزوجته وأولاده معي ومحمد أحمد

شكاك عمي جئت أبحث عنهما .

ز : ثم ماذا ؟

ب : جئت أزور السيد المصين وآله .

ز : ثم ماذا ؟

ب : لا شيء .

ز : اتصّب بعد اتكامة خيفة ثم قال لي ان المرأة التي تزوجتها أنا قالوا

امراتك .

ب : بل مطلقتي .

ز : لا امراتك .

ب : سبحان الله يا سعادة الباشا أنا الزوج الأول أعترف بالطلاق وأنت

الزوج الثاني تدعى ضده فهذا معكوس .

ز : اسمع يا بابكر افت قلت جئت لكل من ذكرت والحقيقة انت جئت

لامراتك أو لرجوع مطلقتك .

ب : من أين أخذت هذا يا سعادة الباشا ؟

ز : أنا رأيت كتابك التي جاءت منك بالرغبة ورأيت الجوابات التي

رأيت لك بالاجابة .

ب : لما رأيت كل هذا لماذا تزوجتها ؟

ز : متعجبا يا ولد ضحوي يا زمتوان يا ود المخبوب تعالوا اسمعوا هذا

الكلام من هذا الولد الذي يقولون صغيرا لا يعبأ به أنا والله منذ كنت الزبير

ما سمعت مثل هذا الكلام ما هذه البلاهة « شفت كتاباتك » « عرستها لي »

لما شفتها ؟ (ما بلاهة) أشهد على نفسي ثم خرج الجماعة الثلاثة والتفت الى .

ز : اسمع يا بابكر المرأة دى أنا صرفت عليها نحو ثلثمائة جنيه من مصاغ اللى لباس اللى فراش شئ يلىق بمقامى أنا والآن عزمت أطلقها وبقي معى حتى تستمد وأرجعها لك بما عملته لها وأنا الزير أنا أعمل لك هذا كله .

ب : متحمسا انت والله هذا ليس لك بضر .

ز : انت تعمل هذا .

ب : نعم أنا ما عندى مال كهذا ولكن ادا تكتب لى خطابا تطلب منى طلاق زوجتى وارسالها لك اعمل فاضل انت أصعب الزوجة أو المال .

ر : سكت مليا ثم قال لى ان كنت تجبر خاطرى وتمترنى كوالدك قبل منى طلاقها ورجوعها لك لا تدارك غلطتى .

ب : يا سعادة الباشا هذه البنت كانت ترى بيتنا أكثر من بيت أبوها والآن صارت فى بيت الباشا الذى هو أكبر بيت سودانى الآن فلا ترضى بى .

ز : على الطلاق راضية بك لأنى حينما أخبرتها بوجودك جرت مدامها وبدأ عليها أثر الحزن .

ب : يا سعادة الباشا نحن الآن فى أسر ولا غرض لنا فى النساء فإذا رغبتا الزواج بعد حين فالسودانيات موجودات عند الأفريق وعند المييد وكثير منهن (مكتبات) أى صابرات عسلى حرارتهم فلتزوج من بعضهن لتخلص من تخلص وتبقى الحرة على حرارتها أما النساء اللاتى دخلن بيتك فهو لاء حفظن وإن كن يأكلن الطعام ويضمن الكسوة فضلا عن صارت زوجتك فأنى أقول لسعادتك هذه المرأة التى تراودنى عليها لا تحصل من شأنها هذه المنه منك ومن اخوانها ما لها فى قلبى ما يضطرني لتحمل هذا وأنا أقول لسعادتك اذا كانت كحواء وكنت كآدم يتوقف على اجتماعنا كزوجين حفظ النسل البشرى فأنا محرمها مهما حلت لى .

ز : وضع يديه على رأسه كالعامه وقال أعوذ بالله من هذه الجراءة ثم لادى أحمد عثمان أخوها الكبير له يا أحمد اسمع .

ز : بابكر قال انه جاء يرانى ويرفنى وهو كذاب وقال ما قال حتى كرر كلامى الذى قلتمته له سببا ويقول وهو كذاب جاء لإرأته يرجعها فأنا الآن عزمت أن أطلقها فتستمد ونرجعها له بما منها من أمتة .

١ : يا سعادة الباشا حينما طلبت أنت زواجها نحن ما تجساهلنا بابكر
 عرضنا عليك الكتابات التي دارت بيننا وسعادتك سمعت كلام غيرنا وقلت رغم
 هذا زوجيها فنحن إذا أردت لك فالآن وقد حضر بابكر للعرض الذي ذكرته
 وعزمك الذي عزمته فنحن لا نوافق عليه بابكر إذا كان بحاله السابق الذي
 نعرفه عنه إذا طلقها له فمحال يتزوجها وإذا تغير عن حاله فنحن لا نبالي به
 بغضب أو يرضى فإذا كنت مسعدتك فنت منها فطلقوها تعيش في بيتك
 كاخواتها .

ز : على الطلاق كلام بابكر أحسن من كلامك وهو أرجل منك وأعقل
 منك .

ب : يا سعادة الباشا أبأؤنا وآباؤهم حيران في بلدنا نحن تزوجنا منهم
 ثمان نسوان وهم لم يتزوجوا منا امرأة واحدة فلم الفصل علينا في سابقاتهم
 فارتكنا يا سعادة الباشا لئلا نجفوا بعضنا أما أنا وسعادتك معلى قرارنا .

ز : امشي عاد لأرى رأيي فخرجت وبعد أيام بلغنى انه عزم على طلاقها
 وصدفة اجتمع عنده الشيخ مضوي والذات الشيخ العاقب عصرًا فقلت لهما
 أخبرا سعادة الباشا أنا يدي هود أصرف منها على نفسي حينما قلت بيته
 فإذا طلق البقيع أنا أدخل من بيته أو أسافر اليوم من مصر قبل العيد فلما أخبراه
 طلبني وقال لي بلعتي وصيتك ورجعت عما عزم عليه لكن رأيت في كتاب
 كتبه لك أحمد عثمان أن تأتي بأختيك يتزوج أحمد واحدة والصن الثانية
 بأنني أطلب أن تنفذ هذا وأنت تتزوج أختها آمنة وتميشون في كنفى فازعجني
 قوله : كنفى فقريت منه وهمست في أذنه اني لا أستطيع حارة اليهود يوم
 السبت ففطحت وقال لي : همسا امثالهم هل ترى أحدا منهم يذكرها قلت
 همسا أفتك يا سعادة الباشا أكثر من أمثالها عليهم حتى ألغوها فضحك
 ورجع للباغاة قائلاً ما قولكم في الله يتزوج أختها فقلت : يا سعادة الباشا ان
 صبح شرعا فلا يصح عرفا فحكى أنه رأى قبيلة في دارفور تكونت من رجلين
 من الأشراف تزوجا الدارفور ووجعتهما فأحدهما توفي عن ولد واحد والثاني
 توفي عن سبع بنات فالبنت الكبيرة تزوجت ابن عمها حتى حملت منه فطلقتها
 وزوجته الثانية حتى تحملت منه وزوجته الثالثة حتى كاد عليهم ثلاث مرات

قلت كيف كانوا قبلة ان لم يسلطوا غريبا بينهم وهم كلهم اخوان من آب واحد . فالتفت لى سفاخة الباشا وقال : والله يا ولده الحرام ما انتهت لهذا الاتقاد فأسلمهم عنه . ثم قلت له هؤلاء اضطروهم علم جنسهم ولكننا نحمد الله عندما نساء عند الاغريق والبيد وكبرت المباشرة التي قلناها له فلما رأى عزيمتى نسكت وبعد هنية أسألتى الشيخ مضوى عبد الرحمن : هل تعتقد ان المهدي هو المهدي ؟ قلت وأنت لا تعتقده وأنت الذي قبضت على لصيتك وقتل لأهلك وغيرهم بكر كوج والعليقون اذا لم يكن هو المهدي فاقبضوا على لحيتى هذه هكذا وقولوا والله غشنا مضوى . قال لى : نعم قلت هذا حينما رأيته بغير ثيابا دين الله تماما فلما توفي ورأيت التغير أنكرت . قلت يا مولاي هل أخبرت الناس الذين آمنوا بإيمانك أن يرجعوا يرجعوك ؟ قال لا . وضحك الزبير : باشا حتى شرب على أوركاه وقال ولد الحرام ده من دين فقال له الشيخ العاقب : هذا ببعض من ذكاه والده وانصرفنا فلما كانت الجمعة اليتيمة من رمضان وخرج البغدوي توفيق باشا بأية عظيمة للصلاة في الجامع العمري وأنا كذلك ذهبت للصلاة به وبعده لما طليها خرجت فرأيت تلك الأبهة والعظمة من السلاح والرجال : كان اعتقادك في أن يعيشنا الدع يأتي بعدنا في أن يفتح مصر وصلصنا من الأسر أقربا عنك من أن يرجع للسودان هذه ظاهرة من أثر البقية الصماء لما جئت مصر حاملا جنوايا من عمى على شكاك أرسله لى يد أحد لا أذكر اسمه أخبرنى فيه بأنه سيحضر القبط المصري مع المنصور أبى كوج ليرحل زوجته التي تركها ييلانا ويوصلنى مع مروجت شقيقه محمد أحمد شكاك متزوجا بها فلما عرفت عليه الجواب انقصا عن بعضها فتزوجت هي أحدا عثمان الذى أيس من أختى وتزوج محمد أحمد أمنة عثمان التي عرستها الزبير الباشا .

ثم علمت على السفر للزمانى لهذا العيد مباشرة فلما ودعت مستعادة الزبير باشا الذى كان الناس يشيرون لى بجدية عظيمة منه أمر لى بجنهين ونصف ثوب دبلان فأخذتهما وطلعت أن أشرأختى منه بما لم يسمعه من غيرى أثرت في نفسه : منقوت بمر كبة وكنت أعظم قبل سفرى من أولاد عثمان آل بنت فالتهمنا إفاضة بكت الفضل ولولا هذا دفع الله حبيكة للفتين ولربتم زوجة أيها الفضل

الذى مات بالشلل موجودون عند أولاد أبى ستيت فى ضواحي مدينة البلينا وسافر معى المدنى بزوجته بت الكلاى فلما وصلنا للبلينا طلبت من ريس المركب أن ينتظرنى حتى أرجع من أولاد أبى ستيت فتركهم فوصلتهم وطلبت منهم السفر معى فامتنعوا فلما أخبرت مريم بابنتها حفصه انها بأصوان كما رأيتها مع سرية خالها أحمد عمر التى تزوجت ياتين الشاعر قالت لى سألتكم فرجعت وسافرنى وفى طريقنا أخبرنى بعض الأسرى انه رأى الروسه بنت محمد ابن عمنا وأما فاطمة بنت حاج الحسن قديلاوى بأصوان صممت على انى أتوجه اليهما فلما وصلت الرمادى جئت أودع عمى عبد الله بك فقال لى : ما تريد من أصوان حكيت له غرضى فقال لى : البنت لا تأتى معك قلت له سأتى . فكرر النفى وكررت الإيجاب وأخفت معى آمنة بنت العرم النياية والدة الجزولى والشاذلى لتكون همزة اتصال بينى وبين الروضة وفعلما جاءتنى بها فوعدتنى انها تمشى معى وعدا جعلنى أطمئن ثم جاءتنى غدا وقالت لى امشى معى لبيتى تتلفى معى فمشيت معها وهى فى المطبخ دخل عليها زوجها العبد وكانت آمنة وراء المطبخ فسمعت يقول لها أنا خبرت الباشا وسيضعهما فى السجن الرجل والمرأة فآمنه من مكانها داك خرجت من بيتها وسارت للبحر حيث وجدت مركبا مسافرا دخلت فلما وصلت الرمادى أخبرتهم انى فى السجن فيما أنا فى انتظار الغداء اذ جاءنى بوليس وقال لى ود هلوس باشا طالبك والمرأة التى معك والبنت الروسه فبحثنا عن آمنه فلم نجدها وتوجهنا أنا والروسه حيث وجدنا زوجها بخيت موافى أمام الباشا فوقفنا معه فقال لى الباشا بلسان عربى انت جئت للبنت ده ؟ قلت : نعم هى أبوها ابن عمى وأما بنت خالى . سألتها صحيح هو عندك ؟ قالت نعم وصاحب خالى كمان . فقال لها تمشى معى أو تبقي مع زوجك ؟ قالت : أبقي مع زوجى . فضحك وقال : هى مش عاوزاك . قلت : أنا مش عاوزها وأخفها زوجها يدها وقارقانى . فقصدت البحر لأبحث لى عن مركب أسافر بها مكسوبا ووصلت الرمادى . دخلت على عمى عبد الله ووجدته يقرأ فى جريدة امسك بيده ومجلسه حافل فقال : من هنا تهكما قلت بابكر قال البنت جاءت معك قلت لم تأتى قال انت مجنون البنت وجدت زب العبد الأخرش تغظيه وتتبعك (جاءتنى نوبة الصراحة)

قلت له البنت زب العبد مخلوقة له ومخلوق لها وهي صغيرة أخذت قهرا لها
 أعذار . فأخذ يقرأ حتى انصرف عنه الناس فطلبني فبحثته فقال لي يا بكر سمع لي
 أمام ناس البلد يعفون علي ما قلته لي قلت انت الفتى الموظف الكبير في
 سنك وفي مقامك و ثروتك تزيدك شرفا على شرف وفن الأسرى الضعفاء
 والفقراء تزيدنا احتقارا على احتقار هذا لا تجده عندي وانصرف عنه وجلست
 على جدول ساقيه خارج الوكالة فجاءني الأسرى الذين حضروا وسمعوا
 الحادثة قالوا لي يا يا بكر أغضبت علينا عبد الله بك الرجل المحسن فينا وهو
 وراء الباب يسمع ما نقول مما جعلني أظن انه بمشهم لي فقلت لهم بصوت
 مسموع مغضب عبد الله بك ما يكفيك ان الله أحاجنا له من قبائل شتى ومكة
 من أن يأسر قبائلنا بأحصانه لنا ان لم يعرف أي فلا شك انه يعرف عني مالك
 الذي كان يرافقه في أسفاره وأنا من هذا اليوم اذا قمست في كنفه أكون
 (ولد حرام) وهو يعمل لي ما يشاء انصرفوا عني فاني لست ممن يحصل له
 جميله أكثر مما حصل هو لي يرضائي ابني قعيده . وبعد هنيهة طلبني فوجدت
 عناءه أمامه فقال لي اجلس كل فقلت لا أكل فهم أن وقف فيجلسنني فقلت اسمع
 يا عبي عبد الله بك أنا اذا صرت غنيا مثلك وجئت عندك ضيفا ما أكلت طعامك
 اذا أكلته أكون (ود حرام) لا تتعب وخرجت .

لم أقم تلك الليلة هادئا وبمجرد شروق الشمس زلت للشياطين انتظر
 مركبا تحملنا لأسوان فجاءني وطلب مني أن أرجع فلم يمكن فأعطاني جنيها
 للأجرة والزاد فرفضته وهو معي مرت مركب رفعت لها يدي مالت علينا فأزلت
 أهلي والمالدي ودفعت للرئيس الأجرة مقدما فأيس من رجوعي وأخيرا قال لي
 كنت أريد أن أعيل معك مصاهرة في أختك الصغيرة فقلت آه ما كنت أعطيها
 فقال ولم قلت لأني سمعتك وأنت متزوج بنت الختام وأما بنت النقيع أحمد
 ولد هاشمي قلت من فتح الباب يتاع الخيل قيل لك فتحه محمد الختام قلت ولد
 الختام من الله يلين أمه يا شيخ . فضحك وقال استودعناك الله (ما فيك
 بصاره) .

وصلنا أسوان وما يبقي غير ٧٢ قرشا أجرا غرفة واحدة بعشرين قرشا
 ودخلنا فيها عند الغروب وفي الصباح ذهب للسوق والبحر أبحث عن عمل

فوجدت أكثر انشغالاتي الأسرى عمالا باليومية قد العمارات اليوم قرشين فجاء
في بالي هذا الفكر ومعنى جاري بنت مصطفى وزينب عبد الله ولد مالك والخواني
الثلاثة وأمي اليوم قرشين لا يتكينا أكلا مهما اقتصدنا وإن كلفت النساء
بخدمة لأكلهن لا أدري ما يحصل لهن أثناء الخدمة ونحن في بيتنا الرجوع
لبلدنا فإذا تودد منقصة هنا تغالف عوائدنا وديننا لا آمن أن يملأها هناك
ولو من غير قصد فتفرضنا في بلدنا . تحت ضغط هذا الفكر ملت على رجل
مكبري بسوق الحاج بحسن بأصوات قلت له اني أريد أن أشتغل معك وبما
أستنه أنا يكون مناصفة بينا أخذ فيه النصف والنصف لك نظير المواد والدكان
والقني على ذلك فعلمت أنظر اليه كيف يلحم فمسكت الكاوي ولعنت به كوز
ثم رأيته يقطع الصفيحة كبيرة ويقص منها قليلا قليلا بالمقص فيتأخر في العمل
نهاره زيادة عن مئذير الصفيح أجنرت ورقة مقواة من صندوق جيسسومة
وقسستها إلى مستمرا أجل له خط أحمر ونصف الستيمتر خط أخضر ولما
أراد أن يلحم كوزاً رطلا تناولته منه وأجملت ملوله وعزمه وجعلته جيئدا
وصبرت أسكت لوح الصفيح وأعلم من حاجته الطول والعرض وأوصل بالخط
برأس المقص ثم أقطع فيقول لي الأسطى خبرته أقول له إن خبرته لخصمه
منى ثم ألقه على السندلة والعبه وأعمل قمره ويده فيملأ كوزه ماء ويصبه فيه
يجده تماما فصررت أصنع أربعة أكواز إلى خمسة وهو لا يكمل اثنين وقال لي
يوما علمني طريقته في التنقل فقلت له أنا أعلم علموني العلم والحساب هل
يمكن أن علمك الآن وبعد أيام وجدت أني أدنى منه لا يكفي لضيق العمل وقلة
التصرف تركت الأسكرنة وذهبت للخياطين ومكث معهم أيضا أياما فما
وجدت منهم فأكنت تركتهم ثم جففت أن بسوق الحارث بأصوات سوداني جلاد
فمشيت له وقلت له أنا أعرف الجلاد وأريد أن أشتغل معك أحد نصف
ما أصنع والقني وكان قد في سير رقيق فخرج وقال لي خلص السير هذا
إلى أن آتي فخلصت الموص وضربت أقد بيطة حتى اعتادت يدي فلما آتي وجدني
ماهر في قد التنجير فالتفتع إلى جلاد والجلالة منعة ناعمة كثيرة الزمان وأسمه
العمل للتنوع بأعداد كثيرة لأن العبادة يطلبون زينة أدوات جمالهم يتنافسون
سروج ورساة وقلائد وميوف ومنكاكين وأسواط لم يبق لي شيء أصام وغير ذلك
ويعلم عرفت اسمه علي وديستلوانه ميرفالي وعرفني إلى رباطي ومعنى ثلاث

أشار على بل سمح لي في أن آخذ الشيطان لنزلي أشتغل بالليل وأخسنت أجرتها لي فجمعت آخذ المائة سوط وأجرتها مائة قرش واشترى الجلد غير جلود الدكاكين وأقدها سيورا وعلبت البنات كيف يلفنن والمدني كيف يعقد وصرتا كلنا نشتغل المائة ونخلصها بين يومين وثلاثة ليالي فتومعنا وبدأنا نحسن بطعامنا ففي يوم أخذت أجلد في مسكن بلدية فقطعت الجلد قعر المحيط للمكان المريض منها ثم علبت الشيطان وكسوتها بالجلد وأردت أن أبرز الشيطان يصغر الجلد وإذا ألتصت الجلد ببطنها تتمحى الشيطان وهو ينظر الى قلمنا تميت أحدها مني وقال لي انت لست جلادا ولكنك نبيه فقطع الجلد كبيرا ثم أبرز الشيطان بالمحرات حتى يست ووضعا في قلب السكين وألن باقي الجلد بالماء ومسحه بالمدينة للرقه وصار يضغط عليه بالمحرات ليجمع على بعضه حتى صار كأنه غير مطبق وتركه حتى كاد ييس ثم امشي عليه المحرات ليظهر محل القلع وسطا ورمي بها الى فقال اقطع الجلد وخيطها وما وقف على شيء غيرها .

ترك لي على ود سعد الدكان وصار يحوم في البلد وفي السوق لمصاحبه الأخرى فصرت أنا الذي اتفق مع الزبائن في الأجيرة والمسئول عن كل المصنوعات وأكتب عند المصوغات وأجرتها فقط ، هو يأتي في آخر الشهر ويجعل لي ما كنت آخذة حينما كان هو الذي يقوم بدخليصة الدكان من مشتريات وغيرها وهو يشتغل معي فقلت له يوما أنت لك على الشكران والجميل لأنك لورتني وأما أرى لك أعمال أخرى شغلتك عن مباشرة الدكان فتفصل بالنسبة لعملي وحملتي واعطيتي الثلاثين واني مستعد أن أقوم لك بكل العمل والحساب بدقة فرفض فقلت له اني أخاف أن تفرق فتصغر خصمين بعدما كنا كالأحوين فأمر على اباه فمشيت لرجل صانع من اشراف بربر الخشاب يسبي على ود الزند وحكيته له مطامع على ود سعد وكان أمني أن يتدخل بيننا ولكنه قال لي على ود سعد يريد أن يستبدك أملا لك لا تصد رأس مال وأمنية وضمانا . جالا قتل دكانه وأخذني معه للضبطية حيث وضع ستة ريلات كبيرة تأمينا ووضع ضمانا على ورجع معي بحيث أجر لي دكانا ودفع أجرة شهر مقدما ثم أعطاني جثتها رأس مال فصار كل ما صرفه على ٢٨٠ قرشا

فشكرته وأصبحت صاحب دكان مستقل فاشتريت لى عدة (عدة صنعة) وعملت الباقي بنفسى واشترت جلدتين وجلست فى دكاى وعرفت بتجسار الأتاتيك كأولاد عويضة ومدنى يحيى ومصطفى وغيرهم وللحظ حضر الشيخ عبد الله كريم الدين من السودان ومعه الأسواط ويبيض النعام كميات كبيرة موافقته على أن أطيع السوط وأجعل له يدا بقرشين فاشتريت القطران وجئت بالمدنى وكمال الدين مصطفى معى بالدكان . مدنى يمسح الأسواط بالقطران ويمسحها وكمال الدين عليه كيف يقد البر واستلمت من الشيخ عبد الله كريم الدين ألفى سوط عربونها جنيهاً اشتريت منها جلوداً واشترت من الشيخ عبد الله ما عده من بيض النعام وجلود الأصلة والورل والتمساح بأثمان رخيصة جداً لاني كنت أجهل ثمنها حتى يرجع من مصر فجاؤنى زبائنهم الذين يعرفون ثمنها فبعت لهم البعض من كل نوع واحتفظت البعض وذلك لاني ظننت أن الشيخ عبد الله حينما يصل من مصر يحتاج الى خوذ فيخاطبني بتحويل وملا حصل هذا ومن ذلك الحين ائتمعت صنعتاً وحسنت حالاً فأجرنا ثلاثة منازل بحارة الحدادين منزل لوالدتي ومن معها من البنات زينب بت ود عبد الله والحسنة لأن أم طبول وجاز زوجتا لوطيين من الفلاحين ومنزل للمدنى وروجه وبناته ودفعت لطفى ود المزنذ المتين وثمانين قرشاً بعد أن أوضعت له حالتي وشكرته وجئت بالدكان ياتين آخرين من الأسرى فصرنا بمجموعة اضطررنا للنقل الى دكان أوسع بجوار رجل يدعى صالح مزينا ومباخا فجمعت لى جدولاً للأعمال هكذا اسم صاحب الشغل نوع الشغل وصرت كلما وصلت الدكان صلباً أنظر فى خاة الميعاد فنشتغل كلنا فى اتمام ذلك العمل حتى اذا جاء صاحبه قلت له فى المصر جئنا وباقى الحساب بيدك فيجبه ويستلم شغله كاملاً عدداً وصنعة والزبون الذى يقدم شغلاً جديداً أنظر قبل أن اتفق معه على الأجرة أنظر كم يوما بين هذا اليوم وآخر ميعاد لما بيدى ثم أنظر كم يوما يستغرقها عمله وأضم العمدتين وأقول بعد كذا يوماً تأخذ شغلك تماماً كاملاً عدداً وصنعة فكلهم قبلما يعرفون وعدى يقول يا أسطى هذا زمن طويل . أرى الجدول وأقرأه له ان كان أمياً فبعضهم يقتنع وقبل وبعضهم يستكثر الأيام ويرجع يشغله بطله غيرى من الجلادين فبعضهم يمضى زمناً أكثر من زمنا الذى قررناه له ولا يستلم من شغله شيئاً فيرجع به لنا فقد يكون الميعاد الجديد

أكثر أباما من وعده الأول فيقبل مضطرا وبهذه الطريقة أصبح دكاننا لا يمكن أن يفرغ من العمل حتى بارحنا أسوان .

أرسل لي عم عبد الله بك حمزة لأصل له بالرمادي لأصنع له سروجا لغيره بعضها من جديد وبعضها لقطع جلده فوصلته ووجدت جلده بقرا فصحته له بأخ ذالسروج لأسوان لأجلدها بجلد الجبل الذي لا يطيع وأخذتها فمسلا فجلدتها وأرسلتها له فبعد منه جاء بأسوان فذهبت له وسلمت عليه فأراد أن يعطيني قيمة عمل السروج فرفضت وقلت له أساهم معك في تكاليف اخواني الأسرى لأنني مبسوط وشرحت له أريد ومنصرفي فدعا لي بالخير وتبأ لي بمستقبل باهر فشكرتة وانصرفت .

وفي ربيع سنة ١٣٠٧ هجرية جاء العديوي توفيق باشا لأسوان مارا لطفلا عملت له زينة عظيمة فيها المراكب والسواقي بالأنوار وأمرنا بتزيين الدكاكين وكان لنا جار ملباخ ومزين حشاش يقال له صالح عمل الزينة على باب دكانه ولا كان دكاننا يلاصقه أخذ دكاننا قليلا من زينته فلما جئت صباحا قلت له عم أسطى صالح زينا جميلة فعضب وقال كم دقمت فيها زينتك يا ابن الكلب وهجم على ما بدكاننا فمزقها فأخرجت كل ما أتممت عمله بدكالي من مصنوعات وما يكاد يتم وعملت مسامير صغرفا في باب دكاني وعلقت فيه السيطان اللاتي حسنت صنع أيديهن حتى كنت أأخذ على يد السوط تحسني قرشيا للمتق جدا . منها صفا أسفل والسكاكين مخللة بأبيات التراكيش صفا والطاير محلله ببيض النعام صفا وركرت الحراب والسيوف والدرق بعيدا قليلا عن باب الدكان فكان ملفتا للنظر فجاءت ايتان معهما ضابطان عظيمان وأظنهما بنتي الخديوي أو من العائلة المالكة فلما رأوا زينتنا ثرلا ومالتا عليا فأحضرت لهما كرسيين وكرسيين للضابطين وصرت أحضر لهما كل ما أشارتا له وكنت أملت منهم فائدة عظيمة ولعدم الحظ قام كمال الدين مصطفى الصبي بالدكان وأخذ طنبورا وغنى على نغمته فسرتا وزاد أملي لكنه أخيرا قفز بينهما وصوت صوتا أزعجهما فقفزت كل واحدة منزوعة وركبوا وضاعت فرصتنا فأوجسته ضريبا .

جاءت مريم من بني سوف واجتمعت بابنتها حفصة واجتمعتا . فغضب ابنتها بعض الأسرى وخبطتها من ضمنهم فقالت أني أعطيها بابكر لأنه اما أن

بمسكها سمح أو يطلقها سمح وفعلا تزوجت بها وصرفت على زوجها مائتين وسبعين قرشا فكان له شهرة كشهرة زواج الحردلو بن أحمد أبي سن لستنا بت أبو علفلة حيث جمع والده نظار السودان من حلقا الى هازوقلى لأن زواج الأسرى يقدم بعضهم للمرأة عنه أو أحد ثيابه صداقا وهي ترضى له ولم يسبق أن أولم أحد وعقد في جمعية عادى قبلى ثم صار منهم التجار والصناع وتمسكت حالة الكثير منهم فلما تمسكت حالتنا صرنا نجيء كل مساء بلبشة « ربطة من قصب السكر » نغسلها نعطى أمى أحسنها ومنزلى وسطها وأختى قريبا منها وكانت زوجتى في غرفة ثانى سكن حتى يوم ما كنت مندعوا فوقبت في الشارع وقلت لكمال الدين مصطفى خذ هذه القصبات لأمى ثم رجع قلت له خذ هذه لخصمى زوجتى وهذه للمهودة وبنتها فرأت حفصة هذا التقسيم فلم يرضها فتركت نصيبها في مكانه خلاف عادتها فقلت : لماذا لا تأكلينى القصب قالت : انت تعطى أمى الأحسن وتعطىنى الزفت فكسرت وأكلت وهى غضبية فالتفت عليها وقلت لها اذا تذكرين والدتى بسوء أو تعطىينى بمساواتها أو التفضل عليها بعد اليوم فأنت طالق ثلاثا فمن ذلك اليوم الى أن توفيت والدتى ما عرضت بها واني قلت لها ذلك قياسا على قول صخر : .

« فأى أسرى سلاوى بأم حليلة » فما عاش الا في شقا وهوان

ـ في أثناء علفنا تمكمت منكة السودان واتهمت جلود الحرد والمسلم التي تلزم لسروج وأزمته وعقاده ونورق جمال المباللة فيبحث عند رجل عطار بمدة كثير من الصبغات لملى أجد منه لونا يشبه لون المدلل أو الحرد في لونهما البرقالي فيبحث كثيرا حتى جاءني بعلبة صغيرة فيها ليلقون فأخضت منه قليلا وصبغت به خلفا أبيض حتى يمس ثم أعطيته مسحة أخرى فلما يمس صار لونه برقعاليا مسحة بالليمون فوجدته ثابت اللود ثم مسحته بلذهن ونعسسته بالصلبيلور ومسحته بالليمون وحر كله في الشمس يومين ولما وجدته لم يتغير لونه اشتريت بكل الطبقة من حاج غيد الله وصبرت أصبغ بها الجلود وأشتغل به كالمسلم والحرد ولم أعلم الجلاذون الآخرون من أين آتى بهذه الجلود حتى بقيت على السفر فأطلعت عرض الله المبادئ على السر وأعطيت ما بقى من الصبغة : .

ـ وغما بين تحصين حالتنا وتربينا عن التروقة والمهودة لولا أننا ما زالت البقية تنازعنا في صبغها بالمسهر للمهودة أكثر من صبغها لوطتنا وأهلنا .

الرجوع الى السودان :

سمعت بأن كرار بشير العبادي صرح له بالسفر للسودان وهو يدراو فمشيت لأودعه فلما أراد أن يركب انصرفت دموعي وقلت له يا كرار أخبر خليفة المهدي عم ان أصحاب المهدي راضون بكل ما حصل عليهم اذا بضموا رضاك عنهم وعنايتك بهم حصل هذا أمام جمع غفير ما باليت بضررهم ولا يهزتهم ثم فكرت في كيف نحصل على التصریح بالرجوع لأهلنا فرضت فكرتي هذه في جمعية من الأسرى لا أذكر سببه فجعلهم حبسوا رأيي واتفقنا على أن نكتب طلبا لود هاوس باشا نطلب منه تصريح السفر لأهلنا فكتبنا له طلبا لم يدر ماذا حصل فيه فلما تأخر كتبنا سبع طلبات وضمننا اثنين في صندوق مكتبه الخاص واثنين في مكتب اليومنة العام واثنين فاولئهما باليد كل واحد في مكان آخر وهو راكب حصانه وآخر بالشارع فقبض عبد طلبتنا بالمحافظة فضاقتنا وأجمعنا حبالا بلسانه القصيح : اتمموا طلبون السفر للسودان ؟ أجابه خالد النعمديناي وكان رجلا طويلا جسيما فقال له يا سعادة الباشا نحن جاعلون هنيئا أبيري فقال له انت سميت ماتخدم وتاكل . أجابه خالد : نعم أنا سميت وأخدم ولكن اليوم قرشين والأولاد كثيرة فقال باثنين للباشا فحي بعلنا ان أهلنا بالسودان مات الكثير منهم بالجوع والمرض فتريد أن تصلهم لنخطف من مائة ونساعدهم الحي فقال الباشا : الجوع لان موجود في السودان فالأحسن يقوون هنا فقال له خالد اذا لما أن تصرح لنا أو تربط لنا مرسلات أو تضربوا رصاص ففضب الباشا وقال لخالكم انت يلبد اذا كنا نضربك رصاص كان جينما أمرناك ضعيفا انت خروف نسملك لنذيقك ثم التفت اليه باثنين وقال له انا اكتب علي طلبكم وبعد خمسة عشر يوما أطلبكم وأخبركم وقبل يوم الميلاد سافر باثنين مع بعض العبادة للسودان بمنزله لأنه كان ينشئ معهم وخصوصا الغضري المشهور الذي قاله :

والواحد يبلون سبعة
أحمر مانتوبك رقمه

مادام الرجال متبعة
ان جموعها من البعثة

أجابه باتين بقوله :

مادام الرجال متبعه ليشن يسووا جعر الضبعه
ربى ان كتب لك وقمة أخاف ما بتستري يا ابتفعه

(ولا أدري معنى تفعه)

ولما جاء المعاد طلبنا الباشا وأخبرنا بأنه قد صلق له بتشيهنا للسودان
واله سيمصرف لكل نفر منا كيلة قمح وعشرين قرشا ويمطيا المراكب الى حلقا
ولكن يجب أن تحضروا أنفسكم ونسائكم وأولادكم لكي أتحقق من عندكم
فقال بشير بك الجبران : أهالى السودان لا يرضون ان ينظر رجل نسائهم ..
وقال الباشا أنا عارف ذلك أنا أجيء بأمرأتى معى وهم ينظرون لامراتى وأنا
أنظر وحدى لنسائهم فضحكنا ورضينا بذلك مادام وحده فانه كالمحرم لساننا
فجئنا بشارع المحافظة حيث عين لنا مكان لا يمر به أحد وجاء الباشا وامراته
وحسب الناس وكتب أسماء الرجال ومن فى عيشة كل واحد وقام الرعيل الأول
بالمراكب وتأخرنا عنه لتجمع أطرافا وتأتى أم طبول لأن جاز طلقت وحضرت
لنا من زمن

وقبل قيامنا كتبت لعننا الزبير باشا اخبره فيه بأننا طلبنا تسريحا بالسفر
السودان وصرح لنا فعلا وحيث ان معادتك قد سمعت بفناء قبائك بالسودان
من معاجات سنة ستة وسبعة وما أعقبهما من وباء بالجدرى وان من بقى من
كل قبيلة ممكن عندهم أقل ممن هم بالقطر المصرى وخصوصا مع معاداتكم
كثير منهم قلوبهم سرحت لهم وشبهتهم ليتوجهوا للسودان لضاعت المسه عليهم
منك فقرا عليهم كتابى وأمرهم بالسفر جميعا .

(أم طبول) لما عزمنا على السفر علمت اننا لم نعط المراكب كالدفتين
الصاقتين اشتريت حمارين أحدهما لأمى والثانى لأختى العجلى — قلت للمدنى
ركب الحمارين ونذهب لأم طبول بالرغامة وهى حلة شمال دراو بمرحلة لائى
بها فتسافر معنا فأخذ المدنى يشطنى عن السفر لهما بشتى أنواع التشييط حتى
قال لى تذكر مسألة الروضة فعلقته له بالطلاق بآلى لا أسافر حتى أصلها فان

أبت السفر وجدت عفرا عند أمي واذ رضيت أوصلتها أيها فركب معي فلما وصلنا حلة الرغامه عصرا سلطنا على زوجها محمود وعلى أبو غانم ولم نذكر لهما غرضنا وعند المغرب لفتني عقرب شملتهم وشطلتا عن المحادثة وأم طبول ساهرة معي الى الصبح أخبرتها بفرضنا أخذها معنا فقالت أخذتم التسارح ؟ قلت نعم ، قالت متى سفركم ؟ قلت يوم الاثنين - واليوم الخميس قالت أقوم معكم رغم زغيتي لأنك ترى منزلي ملائ بأفواع البهائم والطيور الداجية وفتحت لي مخزنها الحافل بكل ما يحتاج اليه الانسان وقالت كنت أتمنى أن تأتيني قبل الآن رائحة فخرمك ولحمك ولكن رغم هذا أنا لا أتأخر عنك فازعجك طول حياتك وأجعلك موضع تهمة في التصبر عن واجبك فعوى فلما تأكدت منها أخبرت المدني ومثينا الى معنا غانم الذي يتجاوز السبعين من عمره وأخبرناه فأطال معنا الرجاء والضمان لراحتها والجلد أخيرا حتى قال أم طبول عيني فقلت له تركك أعور ولكنها عيني الاثنين فتركني أعمى وبعد كل هذا لم يقتنع فخرجت من عنده وشددا حمارنا كأننا تركناها لهم والمدي تقدم بالخروج من الحلة وحده ومشييت لها فلقيتي عند باب الدار بقميصها كسائم فقلت لها اركبي قالت آتي بصحباتي ودخلت عرقها حالا لبست ثوبها وحجياتها وآتني كالبرق قالت لي ارفع لي رجلي فركبت وأسرت بها فما علموا بسفرنا حتى صرنا راي العين لحقنا زوجها فقلت له تودع والدتها واخوانها فأتنا أنت بأسوان ترجع بها فالتفت اليه وقالت لا تنعب أنا مسافرة السودان ويتك كما هو لم آخذ منه شيئا فارجع الى أهلك وضررت الحمار وسمازت مع المدني وأمسكني يتأكد من هل يأتي لأسوان فقلت له قد سمعت قولها فتركني ورجع وهو يالك ثم لحقنا بأسوان وفي آخر لحظة طلبنا منه ملاحقها فأوقفه في الليلة التي نصبح مسافرين فيها .

سافرا بالبحر مودعين أسوان بالمراكب التي يبرها الله بعد أن قننا منها وحمارنا معنا في المركب الى حلفا - أسوان التي تعدنا فيها والتي لولا يوسف الذوق بقي والذي اذا ذكرته فزعت من النوم والذي اذا رأيت وجهي في المرآة يعلم الله حاجت علي دكره . وصلنا حلفا حيث أقننا يومين اثرتنا فيهمسا ما يلزمنا للسفر ولا أنسى ما لقيناه من اللطف من الشيخين طه مكى وشريكه

الطيب فلما بقينا على السفر جاءني خبر الحاج من أهالي أم دوم وعرفني أن له أخت كبيرة تزوجها بتجاوش زنجي ووعدت بأنها تسافر معنا فلنضم لها ثامني بها وبأختها المخرى ومضينا معا ودخلت عليهم في بيتهم وزوجها يحادثنا أطيّب حديث وأحسن ترحيب فاذا البوليس يدعونا جميعا للمكتب الذي وجدنا فيه صاغا مصريا يدعى خير الله أحدى فأول ما وقفنا أمامه قال لنسا الله يتبعكم أتبعنونا رايحين جايين وقد ملأتم البلد شرابيط فقلت له أتم غلبتمونا رؤساء ونحن أتبعناكم أسرى فانظر أيننا المتعب - اما الشرابيط فقبل أن نجيء نحن كل بلد بها كفايتها منكم يثبت ذلك الوثائق الرسمية ومصلحة الصحة فقال لي انت بديء فقلت لكن البادي أظلم فضحك وقال نعم حقيقة ثم سأل المرأة هل تمشي معنا أو تهمد مع زوجها فالتفتت على أخيها وقالت له لولا ان النساء يتبذرنني بأني تزوجت العبد كنت أمشي معك ولكن لا أحصل ذلك استودعك الله فلفظها على فمها فضحك وأخذت أختها وتركنا واقفين حائرين فخرجنا جريا حتى وصلنا وابور السمكة الحديد الذي أخذنا لمرص .

أسرت بالقطر المصري يوم ٥ ذو الحجة سنة ١٣٠٦ ورجعت لمرص في أواخر رجب سنة ١٣٠٨ هـ أي بعد عامين وأشهر قصصت محل بيتي وحفرت في مكان الكتاب فأخرجته من تحت الردم مابه غير من الأطراف ورقة من قرض الأرضه فأخذته واقتنيته .

من العرضي إلى ام درمان :

من مرص مرنا بأرجنا حتى العرضي كنت أقود حمار والدتي الذي أكاد أنقضي المرحلة جريا معه ممسكا برقبته وفي الغالب أحمل عبد الباسط الطفل وهو صغير على كفتي حتى وإن والدتي كثيرا ما تقول لي أنا أتبعك الله يقتلني ويربكك مني أضحك وأقول لها ألم أتبعك في الحمل والولادة والتربية أضفاف ما أتبعتي أرجوك أن تدعوني بخير يريحتي ويربكك بواسطتي والسهوهر أكيه حمارها ووراءها فطلعة ابتها الصغيرة اما زوجتي حفصة فانها ماثرة برجليها ولم تبدى لي لو لنجري ولا مرة تضرعا بل أخيفا تحصل مني عبد الباسط على ظهرها فكنت أذكر لها هذه الحصة كلما امتأت منها فلما وصلنا صواره

وجدنا عثمان أزرق عاملا عاما قمرضا عليه ليعطينا زادا ومصروفات فأعطانا
 بعض الزاد وقال عن المصروفات (معلمي الله) فقلت قد جئنا لناس (معلمي الله)
 فضحك وقال لي استغفر ربك ، قمنا من صوارده للرعي فوصلناه فوجدنا
 العامل به محمد خالد زقل وسرعان ما غيروه بيونس الديكيم للمرة الثانية عاملا
 لدنقلا . فللنا خرائب في البيوت التي تركها أهلنا من سافروا مع ولد النجومى
 وسكننا بها . بست حماري بثلاثين رطلا واشترت بثمنه بضاعة مشككة مما يتخذ
 اداما ولعلما وأخذت من محمد بشاره رئيس السجون أربعة جمال حملتها تمرا
 من صوارده من ثمن بضاعتى التي أبيعها وما يطويه أمسختلى من الأمراء
 بصوارده فلما وصلتها وجدت أولاد عثمان بها فقالت لي أختهم الكبيرة زينب
 وكانت ماهرة في الحصول على غرضها فمن عزمنا أن نزوجك البقيع كما أوصانا
 الباشا بذلك ويتزوج الحسن ولد الفضل الحسنى أختك فقلت لها زوجى
 بالبقيع لى فيه رغبة عظيمة اما زواج الحسنى بالحسن فهذا لا أضمنه لأنها
 بكر قاصر وأبوها موجود ومن الجائز أن يرسل أحد ولديه يوسف أو سعيد
 يأخذ الحسنى وأما اذا كنتم تزوجونى البقيع دون هذا الشرط فانى أتزوجها
 وأسكن معكم بدقلا ولو قلت أمى التي أحبها لأم حرمان لأن لها هنالك زوج
 وولدان فتابت عنى ثم جاءتنى بأنها حتى البقيع نفسها واقفوا على طلبى فأعطيتهم
 مالزمهم من البضاعة وبعث باقيها فملايت بقيمتها وما أعطيتهم جبلين تمرا وجملان
 حملت عليهما عفشهما وركبت البقيع على أحدهما وصرت أقود الجبل الراكبه
 عليه كما كان الحجاج يقود جبل هند بنت النعمان لمبد الملك بن مروان ويتبع
 بالأنس معها وان كانت لا تكلمنى الا نادرا فأمر بصحبتي وبعيائها منى كما
 تستجى المخطوبة عندها عادة من خطيبها حتى وصلنا الرضى وظلنا لهم خرائب
 لسكنائهم كنت في ثقليلها أشتط عامل ولما سكنوا طلبت الزواج من زينب
 فقالت الى أن يأتى الحسن أخى من دقوروفى أثناء ذلك جاء يومئذ ورجل أمى
 وبناتها والمدنى وبناته وأم طبول التي تخدمت معهم الى الدبة من هناك هي وراز
 وزينب بت ود عبد الله ومعهن جماعة من الرباطل سافروا للرباطل والدنى
 ومن معها سافروا الى أم حرمان بطريق الدبة بجاء الحسن وسافر مرة أخرى الى
 أرقو وزينب تمطل بضيابه حتى اذا حرصت عليها قالوا ان اخوانها قالوا انك

متزوج حفصه التي يعتبرونها كآختهم ولا يمكن أن يزوجوك البقيع عليهما
فاختراهما شئت فتحت تأثير الرغبة الملحة لزواج البقيع قلت لحفصه اني أريد
طلاقك فبككت وقالت لي اني سمعت انهم يريدون أن يطلقوني منك ويماطلونك
حتى أستعد أن يزوجوني للحسن ولد الفضل ويسمعوك البقيع وقل لهم أنا
طلقت حفصه وأنا أدخل مع أمي الى بيت خالتي عائشة أن يزوجوك البقيع أنا
مع ثلاث زوجات أقبلت رابعة لأنى ألتفك وأحببتك فبهضت قائما وقلت هذه
خادمتي وزوجتي وتلك ستكون سيدتي وزوجتي فصمت اني أقنع بحفصه
فقبلت بنصيحتهما وأمسكت عن معادتي مع زينب بخصوص زواجي البقيع
فبعد أيام جاءتني زينب في بيت والدتي الذي كنت أقبل فيه دائما لضيق بيتنا
وجود مريم حماتي به فقالت لي زينب انت سكت عن كلام خطبتك للبقيع
وأخوانها كلما خطبها أحد يقولون ان ابن عمها يرغب في مراجعتها فإذا كنت
قنعت منها صارهم يزوجوها غيرك لأنها يتيمة ولا تستطيع المعيشة مع زوجة
أخيها قلت لها اني سمعت كذا وكذا وصارحتها بكل ماقلت لي حفصه من
المكيدة فخلعت لي بقولها الله يأخذ أحمد والحسن وما يستعيا الله تعالى بماقيتها
هذا الكلام لم يخطر ببال أحد منا وان ناقله يريد أن يفرق بيننا وبينك فلا
تصدقه أبدا تحت هذا القسم وتنفيذا للرغبة في زواجي بالبقيع • جئت لمريم
حماتي وقلت لها اني طلقت حفصه وهذا مؤخر صداقتها وتفقة عدتها قالت لي
بارك الله فيك مسكتها سمح وفارقتها سمح • أصبحت حفصة مطلقة وعصمة
البقيع مطلقة على رضا الحسن الذي يرضى مرة وأبى مرة وأحمد وزينب
ينصبان لي الحيل فيقربوني كلما بمنيت حتى استعدت حفصة وطلبت للحسن
الفضل كما قالت ورضيت أمها لأنها كانت زوجة أبيه وبصرها عبد الباسط
أخوه •

أتاني بابكر كرم الله رفيقي بشونة صرص ليلا وأخبرني بكل ما حصل
ووعد بمساعدته لي في هذا الموضوع ليطل زواج الحسن بحفصة فقلت له
لا أحب أن أرجعها فقط ساعدني بالوقوف على حقيقة وآلاد عثمان هل يزوجوني
البقيع أو ينعمونني منها فقال لي مساء غدا اطلبني وعثمان وحمزة ولدي رحمه
ومحمد أحمد شكاك وأطلب منهم ميعاد تحديد زواجك فتظهر لك الحقيقة

فقبلت برأيه فكانت النتيجة سلبا فخطبهم بآبكر كرم الله بأفهم ليسوا أولاد
فاس فيما صنعوه معي فأسكتهم وأريتهم اني لست راضب فيها كما كنت لاني
علمت بما عملتم والله لا يجب الضائتين وقت منهم وقلت لبابكر كرم الله اختبر لي
البقيع نفسها هل فيها لى أو عنى فجاءني وقال هي تميل اليك كل الميل ولكنها
لا تخالف أخواتها وأخواتها فتوجهت قمى نحو أم درمان وفكرت في أن تزوج
ككتوم بنت حاج الحصن أيمه ولد النجومى وأعدت قمى للمسرب الى أن
جاءنى خطابان أحدهما من المنصور أبى كوع والثانى من الشيخ باها موسى
يقولون لى فيه مريم وابنتها لا تركهما وراءك ولو طلقت بنتها يزيد الشيخ
باها. انى كتبت خطابا ليونس الدكيم بتشهيل مريم وابنتها فلتقابله مريم فطلبت
مريم وبابكر كرم الله وعثمان رحمه وقرأت لهما كتابى باها والمنصور وقلت لها
اذا كنت تحبين السفر لأم درمان فاني مستعد أوصلكما وابنتك ولا أرجعها
واذا كنت لا تسافرين فارفضى أمام هذين الرجلين ليكون لى عذر عند فاس
أم درمان جميعا فقالت انت مأمون علينا توصلنا وأنا أعطيتك ابنتى بكرا فلا
أمنعك منها وهي مطلقة منك وأنا مسافرة معك فقلت لها قابلى الأمير يونس
الدكيم وقولى له أنا المرأة التى كتب لك باها بترحيلها وابنتها لأم درمان فقابلته
وجاءت منه بالتسريح واذن الصرف بإدخالها فأخذت التسريح والاذن وقلت لها
امشى . قالت لى عندي معك كلام وحديث وأخبرتني بالخطبة وانها استلمت كل
الجهاز فماذا تصنع الآن قلت لها اذا كنت راضية الإقامة هنا فاقبى قالت لا
ولكنى أريد منك رأيا يبقى لى عنرا فقلت قولى لهم انى لا مانع عندي من أن
أزوج الحسن بحضه ولكن لى ولد بأم درمان وكل قبيلتى بمسا فأعطوني
الحسن يوصلنا أم درمان وهناك نزوجه فاذ رضوا فارحلنى بالحسن وزوجيه
هناك وان أبوا فكل أراد ولده فاسافرى واتركهم قالت هذا تمام فسبقتها عليهم
ووجدتهم كلهم جالسين ورأيت جهاز الزواج تحت العنقرب فخطبني أحمد
وهو الذى يفهم معنى قولى : يا أحمد اسمع بنى هذه القصة كانت أريب بنت
اسحق وهي أجمل نساء زمنها تحت عبد الله ابن سلام فمشتها يزيد بن معاوية
فقال له والله ساعدنى بالكتمان وأرسل الى سيدنا عبد الله بن سلام من المدينة
المنورة فلما وصله بالشام قال له ابنتى مثلت للزواج. وقد بنيت لها هذا البيت

واختارتك لها زوجا قال عبد الله حبا وكراما يا أمير المؤمنين فقال له أرسل لها
من يخطرها فانها بالغة أمرها بينها فأرسل لها خاطبا فقالت ان عبد الله تحت
أرتب بنت أسحق ولا تحطى معها امرأة بلغت ما بلغت فادا طلقها ثلاثة تزوجته
فلما جاءه الرسول طلق أرتب ثلاثا وسكت بالثام منتظرا يوم الزواج فلما
طال بها الأمر وخرجت أرتب من العدة أعلنت ابنة معاوية ان مشاروها لم
يوافقوها على الزواج به وعلم ان معاوية أرسل أبا الدرداء ليخطب أرتب ليزيد
فقال عبد الله بن سلام ان شاء الله الأمر الذي دبره لا يتم لهم وسكت فقال لي
ماذا حصل بعد ذلك ؟ قلت يكفى ما سمعتم وقمت من عندهم فقال لهم بمضى
هذا الزواج اجل وبطل قالوا له كلام مستحيل فقال لهم ما فهمتم ما قاله يا بكر
ولولا انه ضمن انحلاله ما صرح بها قال وهم في هذا اذ جئت بالزاد والتسريع
وقلت لمرثم هذا زادكم وهذا تسريحكم والسفر يوم الخميس وهو اليوم المقرر
للعد فقالت مرثم : نساقر بالبر أو بالبحر ؟ قلت بالبحر والبريس استلم الأجرة
للدبة ، فقامت من وقتها واشتطت في زادها وفي يوم الخميس أنزلتها المركب
للدبة وكتبت لهما جوابا لعنى محمد أحمد شكلك الذي هو مندوبا للدبة من
أحمد عبيد يؤمن عامل الجهة القبلية لدقلا قوصلا لها بعد خمسة عشر يوما
هربت وراها ففى يوم واحد في دقلا وصلت الخنق يرجلى والمسافة أربعون
ميلا لكن وصلتها غلام القوة فاستقمت فيها يوما كاملا كامنسا في بيت النور
الخير الذي كانه خربه . وصلت الدبة ووجدتهما بقيات في شاطئ النيل دون
بيت وعنى محمد أحمد موجود ولم يأت أحد من أهلها على قرب الدبة من
فقرأتلى . فقال لي عنى محمد أحمد شكاك الا ترجع حفصة قلت أريد أن
أزواج كل يوم بنت الحسن . قال الأحسن انك ترجع حفصة تحل ترحيلك لها
حتى تعمل وأنت زوجتك فادا وجملت ككنوما موجوده ومعيد أخاك ورضى
يزولك بها هناك طلق حفصة فقبلت مشورته أجروا بجمل المرثم وابنتها ومشيت
يرجلى . وصلت مكانا يسمى أبا سيال أضايتى حمى ورعاف فأجرت جملا
بأربع ريالين يعطى على رجل التمر فلما وصلت نصف المسافة (جيدين) بها
بيت الجمال غار وقبره أقاموا به أسبوعا تماثلت للشفاء ووجدت الى لا قود
الى أخفق منها الإجارة ولا أعزف من أعتمد عليه فم دفعها لى بضمان ظما شد

دخل جملة قال لي تعالى اركب قلت له لا اركب فضررتني بتكفه على خدي حتى رأيت البرق خارج من عيني فسأته مريم حتى أوجعته مسنبا وهددته بأهلي بأم درمان فصررت أقفوا اثر الجلابه وألقها بعد أن تنزل بمسافة لضعفي فلبسا وصلنا المرحلة التي قبلنا فيها وفي المغرب نفصل أم درمان . جهدي فإير الجمال ومعه جماعة وقال لي سامعني فسامعته فقال اعطني أمان الله ورسوله ما يؤذييني قلت لك أمان الله ورسوله لا أذيك وقال لاله سمع أن خليفة المهدي نبي ان من يمنع أحدا تقطع يده . فنجاءنا في تلك القافلة نساء عشرين دهن وشحم وودك يجلبونه وكان رأس حفصه مشطاً جديدا وما عندنا من النقود ولا المروض غير حلايسنا التي علينا وكأنا صغيرا من القربى فقرب به الماد فاشترينا خردوما ودكا كان من أحدهن بذلك الكأس قمصت به حفصه مقلد من رأسها الذي يظهر للنظرين ودخلنا أم درمان لئلا نسألنا من عبي مالك فقلنا انه بكر دقان وكان ذلك يوم ١٥ صفر الخير سنة ١٣٠٩ هـ

نزلنا عند الشيخ باها موسى وكيل الراية الزرقاء لأن زوجته الكبرى ابنة عم زوجتي فأعطونا بيتا فيه أختها زينب والحرم بنت علوب فمكثنا عندها وفي العدد أثنى نأير يطلب الرمالين فتوجهت معه للسوق لعلى أجد من أعرف فحسبنا أني عن خالي حتى أصل الى مناسبة أطلب بها منه سلفة الرمالين وهو لا يفارقتي لحظة فمرت على كثير من أهلنا الرياطاب وأولاد خلوتنا يرفاعه نكالي الفتح وسالم عبد الأمين والمهدي أحمد وعبد الله الزير وكل منهم يسلم على اثم ينتبه لعمله فأبرح دكاكه حتى خرجت من السوق فقلت لنأير امشي حطاي للبيت أقلم لك جبتي هذه تعالى بعها في السوق فخذ الرمالين وجبني بالباقي من ثمنها ويسما نص جالسين تترلوا اذا بالمديني مصطفى جاء مارا قرأيته وبعد السلام مشيت معه الدكان فأخذت منه الرمالين أعطيتها خالرا الذي أخذها ومشي فلأخبرني المديني بكل ما حصل من نأير لي بمنزله فلأخبرني انه ما طلب منك العفو إلا انه سمع بتبنيه الخليفة وأقسم على أن أشتكيه فمشتيت للمحكمة التي يرأسها الطبيب ولد المربي رحمه الله فشكوت له نأير ومعه مناعلوه حاج علي وحسن خير فأخذني من صينهم ودخل بين في غرفة وأخبرني بتبنيه الخليفة وقال لي أن

أباك لا يضر الناس فإذا قممت لنا هذا الرجل تعبته في حر الشمس ومطر الليل
وإذا قطعت يده أتم أولاده وهو حي ويمكن الجدل أخذه من أصحابه بالنصف
فيعني وتؤخذ نظيره أغنامه إن كانت له أغنام أتركه سلامته لله كأيك فوعده
بدلك ولكني خفت من المديني فأخفت من حراس المحكمة أحدا وتوجهت لنابر
بمنزل أحمد الغضر ابن أخت خوجال أم يرير ووجدته قائما فاقبلته وقلت له
إني شكوتك في المحكمة وهذا رسولها فنزل في الأرض ووضع يديه في التراب
وقال لي يا بابكر تعطيني أمان الله البنزل الكفار من الجبل وتشكيني يسجنوني
في الحر والمطر وكرر كل كلام الطيب لثاية غنمه التي تؤخذ نظير الجمل قلت
له لكسي يا نابر أنا في بيتك تضربني والأذمررت بي كل السوق في الريالين حتى
استلفتهما لك أعطني الريالين وأعطى الحرس قرشين قام وجاء بالنسعة ريالان
وقال لي : هذه أجرة الجمل كلها خذها واتركني لله ولأولادي الصغار ما رأيك
يا قاريء فوالله لم أخذ غير الريالين اللذين أعطيتهما المديني مصطفى الذي باع
حماري الراكبة عليه امرأته والذي صرفت عليه من مصر إلى أسوان وعلى زوجته
فأخذ الريالين ووضعهما مع هوده ولم يقل لي من أين جئت ومن جاء معك
فقمت منه وتوجهت للمنزل الذي به زوجتي ولم أقل منزلي - أخذت أقل من
أسبوع بأم درمان وتوجهت لأمي التي كانت بالكاملين عند سعيد أخي وهو
ولدها الكبير الذي تسم بحياته والذي كنت آمل أن يزوجني كلتوم بنت الحسن
وجدت والدتي في مخزن مظلل لها بقصب وفروع طلح مسوسات والشمس من
خلال القصب كالذئابة عليها فلما كان المغرب طلبني وعنده عنكوليب فأخذت
منه قصبات وقلت لخادمتي الصغيرة أوصلني لأمي فما أدري أغضب من هذا
التصرف أم لسبب آخر لم يطلبني بلدها فقط يأتي بأكله عند عمي الفقيه محمد
شكاك كثيره من أهل المنازل أكل معهم وفي صبيحة يومي كان يوم مسوق
الكاملين اشتريت منها جلدا صغيرا بقرشين ولوح عشر بنصف قرش وموس
بقرش وفرشت أجلده حتى العمر حصلت أربعة قروش اشتريت منها عنقريسا
ورغيفا ورأس ثيعة خروف اديتها لوالدتي والعقرب القديم المكسور وضعتها
للحسني تنوم عليه وكانت تنام على برش وجعلت أجلد البنات في البيت ويوم
السوق بالسوق حتى اشتريت لوالدتي نصف أردب خلل وغناية فظلت لها

نصف البيت بالحطب الجميل من السور وسقفته بالنال بحيث المطر لا تنزل عليها ولا الشمس تخرقه وودعتها حيث دعت لى دعوات صالحات تذوقت حلاوة اجابتها فى هوى . وصلت أم درمان التى نويت أجلد فيها بالسوق والمنزل ولكن زوجتى سمعتنى لأن حرم بنت النور أعطتهم نصف أردب عيش والمنصور ولد أبو كوع الذى حضر من ببى بالهند أعطاها ملابس فباغتها فصرنا نتصرف منها

المناديب بالجزيرة :

عند ما جاء وقت خروج المناديب للجزيرة خرجت مع مختار محمد قريش الريطايبى ككاتب له ولما وصلنا الكاملين أنزلت أمى والعنسى فى مركب لمدنى وعلمت ان السهولة بنتها برغافة والمدنى غائب عنهن فأرسلت لها قائمتا بمدنى وقملا جاءت فلما وصلت مدنى وجلت الجملى ولد محمد البشير ساكنا ببروعة خالى أحمد عطا المان واضعا ملححه فى القطيتين قفلت للجملى حول كل الملح فى احدى القطيتين واخلى لنا واحدة منهما فرغض قلما لم يرض باللي وبواسطة قلت للجهادية الذين معنا خذوا الملح الذى فى القطة الكبيرة وارموه فى البحر فلما أخذ كل واحد منهم عدلة قال يصبروا لى لمد أبى بعثاله يخرجونه قلت كم أجرة المثالة قال أربعة عدل بقرش قلت اعطنى الأجرة للجهادية لقبولها وأخرجوه فى الحال فكسناها وأدخلنا فيها أمى وابنتها . أحمد عطا المان ولد مصلى ولد دياب والدتى مدينة بنت محمد ديب والجملى لا يجتمع معه الا فى رباط ولكنه والده ابن أخ والدى فلا تنكر على أيها التارىء بعد أن عرفت هذا السب فان والدتى أولى منه تركنا أمى ومن معها وتوجهنا الى الكريسه مركز المندوبية وحلالها كثيرة مع مختار المندوب بخلاف الجهادية ومعنا أولاد تراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين سنة أو يزيد بعضهم قليلا لا يقلون عن الجهادية قسوة أن لم يزيدوا عليهم لكنهم زفة أكثر من الجهادية يحكى كل منهم بسا عمل معها فكنت أنكر عليهم هذا العمل الذى لم يضطر بيالى أن أحدا يجبراً عليه ومختار نفسه لا يضطروا لكنه مقل جدا ويختار الأمكنة . لا أخفى ما حصل منى ولكن الله سلم لما كثر منهم ما يحكونه الله سمى ثم ترقى الى محبة سماعه وكنت أمين النقود فى جرايها المتخذ كخزينة فوردها مرة للعامل بمدنى وأنا راجع أخذت قصى تنازعنى هل انت الجنيد قلت ان الزنا فاحشة

لا تقيمينه ولو مرة وتستغفر الله فلما وصلت حلة الوراق وكنا ممسكين بها
ملكنتي نفسي فذهبت الى امرأة وأظنها من أهالي كردغان وجدتها تطحن على
مطحنتها وجلست أمامها مدة وهي كأن لم تشعر بي ثم أمسكت يديها فتركت
الطحين وبعد مدة قالت لي : ماذا تريد مني ؟ قلت بصوت الخائف : أريدك
ترقدى معي . لماذا أرقد معك ؟ أنا والله منذ خلقني وبى لا أعرف مثل هذا
خرجت من عندها وقلت أعوذ بالله أول ما ابتدئ أهلك محصنة وتذكرت
قول الشاعر :

ان الرنا دين اذا ما استقرضت فوافؤه من أهل بيتك فاعلم

وقمت من عندها فأخذت تطحن فلما وصلت سريري ورقعت وأنا أرتجف
جاء مختار وصالني عن رحلتي فلم أتكلم معه وارتجف قسألني وألح على
فأخبرته بالحقيقة فضحك مني وقال المرأة ضحكك عليك فاطمأنت حيث علمت
انها كذلك وحمدت الله على سلامتي منها ولم أعد الى مثلها والحمد لله

قلنا من مندوبية الكرية القريبة من مدني حيث كنت آيت مع أمي
الحبيبة كل ليلة جمعة وأصلها بجدية وأرجع منها مفتبطا مروراً بما أسمع من
دعوتها رحمها الله

قلنا الى مندوبية الرضمة حلة الرجل الكريم يوسف ولد الزين العركي
الذي يمثل الوطني السوداني البسيط في طبعه السحي في ماله العظيم في مروءته
كثير الطعام حتى يدرك كلام الشيخ أحمد الريح العركي « أكان ما عجبني من
بجيني » مكثا بها حتى قرب عيد الأضحية الذي هو منتهى زمن خدمة الضرائب
حيث يرجع كل العمال من الجزيرة ليحضروا العيد بأمر درمان بالأمر ثم
يسأفون عملهم في أو بعد صفر الخير من كل سنة .

ففي هذه السنة التي هي سنة ١٣٥٩ هـ حصلت بأمر درمان ما يسوونها
بحركة المناظرة فأريت من قبض عليهم الصالح حسدو من الكاملين ورفاعة
ومدني وجزيرة القيل في يوم وأساءة واحدة بعركة منتظمة حتى لا يفر أحدهم
من مكانه هينجو من القبض عليه وقد مر علينا صالح حسن وغيد القادر أخوه
وكريب نور الدين خناقية رفاعة أقارب المهدي عم في حفلة ترويع على المائة قصر
كلهم مشعبون قررت هؤلاء لأني عرفتهم منذ نشأني برفاعة وأبكاني حالهم

بهذا النذل بعد ذلك الرعد في أيام دولتهم بحياة المهدي وبعدها حيث كانوا في
 المنازل الكبيرة في الحشم والخيل المتقودة كانوا واسطة أغراض أصحابهم وسجل
 آمالهم فقلت هذا مصير الدنيا وذكرت أيام موسى عند مدينة أم موسى فحدثت
 الله وودعتهم بعد ما أعطيتهم ما كنت أقدمه لأمر في ذلك الأسبوع من الكريمة
 قلت هلنا للرضمة ونحن بما أرسل أحد للتأشئة المدعو الرشيد كرومه
 جهاديين من حلة نصير التي تبعد نحو عشرة أميال من الرضمة بكتاب مختار
 محمد المندوب يطلب منه أو سال ما حصله من القود والدمور فأبى مختار
 وأرجع الجهاديين بلا شيء فما كان من الرشيد كرومه إلا أن يرسل ثلاثين جهاديا
 لمختار الذي كان أخذه شربه في ذلك اليوم ، ليأخذه له راجلا إلى حلة عسير
 فلما جاءوا وكان مختار خارج المنزل قالوا : أين جيتان ؟ قلت لهم أنا : مختار
 تمتيت أن مختارا لا يراهم فأذهب معهم أو أعطيتهم ماشاوا ولكن مختارا حضر
 في الحال فقال لرئيسهم : ماذا تريد ؟ قال أخذ مختارا إلى سيدي الرشيد فأمر
 بشد حصانه فقال له لا أمرا إن تأخذهم راجلا فقال مختار يسعى بمحكم وهو حي
 راجلا قال : « وای » بمعنى نعم : قال يجب أن تهم أن موت مختار وأخذ
 رأسه من أدفة أقرب من مشيه راجلا أماتهم فسبح له بالركوب على حصانه
 فلما خرج من الحلة أفلوه من حصانه وجروه وهو : لقد نحو مائة متر فلما
 رأوا عناده اتفقوا معه على أن يركب فإذا قرب من حلة عسير ينزل راجلا فصبت
 وغلثوا أنه واقفهم فلما قرب من الحلة طرد حصانه فدخلها راجلا حصانه ونزل
 عنده من يرفقه وتوجه إلى الرشيد فسجته في قطية ، لما أخذ منا مختار متفردا
 ومنعنا عن السير معه أو نكلت بوسنة بجعل للمعامل بمدي أخترته
 بما حصل فركب العامل بنفسه لظنير بعد أن أخبر الشيخ أحمد السنن عامل
 جمال الجزيرة بخطاين وأرسل لنا رد كتابنا بأن قابله بسير فنحن سبقناه
 ووجدنا مختارا مسجورا فطلبنا الرشيد وطلب من تسليمه ما عندنا من القود
 والدمور فقلت له العامل عثمان جوش الله سيمثل الآن من مدني فأطلب منه
 ما شئت فقال لي حقيقة أنه إلى فأخرجت له كتابه إلى جميع جماعته وقام من البلد
 وترك مختارا في سجنه استحسنيت أن يبقى به يعني يصلي العامل ولكن قابله
 وأخبرته بكل ما جعله فاجتسمن هو أيضا أنه يبقى بسجنه قلما وصلى العامل
 وأخبرته بقيامهم وكان العامل حسنا فخير الله الفير صرغهم وشكرني وأخرج

مختاراً من سجنه فرجعنا والعامل معنا الى الرضمة وأرافاً مختاراً مكان جره بالأرض فمثل هذا كان كثيراً من البقارة مثل « أب دعنا أمر » لأنه اذا طلب شيئا من عامل أو مندوب أو شيخ حلة وطلب منه تقديم أمره لينظره قال « هي دقن ده ولا أمر » وأخذ ما أراد قوة ان استطاع . أراد مختار أن يفترق لأن الوقت قرب والأعمال متأخرة فعين لي حلة ولد الجالب والصراف وهما أكبر حلال المندوبية بعد السيريات فجعلت مركزى حلة ولد الجالب واذهب للصراف عند الحاجة وبين الطلوع نحو ميل واحد - بعد رمضان بدأنا في تقدير وتحصيل زكاة السملر وكانت القطرة في تلك السنة قررت قرشين على الشخص الواحد فطلبت رجال حلة ولد الجالب ووضعت لهم المصحف الشريف كالمتعاد الواحد منهم يحلف ويوضح لي أقراره الذي يثق عليهم دون قص فلما أتممت الكشف وجئت من به أقل مما أراه بعيني في الشوارع والبئر فاختفت رأى نزيلى محمد إبراهيم فقال لي : تقبل منهم ما حلقوا عليه فأعملت فكرى فيما أصنعه من الصيلة لأخذ الفلرة على حقيقتها فاهتديت لما يأتى :

جلست منفردا حتى مر بى صبي نحو الثامنة من عمره طلبته قلت له من أبوك ؟ قال عيد الله الطاج على . ما اسمك ؟ فلان . واحواك ؟ فلان وفلان الخ حتى عدد ٣٣ شخصا وكان أبوه قيد لنا ثمانية فقط فصرفت الطفل وبعد مدة طلبت والده قلت يا شيخ عبد الله انت رجل غنى بحمد الله زكاة الفطر يتوقف على ادائها كاملة قبول الصوم وهي في السنة مرة وفطرة بيتك التي تترك لا تتجاوز ستة وأربعين قرشا يعنى ريالين وستة قروش ثمن خروف تذبحه لصيف ادفعها وأبرىء ذمتك قال لى : الثمانية ألفار ستة عشر قرشا الثلاثون قرشا من أين جاءت . قلت أشارك ثلاثة وعشرون قرا قال أبدا . انت حلفتى الكتاب قلت : نعم ، ولكن اسع وقرأت له الكشف على لسان ولده اطلق وقال لى من أملاك هذا ؟ قلت : املاية فلان - لأحد جيرانه - قال :

هو كاتب كم ؟ قلت خمسة ألفار . قال لى امسك أمليك أقراره وأمسكت القلم وقلت له بأسمائهم نعم فلان وفلان حتى عدد ١٥ قرا طلبت جاره هذا وكررت له المذاكرة السابقة وقرأت له أسماء أقراره قال من كتب لك هذا قلت جارك فلان قال أيضا هو كاتب كم قر ؟ وهكذا حتى كتبهم على الحقيقة وحصلت

منهم فبينا لا يأمله مختار ثم في بعض الأيام تبرزت لحاجة الانسان وحفرت
براس حيرتي لاحد ما استجير به فخرج لي عرق ذره جديد وكنت مصدقا لهم
لا محصول لهم هذه السنة ؟ لأنهم كما قالوا لي سكبوا بلادهم حتى أحفوا اثر
الزروع وقلوا القصب في زرائب بيعة عن الحلة غربها فلما وجدت العسرق
الأبيض تأكدت من محصول تلك المزرعة فسألت عن صاحبها فطلبته وقلت له
زكاة الثلال فقال البلد صافقه قلت فلان أخبرني انك حصلت ٢٣ أردبا من
الذرة ولم أصدق حتى أوصلني ببلادك وأخرج لي عرقها الجديد . قال فلان
أخبرك قلت نعم قال هو ببلاد حصلت كذا وهكذا حتى حصلت منهم قيمة
١٤٨ ريالا ومن العرف مثل ذلك ٧٢ ريالا ولما كنت لا أملك سلطة كتابة
الوصولات أخذتهم معي لختار اندي وجدهاه بحلة ولد ربيعة بالغوالدة
فسلمت عليه وكنت أنتظر منه اجلالا بالنسبة لما حصلته في الفطرة وأرسلته له
مما لا يأمل ولا يحلم به غدا لي يده وهو ملتفت عني أمام الناس فافتت لتلك
المعاملة ورجعت للجماعة أهل عشور الثلال وقلت لهم المنسوب بقى على السفر
وما دام هو ولا غيره لا يعلم بغلالكم خذوا هودكم وارجعوا فاعطوني منها
عشرين ريالا فكافأت هي نصيبى .

أخذ الجماعة باقى هودهم ورجعوا فلما وصلوا أم درمان أخبرت مختار
بما حصل على أصله فقال لي : يا مريوط ما كنت تقول لي اعطني الخاتم حسب
المادة امدد لك فتكتب لهم الوصولات وتأخذ الفلوس كلها أو جلهما وتورد
الباقى فقلت له ذمتى أصيق من ذلك هذا عمله أنت وأمثلةك المدبرون على البلم
وضحكنا .

في حلة ولد الطالب جاءني يوسف أخى من كركوج أرسله أبى ليراقب
ويتعرف أحوالنا وكانت حالته رثة تبدل على فقره وعدم شغل فما وجدت عندي
غير أربعين قرشا دعجا وأعطيته عمة كنت غزلت لحمها وسدداها من حشو بناج
العشر وكنت معجبا بها لأنها تشبه الحرير من المضحكات ان الناس كانوا اذا
قصد أحدهم السوق ولم يكن دفع الفطرة وأخذ الوصل يستشير وصلا من
أصحابه فيعرضه للمحصلين حينما يطلب منه وصل الفطرة

وفي يوم كنت بسوق حلة ألصراق أنصل الفطرة فجاءني المساعد برجل

مدعى وصلا فقلت كالعادة ما اسمك ؟ فتسنى اسم صاحب الوصل المستعار منه ورفع رأسه كالمفكر فكررت له ما اسمك ؟ اسمى . ما اسمك ؟ فقال اصبر لى يا عيسى (صاحبى) ما اسمك ؟ فقال أسمى الله يخرىه . ونحن فضحك ثم قال والله (كذا لك ابصر منك) هاك قرشين فأخذتهما وكتب له الوصل .

يرجوعى من الجزيرة فى شهر الحجة سنة ١٣٠٩ هـ وجئت حماتى بنت بيتا مساحتها خمسة أذرع طولاً وعرضاً وأمامه كمساحتها أو تنقص قليلاً وفى شماله أرض فضاء لمحمد على شتراوى طلبت منه ذراعين على طولٍ يستأ لنجلها مرتقفاً عرفض وسكا فيه حتى جاء عمى مالك وسافرت لسواكن كما سياتى ويرجوعى طلبت من زوجتى الرجول منه فقالت لا أرحل من جوار أهلى وما رضيت فراقها لهذا المنزل حتى ملاته بضاعة من تجارتى أودعت باقيها عند الجيران أيضاً حينما رجنا من الجزيرة وجدنا عمى مالك حضر من كردفان فسلمت عليه وقلت له اعمل أحد أمرى إما أن تأخذ منى والدتى وبناتها وتتركى أعيش وزوجتى وإما أن تعطينى مائة ريال أتاجر بها فى البحر من دقلا بالربيع فقال لى المائة ريال لو دفعته لك ما بتنصك . الناس قالوا « الريم اذا ما أغناك يستر حالك » انتظر الى أن يصل المنصور أبو كوع من سواكن سافر معه .

بين سواكن وام درمان :

والسبب فى أنى طلبت التجارة فى التمر لأمرين الأولى ان العقل يعتبر قاصراً فى جميع ما يجهله مهما كان صاحبه والثانى انى رأيت جلالة أحمد الخضر الذى جئنا معه من دقلا فعشقتها لأنها أول منظورائى للتجارة . جاء المنصور وترك البضاعة فى حلة الشيخ الطيب فصعبت لإحضارها لأم درمان ولكن قبل قيامنا التفتت صديقة بعمى يوسف بتليمان مندوب بيت المال وقلت له عندنا اثنتى عشر رجلاً بضاعة فهل يمكن أن نكرم وتمشروها لنا فى بيت عمى مالك فقال لا يمكن بل تمشروها فى الوكالة فذهبنا لإحضارها وفى الطريق ونحن راكبين اتفقتا على أن أتأخر أنا مع القاتورة وأخذ المنصور جمال الموزونات ليخبرنا عن المنصور بمنزلة عمى مالك الذى بجوار السوق .

فلما دخل البلد ليلاً كان السحاب مع ظلمة آخر الشهر سيباً فى ضلاله من البيك وضاراً يشجول فى السوق حتى تزلت المطر عند باب المحكمة فركبت

الجمال وصارت ترضى حتى خرج عليهم حرم المحكمة وقادهم لوكالة بيت المال حيث بات المنصور في الوكالة فسمع عمى مالك في الحال فمكثنا نتنظر ما يفعل الله لنا فبعاء عمى الموض الرضى أمين بيت المال واجتمع حوله أرباب الحاجات طلبا فت بضاعتنا وقال له هذه غنيمة وقد تم الحكم نهائيا فانا آسف فلما سمعت حكمه هذا تهدمت في الحال بما الهني الله تعالى في الجبا والحجة فقلت والله يا عمى الموض ان احتلتم علينا وجدتم السبب وان سمعتم حجتنا وافضتمونا ان شاء الله فخلص منكم وقال فما حجكم حالا التفت على الناس حوله وقالت لهم بالله يا اعمامى اسمعوا كلامى واحكموا بالحق يا جماعة الذى يريد أن يسرق بشاعته من بيت المال يخبر بها عمى يوسف سليمان عددا وفوعا قال عمى الموض لا قلت وهل يمر بها على ود قرأى بكررى ويأخذ منه جوابا بعدد رجوله قال عمى الموض لا قالت لعمى يوسف سليمان وقلت له أتذكر انى لقيتك أبس وأنت خارج من منزلك وقلت لك عندي عشر رجلا بضباعة هل تسمح لنا بأخذ العشر منها بمنزل عمى مالك فقلت لا يمكن الا في الوكالة قال عمى يوسف صحيح وكنت استلمت من ولد قرأى بعد ما أخذ رشوته في جمال المتقاتل جوابا لعمى يوسف بعدد جمالنا كلها لحيياطي فأخرجت الجواب من جيبى وقدمته لعمى الموض فلما قراه فتح قمه ونظر الى كعاده حينما يفكر وقال يا مالك هذا ولك ؟ قال ابن أخى وشرركى قال عمى الموض يليب تأخذ نصفها فقلت الا بصاف ياسيدى قال الثلث فقلت ان كانت الحجة قائمة فيخذلوا العشر ثم التفت على الجماعة قبل أن ينطق عمى الموض بقراره النهائي وقلت لهم بالله عليكم يا جماعة هل يتوه أحسدا من منزله في أم درهمان فسمتوا . نحن عادتنا في سفرنا هذا من سوانى تشد جمال الموزقات أولا لتقدم لأنها مثقات ثم تشد جمال القاتورة الخفيفة والحقها ولما كانت الشدة الأخيرة من المصيبة مكان عمى ولد قرأى وضموا الجمالة الفراءى الفراءى ولما وصلنا فراق الدين عرفنا أنهم تأهوا فلحقهم المنصور على بعائنا ولم يدخل الليل ولا كثر بالسحاب قصد المحكمة والراح جمالنا لفتحنا لونا الصوق آتى وجدوهم فقال عمى ابراهيم سمو الشهير بود أبو روفيه والله يا الموض الصبي دا ما خذالك

مسبب تأخذ منه أكثر من العشر فقال العوض لعمى مالك : عندك بخت ثم التفت
 الى يوسف سليمان وقال له خذ منهم العشر فشكرناه وانصرفا وقد كافأني عمى
 مالك على هذه الخدمة بأنه تركني كلما أخذ تاجر صفقة ييمه أقول له : أنا
 شريكك فيعطيني ريالاً أو ريالين خلو رجل فلما انتهى بيع البضاعة حصلت
 خمسة وأربعين ريالاً فأرسلت الى أمى مأمون عبد عمى مالك وأحضرها من
 مدني وكان المدني مصطفي حصر وأخذ أولاده لرفاعة فأسكنا أمى في منزل عمى
 مالك الذي بجوار السوق وبه عمارته وسافرت مع المنصور بالصنع لسواكن
 لعمى مالك النصف للمال ولي وللمنصور النصف الثاني فتأخر المنصور
 بأمر درمان وسافر الصنع قبالي من أم درمان ليرى يوم يركب ريس لا أعرفه
 فسافرت عدا بركب الريس ود أحمدو ومعى أبو الكيلك نصر الدين الميرقابي
 التاجر وكان عندي مصاريف الصنع للحكومة والجمالة أكثر من ألف ريال
 مجيئى في عيبة ملفوفة في اللطاوية فلما وصلنا ليرى وقت المركب ليخرج أبو
 لكيلك قبالة بيته قلت له حذ هذه اللطاوية واحفظها للسبح لأن الزمن الآن بعد
 الظفر ومستخدموا بيت المال لا يأتون الا صحى المد فاخذها ودعيت لمحل
 الصنع بصوفى الدار فوجدت صمغاً مرصوصاً ولكنه ناقص عدله فكتبت لعمى
 مالك بذلك . صليت المصير في ظل الصنع وأخذ ثمرأ في الراتب فادا التقيته
 ابن عمى الطيب الخليفة على حمارته بالقسرب منى فقلت له وقد سحت له عن
 الفروة فجلس يسألنى عن أفراد العائلة وأجيبه فاذا هو ينتبه ابتهاة غير عادية
 معها هزة ويقول بلهعة أين هودك التى جئت بها قلت أعلميتها أبو لكيلك
 يحفظها للند فقال اركب هذه العمارة وآتينى بها قلت لماذا أقول له قال لى يحزم
 لا أدري ماهوله له وانما أنا فى أنتظارك تأتينى بها الآن . ركب الحمار ووصلت
 أبو لكيلك وقلت له وجدت أحمد عبد الكريم ومحمد صالح جالسين عند الصنع
 طلبا منى النقود فتناولنى اللطاوية ووضعتها على البرج وركبت خلفها فلما
 قربت من التقي الطيب طلع على الصنع وقال لى ارفعها فرفتها بصعوبة عدله
 الى عدله حتى قربت منه تناولتها ورفتها معه فرماها بين عدلتين واول . ركب
 حمارته وودعنى ففى صباح غد هب بيت أبى لكيلك وأخذ جميع مافيه من

المحصولات فلما جثته مسلما ومتوجها كغيري قال لي والله انت ولد حلال لو كانت لحاوتك عندى وما أخذتها أمس كان أعدائنا يشيموا علينا انا قهنا بيتنا لأجل ان نخون قودك .

ولما طلعتا من بربر لسواكن أجز المنصور لنفسه جملا ولى جملا يسمى جمل ركوبه يحمل عليه الماء والزاد ويركبه المؤجر فيقرن في قطر الجمال ويمش طرقة على مهل فكنت أضجر من الركوب فأزول وأمشى أحيانا أكثر مما أركب في كل مرحلة أراد المنصور أن يؤجر لى جملا في رجوعه من سواكن قلت اعطنى

أجرة الجمل فأعطانيها أربعة عشر ريالا فقلت لابراهيم على اليعقوباي يا ابراهيم انت لما جثت من بربر كنت راكب كل المسافة قال لا والله يمكن أقل من نفسها قلت هل توافق ان تؤجر جملا واحدا نحمل عليه مائتا وزادقا وتعاقب عليه قال أبى والله فأجرنا جملا واحدا ووفر كل منا سبعة ريالات جاء المنصور

أبو كوع ومأمون وأخذنا قطع الصمغ بالجمال ببربر وقد كانت الحرم بنت النور أعطتني ثلاثين ريالا على قودى الخمسة وأربعين ريالا اشتريت بهما صمغ وقلت أظن ان المنصور يكلفه لى على حساب صمغ الشركة ولكن انعكس أمله فقد حاسبني المنصور حتى على السلتين اللذين ثمنهما ثلاثة قروش ولما وصلنا سواكن وجدنا الصمغ رخيصا جدا يمكن يضر أربعة في المائة مما زادنى خرجا ان الصمغ الذى كان في عهدي أدخلت الحاصل من الجمل نقص عدله جمل فلما علم المنصور جاءنى وقال لى مكان وديت هذه العدلة ارجعها في البحر

في بربر ضيعت عدله وهنا ضيعت عدله والله ان لم ترجعها أخصمها من حسابك الخاص . أخرجتني هذه العبارة الصريحة بالتهمة وأعلنت فكري كيف أتحصل عليها وأخيرا قررت أن أعلم الوزن على ميزان الطلية فأوزن لكل التجار مجانا بدل القنطار قرشاً ثم لتقتهم بى بأنى لا يمكن أن أعامل عليهم الخواجات وأخوفهم في الوزن كغيري فأنكبوا على وفي يوم وزنت صفحا لسليمان كشمه فبجاعت العدلة وعليها علامة صفحا قلت للفتالة ضوحها ورأى وأرسلت للمنصور وقلت له هذه عدلتك وهذا سيدها فأدعاهما كل منهما فلمما اشتد بينهما الجدل قلت لهما كل منكبأ بعد صفحه أزواجا لأن الجمل لا يحمل عدلا واحد فمن وجد في صفحه عدلا بلا زوج فهي له فظهرت للمنصور . ولكساد

السوق شحن المنصور الصنع لمصر وسافر معه بعد ان ربط لى اربعة رحول
فاتورة وارسلنى بها لام درمان لى عمى مالك يحتاج الى قود فلما وصلنا
ككرب وجدا ابا التتج موسى فقنا حضر بها لان عمه العامل عشانه فقنا قرر
بها عشر اعلى البضائع التى ترعلها بدلا من خمسة رالات على الجمل كالصنع
قاول ما بدأ هذا العشر فينا فلما نزلنا طلبنا ابو التتج بمكتبه واخبرنا بتقرير
العشر ولم يقبل لنا اى عذر ثم التفت عنا وصار يكتب فى الرملة بخط جميل
كلمة الملك ويسمحها ثم يكتبها فحسرت كلما كتب الملك كسبت لله فلعظ ذلك
ثم ترك الكتابة وامرنا بالانصراف ثم طلبنى برسوله رجعت اليه فقال لى كلما
كسبت الا كلمة الملك انت تكتب كلمة لله قلت لاذكر لك لئلا تستمر فى لذة الملك
فقال لى انت من اصحاب المهدي ؟ قلت نعم : هل هاجرت فى سرية . قلت نعم
هاجرت فى سرية ولد التجوى . هل شهدت واقعة ؟ نعم شهدت ثلاث عشر
واقعة اولها فى بقر صالح واخرها فى ارقين . هل طبعت بطابع الشهداء . لا لم
يكتب لى ذلك رغم تعرضى له ورغبتى فيه هل خدعت فى بيت المال ؟ نعم هل
يوجد عندك دفتر ثبأ لنا فيه جسر ما تأخذ اليوم نوعا وقية ؟ نعم وأتيته
بدفتر وروسته له ثم أرسل مئى أحد جماعته كرئيس علينا ومعه مساعدوه
فدخلنا الجلاية وعشراتها وكتبناها عددا ونوعا ولم تبق الا اربعة حولنا فطلبنى
وقال لى لا بد من أخذ العشر منك . سيما وطاعة قائى القساخ أرخص قيمة
قلت. اليش كم ثوبا . الرجل عشرون ثوبا كم رجلا عندك ؟ اربعة وحصول .
احضر ثمانية ثياب . حاضر . ذهبت واجتلبت الثمانية ثياب سلمتها لرسوله
فطلبنى وقال لى كلما جئت فقابلنى دائما وودعت وسافرتا . وصلت أم درمان
ووجدت البضاعة غالية جدا فسلمتها عمى مالك ولم أعلم عنها شيئا أما رجل
صنعي البصوصى فيجته بسواكن واشترت بثمنه بسطاوية جورخ اسود خيط
للرقع فدفتر فحاس صنير مجموع فطلبنا وصلت أم درمان بعث البسطاوية
والمجموع وأعطيت الحرم أماتها بريحا ووفر لى مائة وأوبسة عشر رمالا
اشترت لزوجتى خدامة كبيرة تسمى أم نصيم ماتت وعمرها أكثر من مائتوللاثين
سنة لما قالت هى أكبر من السلطان حسين الذى توج سنة ١٢٥٤ هـ ومات
سنة ١٢٨٦ هـ وهى ماتت سنة ١٣٥٧ هـ ثم اشترت لوالدى خادمة .

وأرسلت ليوسف أخى بكر كوج أن يأتينى لتتاجر معا وقبيل مجيئه
 سافرت لسواكن شريكا لعمى مالك مباشرة فلما وصلت بربر اشتريت حمارا
 ركبت عليه وأجرت لثامى وزادى بأربعة ريات فصرت أمشى أمام القطار
 مسافة بعيدة وأنزل وأرتاح وحمارى يرمى حتى يرمى القطار . ربما أكون
 دائما حتى وصلنا سواكن وصار التجار يشتركون كل اثنين فى جمل ركوبه
 كعملنا وإبراهيم على فلما رأونى ركبت الحمار وأجرت للماء والزاد اقتصدوا
 فرجبت لأم درمان فعصمت فى سفرتى تلك مئة وسبعين رياتا ووجدت
 يوسف أخى قد حضر من كركوج .

اتفقت من عمى مالك نهائيا بسبب انه استجر ملابس لأهله ورقية
 ومصاريف أخرى تربو على مائة ريات فلما أردت أن أحسبها عليه قال لى
 لا أقبلها الا اذا خلعت على المصحف اذك مادخلت مطبخا ولا جلست فى قهوة
 وان لم تحطف يكون ما أخذته منك فى مقابل ما صرفته فيهما قلت : يا عمى
 مالك مثل هذا الحساب يعلمنى المرقعة واتفقت منه ولم يكن بينى وبينه
 معاملة مالية الى أن توفى رحمه الله رحمة واسعة فانه كان سبب معرفتنا التجارة

سافرت ويوسف لسواكن بمجيدى لأن الرمال المجدى صار ليس عملة
 متداولة بل صار يباع بقيمة قصته الصافية فيه واشترت قيمته سكرا ومعلبا
 وزرقا بنانا واشترت صفا من أم درمان وسافرنا لسواكن أنا ويوسف أخى
 فلما وصلنا بربر وزنا الصمغ وسلمناه الخبير الذى هو الفضل عبد السلام من
 فجلاب المكايلا واشترينا ثلاثة حبر حملنا الماء والزاد على أحدهما وركبنا
 الاثنين فلما يكون الماء كثير نخففه على حمارى يوما واحدا فوصلنا سواكن فى
 تسعة أيام بدل أربعة وعشرين يوما بجمال الهندوة أو ثمانية عشر يوما بجمال
 أهل بربر . أخذت معى عينة من صمغنا قبوصونا بمت الصمغ بهذه العينة
 واشترت البضاعة وربطتها ومرحتها وأجرت الجمال فبجرد وصول الصمغ
 سلمناه خليفة لى اليهودى وخرجنا ببضاعتنا التى لم نراقها بل انتظرنا
 بكرب عند أبى التبع موسى فقنا الذى حملنا له معنا هدية مركبة من ثوب
 حرير على شكل الشافونه التى يلبسها نساؤهم عادة من نسيج القطن واثنين
 شيا أخضر ورطلين رجة محلية ورطل سمية قيمتها نحو أربعين رياتا قوشليا

وكانت بضاعتنا ستة رحول منها واحد رخصة يفضاء اعتبرها مجموعا وخمسة فاتورة عشرناها مشكلا دفعت عنها شكل « جيب الأسيئة » الذي قيمة الثوب منه قرشان ونصف اشتريتها مخصصا لهذا الغرض من سواكن • وصلنا أم درمان وبضاعتنا التي ملأت منزلنا الصغير وجعلت باقيها في منزل جارى الحاج سوسامى وبعد ذلك قلت لزوجتى : « ألا نرحل بعد الآن ؟ قالت نعم : نرحل • فرحنا بمنزل حالى أحمد عطا المنان الذى بنيت أكثر من بيانه الذى كان فيه ورهت منزلا بجواره لوالدتي وأخواتي • بعد أيام قليلة صرفنا مجيدى بشمن بضاعتنا ورجعنا لسواكن التى وصلناها في أقل من ثلاثة شهور من خروجنا منها حيث لقينا الفقيه الطيب الخليعة في بربر وقال لى : جئى بسجادة أو حرام من سواكن فوعده بأحدهما • ولما وصلنا سواكن بأربعة حبر ، على الرابع غمرات للمجيدى وما يشربه وعليقته حرفنا النقود واشترينا البضاعة ، لم أجد الحرام للفقيه الطيب واستكرت ثمن السجادة فاشترت له كتاب العرش على خليل وربطته في بضاعتى بواسطة البشاورش محمد أندى طه الشافعى ابن بلدنا وخطوتنا وهو أمين على تفتيش بيت البضائع لأن الكتب ضمن المنوعات عن التصدير للسودان • فلقينى على صديق عبد باب الجمر ك قادم من بربر ونحن خارجون من سواكن فقال لى أن الفقيه الطيب يقول لك هذا الكتاب الذى اشتريته لى خير لى من السجادة والحرام ولم أخبر أحدا غير يوسف أخى الذى أتا متأكد أنه ما أخبر أحدا بالكتاب • فهذه كرامة ثانية لكرامة النقود في بربر سنة ١٣١٠ - وصلنا ككرب بهديتنا كالعادة وسومنا في العشر مسامحة كبيرة ووصلنا بربر أرسلنا للفقيه الطيب كتابه بالرباط وعملنا حيلة جديدة في إخفاء البضائع من الرسوم ببربر وأم درمان كما سيجى • في أبجا • وبضاعتنا بالمرائب كان ضمنها الاثنان وسبعود قنطارا قرنتلا التى لها قصة طريفة وهى بعد أن سوقنا كل هودفا قال لى الخواجه خليقة لى صابجا عندي لك بيعة قرنتل رخيصة جدا . قلت : بكم القنطار ؟ قال : أحد عشر ريالاً • قلت لكن ما عندي ثمنها • قال أتركك الى أن ترجع من السودان . قلت : عرفت ذلك في بيت المال هناك فيغنموى • فقال محمود بك ارتبفه نزلنا أنا أهل لكم هذا الموضوع عندي ثمانمائة ريال لمصطفى الأمين قيمة صنعه وأمرنى أن أرسلها له قديمة مع أمين فأنا أدفعها هنا لخليفة وسلمها مصطفى

بأم درمان • علمت بذلك - واستلمت القرتفل اثنان وسبعون قنطارا وباقى
التقود شملته بها رسوما بسواكن • لما وصلنا عقبة قرى بالقرب من أم درمان
تقينا التجار الذين يقومون من أم درمان صابحا فسالهم المهدي أحمد حتى علم
منهم أن قنطار القرتفل سبعون رطلا فجاءني فرحا فأيقظني من النوم وأخبرني
بشرا لي • فقلت له : غومي خير لي من بشارتك هذه ، قال : لماذا ؟ قلت :
بضاعتي في البحر لا أدري أنفرق أم تسلم • فهل تنضم بأم درمان أو تسلم •
أفعلق هذا الثمن أم يتنازل الثمن • أفرح للناس قال لي : « تب عليك أصلك
ما بتمنى الخير » .

وصل القرتفل وبيع القنطار خمسة وسبعين رطلا (أنظر هذا الكسب
يا تاجر اليوم) لما وصلنا الشيخ الطيب أخذت عييتي التي كان بها من الغرز
والجلاد مالا قل قيمته عن الألف ريال وصحبتني يوسف الحاج عمر قناوى بها
يحب اخفاه مثلي • وصلنا أم درمان فمررتا على بيت والدتي ، فقلت ليوسف :
أسندني لأعطي السور ثم تناولني الشملة وهي شملة حياية خفيفة يرتقاية اللون
شبيهة بالبطانية اشترتها لوالدتي • فلما دخلت البيت تلمست والدتي حتى
عرفتها بين بناتها غطيتها بها وأخذت عقرها سندته على السور حيث تناولني
يوسف . وصلنا منزلي وخباتها في مخبأ لا يعرف ولم نوقظ أحدا غير زوجتي
التي فتحت لنا الباب ورجعنا للشيخ الطيب بلينا • كافت عادة والدتي أن
تصحو سحرا تصلى حتى يطلع الصبح حيث تصلى المصبح وتقرأ هي وبناتها الراتب
قضى تلك الليلة لم تستيقظ كمادتها فأيقظها بناتها فلما أحست بتقل النفا عليها
قالت لهن : أبكر جاء قفلن لها : لا • قالت : انظرن الشيء الذي فوقى • فلما
نظرن الشملة قالت نعم جاء أبكر •

لما وصلنا من الشيخ الطيب وعشرا ما قدمناه من البضاعة للعشر رحلنا
الباقى للمنزل • قمت توا لوالدتي أسلم عليها فمستى ووضعت رأسي على
وركها وأكبت على رايكة حتى ملأت دموعها أذني اليمنى وصارت لها صوت مما
دخلها من الدموع وأنا لا أحرك رأسي حتى تنبت أختي السهوة فقالت : يا أمه
إن أذن أبكر امتلات من دموعك فرفعت رأسها ثم قبلتني في خدي وقالت :
« سأل لك الله أن يطيك الولد التيمان والرزق الكيل » • فأحسست بحلاوة
روحية التي ما شككت في أن الله تعالى يجيبها وقد فعل والحمد لله .

دخلت سنة ١٣١٢ المباركة - بنيت لوالدتي بيتا معنا رحلتها وابتعتها
 الحسنى فيه ، وبعد بيع بضاعتنا وحصلنا هودفا سمعنا أن في اليوم قطار
 الصمغ أربعة ريلات مجيدى - سافرنا اليوم فوجدنا الصمغ به ستة ريلات
 بلخنا أنه بدار الجص ريلان وتحويله ريلان من الصمغ البائت فلما وصلنا
 أم حبر مركز رؤاستهم وجدناه أربعة ريلات وصار باليوم ستة الى سبعة
 ريلات واخذنا تشتري الصمغ منها ومن جارائنا ، ثم اتخذنا محلا بطة نلقى
 « أم بول » مكانها الدرغواب الأباحين رأينا منهم حوادث يقف لسائنا عن
 ذكرها فصلا عن قرويتنا - أردت أن أعرف هصان الصمغ اللين اذا ييس جدا
 يكون كم رطلا في المائة رطل ، فوزنت عشرة أرطال من صمغ الوادى الكبير
 الصمغ اللين جدا بحيث يمتص الانسان ما في بطنه ويمضغ خارجة بسهولة
 فوضعتها في طبق علقته على ظهر الراكوبة ونسيتها حتى مكثت خمسة عشر يوما
 في الشمس الصائفة ثم تذكرتها فوجدتها تكسرت وابيضت جدا مما لفتنى الى
 نشر الصمغ لمعى البروش في الشمس فوجدتها تسعة أرطال ووقيتين أى قصت
 $\frac{10 \times 10}{81} = \frac{1}{81}$ فجعلت حسابى على ذلك وزيد ما ينقص من رمى
 الجبال عدد كل تولة فاعتبرته ١٠٪ فلما تسوقنا النقود أزعف وقت نزول المطر
 فسجلت النزول للبحر وصالحنا فيما عندنا من الديون ونزلنا على ألا نرجع فلما
 وصلنا أم درمان وجدت بعض أصدقائى شاحنا صمغه ليرير في مركب . رفقت
 ليلتين بالمركب التى بها الصمغ فنقلت ثمانية أرطل من صمغى الذى بمركبنا
 لمركب صديقى وخسرت في ذلك أربعة ريلات رشوة للخفير ولم أزر والدتى
 في هذين اليومين ولا رأيت بيتى فسلت أن أؤخر صمغى بالمركب لهذه الملة
 فأطلب من العتالة أن يفرجوا صمغ الناس خلاف صمغى . فلما زرت أمى في
 اليوم الثالث قالت لى : يا بكرة انت في البلد ثلاثة أيام حتى تأيننى أنا عفوت عن
 الناس الآخرين فشق على هذا القول وأخبرتها بعذرى فغفرت لى زلتى

وزنوا لى صمغى ومطالبنى بقيمة الثلث هذا فلم أجد من يسلفنى من
 التجار ، وللمحظ طالبتنى زوجتى بمشتري خلال وكنت اشترت مؤونة سبعة
 شهور في هذه المرة التى تكثرت نصف السنة بشعر ، فأخذت زوجتى تبكى وتقول

أنا ما بعث والله منه شيئا . فاعملت فكرى فخطر لى أنها لا تدخل المخزن لثراها
 لا همالها وكسلها والخاضعة فتفتح العللة التامة فتأخذ منها حتى اذا لمست قعرها
 (آخرها) لم تهزها (تحركها) ليظهر مائى جوانبها فتفتح أخرى ، فطلبت
 ما عندى من العبيد وكانوا ثلاثة أمرتهم باخراج عدل اللؤلؤ وصب (افراغ)
 ما فيها من اللؤلؤ فى صحن النرفة فوجدنا بها أكثر مما صرف فى مدة السبعة
 شهور التى غبناها قلت لهم اكسوا المخزن فوجدنا فى كناسته قمحا وذرقوم مطبا
 وظفرا وقرقلا وزناة كان سبعة وثلاثين رطلا وكثيرا من الخيش ووجسدت
 صندوق صنيح مما كان يصرف فيه الشاى من الهند عادة وفيه شئ قليل
 فأخرجته للنرفة فوجدت فيه سوسية مكتوبا بخطى على ظهر الصرة التى فيها
 ثلاثمائة وخمسون ريالا ، فتحتها فاذا فيها كشف بخطى دفع يوم بأسماء من
 يشترون منا البضائع . أخذتها مسرورا فرحا ، صرفتها بالمقبول ودفعت ما بقى
 على ثمن ثلث الصنغ . وذهبنا الى بربر (وسافرت وكان يسمى فى الطريق أحمد
 الفقيه ابراهيم وبيع الله وأحمد يريد السفر لمصر طالب علم) حيث اشترت
 بروشا شمس عليها الصنغ مسافة أسبوعين حتى جاء الجمال لحمله ووزنه
 وأخذته منه عينة وسلمته الخبير وسافرا فلما جئنا فى كركب أخرنا أبو الفتح
 حتى جاء صبيغنا ودفعنا عن كل جمل خمسة ريالات وكانت الصمغوات كثيرة
 حتى وانك لا تكاد ينقطع عنك قطر من الجمال الا ترى قطرا آخر . والصنغ
 فى سواكن السطيف قنطاره أربعة عشر ريالا . اتفقت مع الخبير وكان اسمه
 أوتيك أن أعطيه أربعة ريالات قوشيا ويسلك بنا درب هندوب لنصل سواكن
 ونبيع قبل الناس فلما جاء عند مفرق الغروب سلك بنا طريق أوكاك فلحقته
 بصارى وقلت له الشرط . رضى لى ريالاتى الأربعة فى الأرض ومضى فتبعته
 ومن معى وهما يوسف بلرى وأحمد الفقيه ابراهيم فمشى بنا ثلاثة مراحل حتى
 وصل أرضا عالية فسيحة أنزل فيها الصنغ وأخذوا جمالهم ولم نرهم أو نعرف
 لهم خبرا حتى مضت واحد وعشرون يوما ونحن لا نعرف أين نحن الا القبلة .
 حيث نصلى عرفناها بالشمس . آكلنا زادنا الذى عندنا للذهاب بالوالياب من
 والى بربر . بعد الواحد والعشرين يوما جاءونا بجمالهم ولم يكلسوا ولا
 كلمناهم فقط حملوا الصنغ فتبعناهم حيث القافلة ، كنا فى أوكاك (سكاك

(اليوم) حتى شجراتها الظليلة وواديها الجميل فقلت لمن ممر الأحسن أقدم أنا
بالمينة وأبيع الصنع لآلى أعرفه الطريق من أوكالك الى سواكن وكنت رأيت
ساما أجد به ود الدفينة عند باب سواكن فاقول له يا به الصنع كم القنطار ؟
يقول الكنوز بأعوا بأربعة عشر ومن أعطونا ستة عشر أينا .

يدروى على سلسلة جبال عالية رأيت البحر ومدينة سواكن ثم وصلتها
بعد ثلاث ساعات من رؤيتي لها فلما وصلت سواكن وجئت عند الباب أجد غير
به ود الدفينة فقال نفس القول فدخلت سواكن مسرورا بالتأخير وقلت
صلى الله « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم »

سمع صاحبنا خليفة ليني بوصولى وجاءنى بالمنزل فأوصلنى فى القنطار
المشمس ثمانية عشر ريالاً . رضيت له ورضى هو ولكن معهود بك ارتيقه قال
الأحسن أن تصبروا حتى يصل الصنع لأنى أخاف إذا تنازل الصنع خليفة
يقول هذا الصنع والمينة مختلفان وإذا تعالى الصنع بابكر يقول يوسف أخوى
مارضى وهو شريكى ، فتركنا الاتفاق لحضور الصنع فلما دخل الصنع الوكاله
جاء الزبائن وفتح خواجه جريبا أحصى المعدل وملا يديه منها صمما تشتت منه
البعض فأتيته ونقضت يديه من الصنع وقلت له : ليس هو للبيع . قال : لمن ؟
قلت : لخليفة ليني فقال : اتركه له بدكانه ، قلت للعمالة أحملوا محموله حتى
أوصلناه دكان خليفة ، فلما وصله الخبر جاء مسرعا ووزن الصنع بسمر القنطار
ولحد وعشرين ريالاً ونصف ، ودفع لنا الثمن هذا غير ثمانمائة ريال أخذنا بها
منه زراى من زراقه المشهور أخذت منه كيبا به خمسمائة ريال قوشيا مختوما
باسمه بالنصح الأحمر فنيته بدكان الخواجه علس فلما وصلت منزلى وتبيننا
تذكرته فأخذت أبحث عنه فى كل الدكاكين التى مررت عليها فلم أجده وبسدد
الساعة الرابعة مساء جاء الخواجه علس سألكه عن الكيس فقال لى يحزم : لم
تسه عندنا ، لكنه لما رأى اهتمت بضياح هذا الكيس اهتماما ظهر على
مشارعى سألتى كم راس مالك ؟ قلت : هذا الكيس أكثر من ريمه فأخرج لى
الكيس من خزته مكتوبا عليه بخط كبير أمانة بابكر بدرى . قلت ممن علمت
أنه لى . قال : سألت خليفة من الذى استلم كيبا مختوما فمرته ومبلنه كدا
علمت منه أنه لك . فشكرته وقمت تسوقنا البضاعة وخرجنا من سواكن بجمال

أهالى بربر • فلما وصلنا والبضاعة بككرب وكان معنا رجل يدعى عبد المجيد أحمد جبور عنده رجل واحد فطلب مني أن أضمه على بضاعتي لتخفف له المشور قلت له : فعل حيلة يتجسس من العشر بالمره • وضعت له معى طردا واحدا ومع بضاعة أخرى طردا ولما جاءوا للصاب غالطناهم في العدد عندنا بواحد وفى البضاعة الأخرى • وكانت بمينة منا بنحو اثنا عشر مترا وحجتنا أن الجميل لا يعمل طردا واحدا فانطلت عليهم الحيلة وعشورى كالمعادة الستة عشر وملاعشرناها بأرخص قيمة • قمنا من ككرب بطريق بشر روى ولم نحمل ماء كثيرا فلما وصلنا روى وجدناها لا ماء البتة يبرها فأمرنا في السير حتى وصلنا البالد صباحا ونحن وبهائمنا في شدة العطش ، فقلت ليوسف أخى وعبد الرحمن المربوع وبابكر البشير اشتروا يمين أو ثلاثة آبار لتجبرها فنسقى بهائمنا ونحمل ما يكفيننا ثلاثة أيام ليربر فوردوا المشرع ولم يجسدوا الا بئرا واحدة أنزلوا فيها يوسف ليملا لهما القربة وهما يخرجها من البئر • وبعد قليل جاءني بابكر ومعه جمال يرولان قالوا لى يوسف تزلت عليه البئر فمررت بهما على بيوت العرب واشترت بيتين خشبهما وبروشهما ، حملنا ذلك معنا للبئر وأنزلنا معه عربا جملوها سافرا اذا وقعت رملة أخرى تقع على هذه البروش فلما ثبتوها جملوا يأخذون الرملة من جانبي يوسف ونحن في أثناء ذلك وقعت رملة أخرى ولكنها في وسط البرش فلم يصل يوسف منها شيء ولم تسد الثقب الذى تمر لنا به الرملة لتخرجها للبئر حتى أخرجنا يوسف ونحن واقفون حتى أخرجنا الوطنيين وأعطيناهم أجرهما ووهبنا لهما أقاض البيتين ولكننا بتنا في الباك حتى جاء الليل وانصرف العرب سقينا وحملنا الماء من آبارهم وسافروا بلبينا سبقتنا جمال البضاعة وصلنا بربر • فلما دخلنا منزل أبى علام الحسين حيث نزل لأن المنصور أبى كوع متزوج ربيته أخبرونا أن أحمد عثمان شقيق مطلقتي البقيع جاء يسأل عنكم وهو في بيت محمد فاقع فبتنا ومررتا عليه في الصباح أخبرنا أنه بعدما سافر وعبر البحر هو ورقلة سمع بالآ سنصل بربر مساء اليوم ورجع من هناك ورجع معه رفاقه وجدناه متوعكا نحى أخذناه معنا للدكان الذى أجرناه لتقيم فيه حتى فخلص الايجارات وندفع المشور ونستعد للسفر • جلس معنا قليلا وقال اشتروا لى ليموثا وسأرجع للمنزل • فى رجوعنا عمرا مررتا عليه فوجدناه أحسن حالا مكثنا معه مليا وذهبنا ففى

الصباح مررنا عليه وأخذناه للسوق فلم يستطع الجلوس معنا وكان في حديق عينيهِ حبوب صفار حمراء فرجع لمنزله ففى مساء هذا اليوم جاءني رجل من سكان رقاعة يسمى حاج صرار دعانا عشاء فأخبرناه به فقال ادعوه معكم فلما جئنا وقت الاصفرار وجدناه جالسا على بئر خارج المنزل فطلبناه للشى معنا للعشاء فاعتذر . جلستا معه قليلا فألح بأن نضى قضينا وبعد قليل جاءنا رسول من بيت محمد فاقع يائنا عنه فقنا وخفضنا أن يكون وقع في البئر فأترنا من قتشها فلم نجد قصصنا أثره هوجدناه في غرفة صغيرة عند باب الدار ميتا فانكب يوسف أحن على جنازته يبكي شيا به الذي لم يتجاوز الثلاثة والثلاثين سنة ولا عقب له . أرسلت بإبكر البشير وأحضر ثوب دبلان كغشاء منه ودفناه ببله ولم يضمف حزني عليه ما عمله معي بخصوص أخته ولا بتدبير طلاق حفصة معي وخطبتها للحسن الفضل لأنى وهبت حياتهم معي لله تعالى بحيث رأيت نفسى أنى لا أستطيع الانتقام منه بقدرها - رجوت قوله « فمن حقا وأصلح فأجره على الله »

أصبحتنا فارشين ولكن يوسف أحن رأى محمد فاقع مشغولا ببناء في بيته فحلف لا يتم المآثم ها فقتلنا الفراش الى بيت عبد الرحمن المربوع وبعد المآثم أعطينا رفاقه ما كنا أعطيناه المرحوم من كسوة لزوجته وأخوانه ولأخيه الحسن بموجب كشف وخطاب المراء . كان للسيد على محمود الضوى امتياز يسمح له في نصف العشر بربو فكتب بضاعتي باسمه وذلك بأن وضعت خيش على المكان الذى فيه عنوانى وهو ث ٢٢٥ وكتبت على الخيش الجديد عنوانه وهو ث ٨ فلما وصلنا بربر أدخل بضاعتي في دكانه وأخذ يماطلنى بقوله ليات أحمد أخوى والجمالة يطالبونى في الأجرة . وفي يوم ما سمعت أنه يريد تسفير كل ماى دكانه من البضاعة لأم درمان فأخذت مصحفا وجتته في منزله صباحا قبل أن يذهب للسوق فحلفت له على المصحف أنه إذا لم يمطنى بضاعتي في هذا اليوم أذهب للامير الزاكي عثمان وأطلمه على كل شى وأنا أنصاري لا يهنى الفقر لأنه اعتيادى عدى ولكن انت تصور ما يلحقك من المرة والمرة فأخذنى للسوق وسلمنى بضاعتي وعين معي من أخذ ثلاثة أرباع العشر .

خلصنا أطرافنا وسافرنا ووصلنا أم درمان فوجدنا زوجتي حفاصة بالأملا
 وولدت في يوم ٢٠ رمضان توأمين بنتا وولدا ، ولكنها تيمت في النفاس ولدت
 البنت يوم الخميس واستمرت ماسكة جبل الجنين الثاني حتى وضعت يوم
 الجمعة صباحا فأجيت دعوة أمي « الرزق كيما » (والولد تيمان) - ربنا
 خمسين في المائة عما كنا نسايق له - والولد تيمان - هاهما علي أني تزوجت
 حواء سنة ١٢٩٩ هـ والبقيع سنة ١٣٠٣ هـ وحفاصة في صفر سنة ١٣٠٧ هـ ولم
 ألد الا في سنة ١٣١٢ هـ من حفاصة بدعوة الوالدة الصالحة بعد ثلاثة عشر سنة
 من زواجي الأول . عملت في هذا النفاس أكثر من عشرة أضعاف ما صرفته في
 زواج أمها . مما أتذكر أن التمر كان رجل جبل موضوعا بصدليه فوق بعضهما
 وسط غرفة أمهما وكل من أراد شيئا منه أخذه من جهته حتى صارت بهما خروق
 كثيرة .

ولما وصلنا أم درمان وبنا ، اشترينا الصمغ وسفرناه لبربر وجاءنا التقيه
 الطيب الخليفة آخرنا كثيرا . في هذه البرهة صرت أشتري الصمغ وأيمه ومن
 ضمن المشتري منى بشير الأمين الذي كنت أنزل في بيته في المنة .

اشترى منى خمسة رحول كل عدلة مكتوب عليها وزنها بالأرطال دفع
 ثمن خمسة وثلاثين قطارا وكان الوزن اثنين وأربعين قطارا - سعى على أن
 أجمع كل الوزن وأنيبه بالباقي يكون معه أمانة حتى وصلت بربر وكان قد
 رحل صمغه فذكرت له زيادة الصمغ فأفكرها وادعى أنه قص أرطالا قليلة -
 فسكت لسببين أولهما أني أهملت والثاني لأن السبعة قنطير ثمنها تسعة
 وأربعون ريال لا أشاحن فيها صديقا أنزل بيته ولكنني صبار
 يشنع بربر ونسى أنه قال لي بأم درمان هذه العملة ستمائة وخمسون رطلا يسكن
 أن يعملها الجمل التلب وضحكنا . فلما كثر كلامه باني تبليت عليه جاءني
 محمود عيسى وقال لي اذا كنت لك عند بشير الأمين صمغ فلا تركه له لأنه
 فضحك في البلد فجمعت له مجلدا وكان أبو علام الذي تنزل بيته بربر كما
 سبق صديقا لمصطفى الأمين وكان نصير البشير على فلما اجتمع المجلس قال لي
 أبو علام يا بابكر (المال يجي بلا صليطة) فتحمست وقلت يا بشير أتذكر أن
 أحد العدل وزنها سبعمائة وخمسة أرطال قال : نعم وتذكر أن الثانية وزنها

ستمائة وخمسة رطلا قال : فم قلت : يمكن الجمل التلب يعملها قال : نعم قلت : اذا احفظوا لى واجماعه وزن هذين الصلتين ونضيف لهما وزنا أصغر الثمانية عدل الباقية فى الرسالة الموزونة باسمه فى كشف القبانى الرسمى اذا كانت خمسة وثلاثين قنطارا أو أقل أنا كذاب واذا زادت ماذا يكون . نهض محمود عيسى الذى كان مضطجعا حينما سألتنى أبو علام بحضور المجلس . هل أخبرت بشيرا بأن صمك زائد سبعة قناطير ؟ قلت : لم أخبره . قال : هل ألحقته خطابا بذلك فى مدة الشهرين قلت لا فقال جملته المتقدمة واصمحل لها محمود الذى نهض بعدما قال (هذا الكلام تمام) ومضى بنفسه فأحضر الوزن الذى كان تسعة وثلاثين قنطارا وثلاث قنطار فأطرق أبو علام وبدأت عليه انكابة وعرف بشير وكلم المجلس بالسبعة قناطير فقلت أنا تنازلت عنها لأجل خاطر أبى علام ابن عمى فقال يشع لأى سبب تركتها ؟ قلت : نظير الطعام الذى أكلته فى بيتكم بالتمة فضحك الجماعة وانصرفوا ضاحكين

وسافرتا لسواكن بالطريقة المعلومة وكان صفنا ساهرا قبلنا لحقناه فى الطريق وسبقته لسواكن بالعينة وقد صار معروفنا عند تجار سواكن ببياضه لتسبه الذى أخيرا صار كمادة للصمغ الى اليوم . رجنا لبربر وبضاعتى ستة عشر رجلا فاتورة وخرزا شمنا فى كيس . أخذت الخرز وقبل أن أخرج به طبنى محمد صالح أمين البضاعة فاضطرت أن أسلمه الى من أتأكد عدم أمانته ورجعت الى محمد ولد صالح فاستلم بضاعتى وأدخلها فى الحاصل ضمن البضائع لتلك النقمة حينما يعشراها ، فلما خلصت منه جريت مسرعا أبحت على صاحب الخرز الذى اتهمته بالسرقة وبالبحث وجدته فى مكان حال وقد فث الخرز وأخذ منه ستة جبال رأيته يمينى يدخلها فى كفة سرواله فخفت اذا أخذتها منه أو اتهمته انى رأيته يخبر محمد ود صالح الذى سيغنم الخرز كله فكلمت غيطى وصارت لهذه الحادثة قصة عجيبة لا داعى لذكرها . ولما جاء الليل جئت للخفير عبد النبى ومعى الحارث أبو فأعطيناه على كل رجل ريالاً قوشليا ففتح لنا الباب فأخرجت منه أربعة أرسل من البضاعة المثمنة حطتها ووزعتها على رفوف دكان عمى محمد الحسن أخى أبى علام وقلمت الدكان سريرا ورجعت للمنزل فى الصباح . جاء محمد ولد صالح وجعل يخرج البضاعة لكل مسا

بموجب الكشف الذي عنده فلما جاء اسمي قال اخرجوا له ستة عشر رجلا
 قلت بضاعتي اثنتا عشر رجلا نظر الكشف وقال ستة عشر رجلا قلت اثنا عشر
 فنظرتني شذرا فقلت له بثبات أفنك يا عمي أردت أن تكتب الاثنين كتبها ستة
 فاهتبرني وقال قبل ما يلدوك أنا كاتب . قلت لكن يا عمي معيد أنا سيد البضاعة
 أعترف بالنقصان وآت الأمين تشرف بالزيادة . اذا لوجد لي الأربعة رحول
 خذ عشرين وأعطني الباقي لما صدته هذه الحقيقة للمنطقية عض على أصبعه
 وقال لي : اصبر أنا أوريك وسكت فاهتممت جدا لقوله لأني مغتلس وإذا
 تربص يقبض على متلبسا بالجريمة فيصادر مالي فحكيت لبعض أصدقائي
 بأم درمان الذي أخبرني بأن قال لي طرقة محمد ولد صالح خنية فما عليك
 الا أن تأميه بكتف توصية من أحد السادة الميرغنية بأم درمان — وكانت
 السيدة قيسية بنت السيد الحسن تزورنا للرحم الذي بيننا من جهة والدتها
 التي والدها رباطي فلما وصلنا أم درمان زارتنا وطلبت مني عدة الثماني
 الموجودة عندي فقلت خذها لكن البراد طلبه مني على ود الشيخ القرشي
 وسأتيك بغير منه من سواكن في سفرتي هذه وسأفترى لي صبغا باسمك
 بشنه وما يتبعه فاكسي لي جوابا للشيخ محمد صالح يرير بالتوصية على قنات
 لعمر التتار الذي يأتي معها كلما جاءت « اكتب له كطلبه » فأمليته كما أحب
 وختمت السيدة بغانمها الذي ضلعه يكون بوسة ، في رأس الورقة فأخذته
 واشترت ركوة ومركوبا فاشترى وسافرت مع صغني بالركب فلما وصلناه قال
 محمد صالح لي : جئت قلت : نعم ولك مني أمانة وسلمته الركوة والمركوب .
 قال لي : ممن هما . قلت منهما جواب من صاحبها احضره لك غدا فجئت له
 بالجواب وتربصت له حتى وجدته منفردا فأعطيته إياه . ففك ظرفه وفتحه فلما
 رأى ختم السيدة قيسية قبله وبرك على ركبتيه وجرت دموعه وأصابه حال بين
 السرور والحشة فتركته وانصرفت جانبا فلما أفاق وقرأ الجواب مرات عديدة
 أفاق وصار يبحث عن فيروز له فقال هذا الجواب من السيدة قيسية نفسها !!
 فقلت : نعم بدليل جانيها ويمكنك ترد عليها بواسطة كاتب الجواب عمر
 التتاري تلميذا وخادمها الخاص . فقال لي أين كتبته لك قلت في بيتنا
 فانهش فقال : أتزوركم هي قلت : كثيرا للرحم الذي بيننا فقال لي : اذا دخلت
 مني في حصن حصين يا بابكر سلم لي عليها .

كان قبل قيامنا من أمهرمان رأيت عند يوسف أخى فروة مبدوب قال لى
أهداها لى الحسن الفضل قلت فى نفسى عنده غرض يريد نأخذ منه فيه فبجاءنى
يحملنى أمانة صنع فأخذه فنيحه له بسواكن ونحضر له به جهاز عرسه فقلت له
قد رأيت الفروة عند يوسف إذا كنت أهديتها له لهذا الغرض فأتى أخضيه لك
بنيرها فاستردها منه فقال لى لا والله أنا ويوسف أئداد فى المن ولعيسان فى
الصيا . وأقسم لى أنه أهداها لهذا الحب لا للغرض المزعوم وبعد أيام سفرنا
صمغه مع التسعة قناطير الطلح التى سفرتها باسم السيدة تقيمة ولما ضمن سفر
صمغه جاء ليوسف واستعار منه الفروة وسافر بها لدقلا — فلما وصلنا بير
لتينا بها أحمد صديق وقال لى الحسن الفضل حكى لأولاد عشان أنه غشاكما
بفروته التى أهداها ليوسف فلما سافر الصمغ فعلا استعارها منه على ألا يرجعها
وقال له غنوة وهى :

يا العلى جيرانه قاطع المرقه	ما شيبك ركوب الزرقا
نحسلا من قديم مى سرقة	قل لا بان لهيجسا طرقه

فمعناها أنت لا تستحق ركوب فروتى الزرقاء لأنك لا تزور جيرانك ولا
تحبهم أتم يا يوسف وأهلك . كلامكم مثل مثنى الجمل الأطرق أما أنا
فأركوب مثلها ثابت لى (نحلا) ورثته من آبائى — فلما سمعت هذه الغنوة
ركبى من الغضب ما غطى على وغلب على حلمى وعاملته من نوع عمله (فهذه
لحدى العادتين اللتين اتفقت فيهما) تركت صمغه بيرير مع التسعة قناطير
الطلح وكتبت له بدقلا مع أحمد صديق بأن صمغه غير خالص الثلث بأمهرمان
لذا ضبط مع تسعة قناطير لى غير خالصة الثلث وقد تركت الصمغين بيرير
فاعمل لصمغك ما تراه وهذا للمطومية وسافرت لسواكن فلما وصلنا لأمهرمان
جاءنى هو وفاطمة أخته ليستلم الأمانة فقلت له هل أحمد صديق لم يسلمك
خطابا منى بما حصل للصمغين ؟ وأنا بعت صمغى بمد رجوعى من سواكن بسعر
النظار حسن ربالات بعد خمس الثلث وصمغك محفوظ تحت اسمك فبهت وبمدمدة
قال لى أنا قلت أنك تهزل معنى خطابك مع أحمد صديق فأصرفه وهو محسور فكتبت
على أخته فاطمة فأخبرتها بما حصل منه وقلت لها الغنوة لأنى من تأثيرها على

حفظتها في مرة واحدة • فلما سمعتها غاطمة قالت : هو يستحق منك ما حصل له ولكنني أرجوك أن تمليني فكرة حرره يرصه لخطيرى فبعت لها بها •

الحادثة الثانية التي اتفقت فيها هي أن بشير الأمين بعد حادثة مجلسنا معه مباشرة باع صمغه بسواكن ببضاعة لكساد الصمغ وبمصطفى أخوه أكد عليه ألا يحضر بضاعة بل يحضر القسيمة قديمة لأنه من ضمن الداخلين على ما أعلن في مسألة تهريب سلاطين وتوقع ظهور الحادث فتضمن بضاعته • فلما باع بشير صمغه بالبضاعة شرع يوزعها على التجار النبوذانيين ليعطوه القسيمة قديمة فبين لي ببضاعة بخمسائة ريال وأنا عمدا قد اشتريت فلما جاء لي ليأخذ مني الخمسمائة ريال قلت له : نفدت هودى وأنت لم تذكرني فاحتار وصار يساومني في أن يتنازل في المائة خمس رiales فقلت له اني لم أقصد ربحا فابحث عن غيره فاضطر أن يرجعها للخولجة الذي اشتراها منه ببضاعة عشرين في المائة لا اضطراره للخروج مع الجلابة •

في مندوبية الكرية سنة ١٣٠٩ هـ اجتمعت بمعنى حمودي الفضل الحضري والد محمد حمودي الحضري الذي تميم أمين بيت المال بصرى بحدى فساعدته مساعدات قسيمة وكان معه ابنه ابراهيم حمودي الذي انقضت بيني وبينه صداقة متينة دامت الى أن توفي بطة البساتنة في سنة ١٩١٧ م وصلنا أم درمان وبينا ببضاعتنا • اشترت لزوجتي حجول فضة وزنها ستون ريالا من ابراهيم حمودي الذي أراد أن يكسرها ليجعلها ثمانين ريالا لزوجة وزيد عليها بعض الذهب . ففي بعض الأيام زارت زوجتي زوجة ابراهيم حمودي والدته بنت عامر أزرق التاجر الشهير وزوجة محمد الكارس فلما خرجن منها لم تتحرك لهن من عنقريبها فخرجت معهن وودعتهم ورجعت لزوجتي فاصحا وموبخا • قلت لها هذه الحجول التي أقلت رجليك من الحركة هي التي استقلتها زائرتك فزيدت لها واتى معها بنت عامر أزرق صاحب قبيص عامر المضروب به المثل والثالثة زوجة محمد الكارس الذي المرمى في بيتها بقلمه أكثر قيمة من المحفوظ عندنا فعلام تكبرين أنسيت جوع بلائا وسماك من صرصر للعرض راجله ونسيت دردم الودك حينما دخلت أم درمان ، فمن ذلك اليوم اتفقت وأخذت تعامل الناس • في هذه السنة حصلت هذه الحادثة المصيبة

(رجل لا أذكر اسمه صوتاً) سمسار لحتد في الكلام مع عمى مالك وكنت حاضراً فلما كان من سنى دافسته عن عمى مالك فاحتد بيننا الغضب فجاءني أحد معارف سرنى في أذنى أن أقول له هل أنا فلان حتى تغضب على هذا الغضب ؟ وما كنت أفهم معنى لهذه الجملة التى قلتها تلقينا قاستشأنا السمسار غضباً وبارحنا ، فسمع المهدي أحمد بما قلته وما حصل من الرجل فأطلق ذكاته بسرعة وجاءنى فحلف على طلاقاً أن أقوم معه لمنزلى لأمر مهم يفهمنى إياه بالطريق فركبت حمارى وذهبت معه فأخبرنى في الطريق معنى الجملة وهى أن الرجل السمسار كان صديقاً لما كتيبتنا عنه بملان صدقة رفعت عنهما العجاب في المنازل ، فخان السمسار فلاناً في زوجته فلما أحس فلان بذلك قال للسمسار لا تأت منزلى بعد ذلك فإن هسى لم ترحب لتقتى بك فقال السمسار : إن دخلك شك من لاحتى فانى مع خادمك فلاته فسأل فلان خادمتها فقالت لسيدها بعد أن عيسيت أنه مع زوجته فكفر في الانتقام من صديقه السمسار الخائن فما رضى أن يعتدى بمثل ما اعتدى عليه به عليه بل شرع يراد والدته السمسار الذى هو أصغر أولادها فأجابته واتصل بها ، فلما أحس السمسار بما حصل وبعد أن تأكد منه قال لأخيه الكبير أن أمك تزنى بفلان فأفكر عليه أخوه ذلك فقال له سأريك بينك قم الآن واذهب إليها فذهب الكبير فوجد أمه جالسة في حجر فلان وفلان راقده فتأذى والدته فخرجت له فقال لها ما هذا ؟ قالت له : زوجنى إياه ابن عمى فلان هذا - فذهب لخاله مغضباً وقال له كيف تزوج أمنا دون علمنا ونحن رجال فقال له حفظاً لكرامة الجميع : هى ابنة عمى وزوجتها فازداد الكبير غضباً وأخذ يوبخ خاله الذى لحتد وقال له : إن أمك زانية وأنا لم أزوجها فبهت وسكت ومضى لسوقه الذى لم ينتفع به بعدها ، فلما تأكد فلان من إشاعة الحادثة طلق زوجته الخائنة وقال لصديقه السمسار : أنا طلقت زوجتى فطلق أمك

وصلنا أنا والمهدي أحمد منزلنا ، فلم نستقر به حتى دق الباب دقة مزعجة فطن لها المهدي فخرجت وخرج معى وفتح الباب قبلى فإذا السمسار ومسكينة في يده قلت له : ادخل فتغضب الصعداء وجلس المهدي وجلس هو في ظل يتأوه والمهدي يبنى ويبنه فشرهت أعترت له وأغلظ له في الإيمان أنى لا أعرف معنى

ما قتله له ولكن فلانا ابن فلان مرني بها في أدنى قفلتها تلقينا ونحن وأتم
 بيننا مصاهرة بآبن خالتي المتزوج فلانه شقيقتكم التي وجدتها أنا بأسوان
 بعد موت زوجها وحفظتها مع اخواتي حتى زوجها فتتص أحمر من الأولى
 وبارحنا فلقى الذي أسرنى فرماه في الأرض في الشارع وأخذ يبحث عن سكنه
 ولكن المارة خلصوه منه . وأوردنا هذه الحكاية ليمظ بها الزناة ان لم يتعلموا
 يقول الشاعر :

عفوا تغدو نساؤكم عن محرم
 وتجنبوا ما لا يصلح لمسلم
 الى أن قال

لو كنت حرا من سلالة طاهر
 ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم
 ان الزنا دين اذا استعرضته
 فوفاؤه من أهل بيتك فاعلم

في هذه السنة ونحن بالدويم ، أرسل بيت المال مندوبين يشترون
 الصمغ ، فبدأوا يمنعون التجار حتى يشتروا كميتهم أولا فخشكواهم لمسى
 العوض المرضى فأمرهم أن ينزلوا أنفسهم منزلتنا وكان في الصمغ قلة في
 الوارد فاجتمعنا وقررنا تقسيم ما يشتري بعد أخذ ورد على رؤوس الزرائب
 حتى أن صاحب رأس المال القليل متى خلعت قوده يسافر في السنة مرة وتغفل
 زريته بحيث لا يسمح له أن يبيع في أم درمان ويرجع للدويم وبذلك تمكنا
 من كفاية كل أحد مرة في السنة وكنت انتدبت من الجمعية وعند ارادة معرفة
 عدد الزرائب كتبت اسم عمى مالك الذي كتبت له خطابا فحضر لنا بأول فرصة
 وسكن زريته التي حبزتها له . وفي سنة ١٣١٢ هـ ولد له ابنه مجذوب
 بكر دفان . فحضر رأس مائة يدعى طلق النار ولعله اسم سيده (محمد على طلق
 النار البطلي) معه جملة من الجهادية يأخذ من كل زريبة رحلين لحاوي لا أدرى
 ماذا يريد هما ولقد مروا على زريبة بيت المال وكان بها أبو الحسن أبو المعالي
 فتأزعج بأنه تبع بيت المال فلم يالوا به وكسروا ساعته وأخذوا الرحلين منه
 فلقيتهم في زريبة عمى مالك الذي خفت أن ينازعهم فيضربوه فقدمت لهم
 الرحلين وسقمتهم لزريتي فوضعت لهم الرحلين خارج الزريبة ويجوارى أبو
 لكينك . فلما وصلوه فازعجهم فضربوه وشرطوا جيبه وأخذوا منه أربعة أرسل
 وتركوا زريبة حاج الأمين عبد القادر ولم أدر السبب ولا هو يطمه ولكن الله

سلبه منهم • وبعد ما تموصنا وشعنا الصمغ بالمراكب سافرنا أنا وحاج الأمين •

زواجي من أم أحمد :

فلما قرنا من الخرطوم قال لي : هل عندك زوجة بنت ريف ؟ قلت : لا • قال : اذا ما تزوجت في حياتك ؟ قلت : كيف ! قال : الآن هل أحد من أهلي أو أهلك علم بمجيئنا ؟ قلت : اللهم لا • قال : الآن قدخل بيتنا فنجد الغرفة الخاصة بي معلقة بمخرة وفرشها نظيف منتظم - وبوصونا تأتي النباشة المسكرة الباردة القلجينة ، فالتصيرية أو السكسكانية ولما وصلنا وجدت كل ما قاله حقيقة ككوله • قلت له في الحال أخبر زوجتك تبحث لي عن ابنة ريف مثلاً - ما زالت تنازعني فكرة تزويجي بمصرية مولدة منذ كلام حاج الأمين عبد القادر وفي يوم زرت المهدي أحمد بمنزله بيت المصرية وطلبت منه يكلف زوجته تبحث لي عن زوجة مناسبة فجاءني منها في الحال وأخبرني أنها قالت : خير زوجة له تيمسة بنت صالحة فاهن نساء مصونات وصالحة طاهية في الطعام وخيالة وتطريز اللباس فأخبرني فقلت فلتخطبها لي وبعد أيام أخبرني المهدي أحمد بالموافقة فأعطيت أربعين ريالاً قوشلياً صداقاً وجهازاً رغم علاء الملابس فجاءني وقال لي : استقلوا النقاد فقلت له : لتقل زوجتك لأما صالحة عني هذا يكفي مع جلي بطالة ابنتها فإذا وجدت ما وافقة بعد الدخول عليها فاطلب ما شئت وإن لم توافق فهذا يكفي خسارة فقبلت رغم معارضة أهلها وقالت لا أكفريخت ابنتي وهذا رأي رجل عاقل يرجي منه الخير وأنا ضامنة ابنتي توافقه • هذا في شهر ربيع الأول فلم أرها ولا أحداً من أهلها ولا منزلهم ثم عقلت عليها في ٢٧ رجب بمنزل على خاطر ولم أرها ولا بيتها حتى يوم دخولي بها في غرة رمضان ١٣١٢ هـ لأنني كنت حنبلياً متطرفاً • وبعد أن انصرف المدعوون شاكرين بقي معي إبراهيم أفندي خاطر الذي عرفته في تلك الليلة أنه نسيبي وأنه الرجل الذي اشتري أرياح وملابس الجھاز حوذ أن يتعرف لي ومعه عثمان حمدتوبك يؤانسني إلى أن قرب الليل أن يتصف وكلمنا قالا لي قم فادخل أقول لهم حتى تخف النساء وبعد أن حصل ذلك دخلت وعلمت أن من المدعوات بنت أبو السعود باشا التي تخدم ذكرها - فقابلتني وشكرتني بعد أن حككت حكايتهما - فلما خلوت بالنساء وأنا جالس على السرير بعد أن

حليت ركعتين أمامهن وجلسن أسبح فأخفت امرأة خربة أظن اسمها حفصة
 تمنى فاشرت أن أصمتي فقالت أخرى : قمن قمن وهو يتحصن منكن ققلت :
 لا . بل أحصنكن ثم أخذت الهاتمة علامة ختام المد ثم قلت : السلام عليكم
 فخرجت لحداهن والعروس بيدها وبدأت الضريبة تمنى ، قلت : ماذا تردن ؟
 قلن : فرقص قلت : لا يمكن ، انظرن كم شارعاً بين منزلي وبين هذه المنازل وكم
 جنساً يسكنونها . كل هذه الشوارع للرجال وإن أولاد خاطر من أحسن
 وأعقل الناس كما علمت فلا يمكنني أن أمتح نظري بيناتهم ونساقهم عريانات
 أمامي . قالت لحداهن : هم أولاد خاطر لا ينظرون الرقص . قلت : هذا
 اعتقادي فيهم فإذا كانوا سنهاء لهذا الحد فانا آخذ زوجتي منهم وأرحل بها في
 صباح هذا الليل فقالت لحداهن وأظنها بنت يوسف بك كوردني : أبدا حاشاهم
 والله هم كظنك بهم . قلت : لذا لا أكون أنا السقيبه دونهم . قلن لي : طيب
 ترقص العروس . قلت : هي تعرف الرقص ؟ ماكنت أظن أن بنات الريف يرقصن
 فترقص لأرى فلما سمعن على الرقص قلت لهن : ادخلن في المخزن وارقصن
 وأنا أرقد في مكاني هذا . قالت لحداهن : طيب اعطنا حق البنات . قلت : كم
 ريالاً ؟ قالت : عشرون ريالاً . قلت للولد الذي كان معي بالذكان وكان بيده
 كيس به النقود : أعطها يا عبد القادر حمودي عشرين ريالاً فاستلمتها وقالت
 أخرى : وحق البلالة المشاطة قلت : كم ريالاً ؟ قالت : عشرة ريالاً فاستلمتها
 فقالت لحداهن : حق مبيع القصة قلت : كم ريالاً ؟ قالت : كما تشاء قلت :
 المادة قالت : وقية أو نصف وقية ذهب . قلت : أعمل لها حجول وأساور
 وأكمام وثوب جزائري قيمتها أكثر من ثلاثة أواق ذهب قالت : متى تأتي بها ؟
 قلت : صباح غد (وكانت هذه الأشياء موجودة بدولايي عملتها لأخطب بنت
 محمد الحسين الطبيب يرير منعني والدي من زولجها) وفي الصباح أرسلت
 عبد القادر حمودي جاء بها . وطلبت منهن أني صاحب أشغال فليعفني من
 مكث سبعة أيام بالمنزل فسامعني بعدما أخذت رأي حماي صالحة الظريفة .
 فلما رأيت زوجتي وما بها غير « فرج الله » ولحظة في عنقها فويت أن أحليها
 بكثير من الحلوى (ولكن ضياع مالنا حال دون ذلك) سررت لعدم استعمالهن
 عارية الحلوى الكاذبة واعتبرت حماي عاقلة . ولا أنسى ما وجدته يبيتني من

اللائث وما يامرأى من اللباس يضاعف مادقته مهرا وجهازا وفاهيك بعشاء
المدعويين مما جعلنى أجود لهم بما يطلبونه وأظهر بينهم بمظهر الفنى . فى أواخر
رمضان جاءنى على خاطر زائرا وقال لى : هذه الخادمة التى تقدمكم بالأكجرة
وإذ أولاد خاطر اكتسبوا لزولجك وأن زوجتك كانت تطحن بيدها فإذا كنت
راضيا تستمر فى طحينها من أول شوال أو ترفع يدها لعمل ماشئت . قلت
كنت أظن أنها خادمتهم الملك ضحك وقال لى : ألم تر الذى الذى بداخل
الحوش لديخ الجلود ؟ قلت : لم أر دليخ الحوش . وتزلت سوق الرقيق بعد
أن انصرف هو فى الحال واشترت فرخة كافت أجمل من فى السوق بستين ريالا
وأحضرتها لها .

فى أول محرم سنة ١٣١٣ هـ سافرتا لسواكن لكننا تأخرنا شهورا بسبب
أن الحكومة أخفت تسخر الجمال لأحمالها اللازمة لها وصار الصمغ يرمى
« بديس ابل » (اسم بشرى كوكرب) فتوجهت لسواكن . أحضرت جمالة
البجا وأخفت من خليفه لىنى نحو ألف ريال ثم رجعت حيث أجرت جمال التوراب
فأدخلنا صمغنا الذى صار فى بوار . حجزنا أكثر من شهر إقامة وكان الحر
شديدا نستحم مرتين أو ثلاثة مرات فى اليوم ثم بعنا واشترينا البضاعة ، ولما
خرجنا عند البوابة أعطيت محمد أفندى أمين ترمى وعد جمالى اثنين
وعشرين وأمر الترمج وجعله آخر التسريح وكانت التأشيرة تظهر
بخلاف الأصول فلما أكمل ما فعله عاد اليه ثافية فلم يجد به تأشيرة فظن جماله
متأخرة فقال لى : أين جمالك قلت : خرجت ، قال : أرجعها فقلت : حضرتك
فترتها ؟ فقال : كذاب « أنا أورك » وأمتلا غيظا . ولما كنت متأكدا من أنه
نظرها ما اهتمت بكلامه فأمر عسكريا معه يحضر جمالى ويرجعها وفعلنا رجعت
وحفظت البضاعة بالمركز الى الصباح فشكوته الى لويدي باشا المحافظ فطلبه
فاتحج أنه لم ير التسريح الأخير واتهمنى بأنه يلزم أن يكون عندى متنوعات
ولذلك هربت جمالى فقلت للمحافظ : بإسادة الباشا هل يمكن الإنسان يهرب
اثنين وعشرين جملا نهارا وحضرة الأمور لا يراها ؟ إذا حضرته يكون مهملا
وقلت لسعادته رأيتة يعينى حسب الجمال وأخذ قلعه من جيبيته وأمر على
ترمى ولا أدوى أين وضع تأشيرته . فتناول خاله محمد أحمد بك قنندان

البوليس الذى حضر صدقة لشغل رسمى وكان معى محمود بك اوتيقة نزلنا
الذى ترجى أمين أفندى رجاء حاراً مكرراً يميننى فرفض . فلما استلم خاله
التسريع تصفحه فوجد التأشير على ظهره فأراه التأشير وقال للمحافظ : الأمور
غلطان والتاجر محق فعكس الباشا بالى أنتظر جلالة أخرى ومصاريفى ومصاريف
الجمالة على حساب الأمور أو يمين منى من مشايخ العرب من يضمن سلاحتنا
وبضاعتنا حتى نلقى الجلالة على حمتابه فاختار الثانية وسفرنا . ولحقنا الجلالة
فى ديس ابل بعد ثلاثة أيام . فلما رجعنا المرة الثانية من سنة ١٣١٣ هـ وهى المرة
الأخيرة من سفرنا لسواكن أحضرت له ثمان رشوات تمام يضاء من أحسن نوع
تفاديا من حقه فشكرنى وصحبنى . بعنا صمغنا وبضاعتنا ولما وصلنا بربر
جاء لى خبر وفاة والدتى التى أخبرتنى السهوه أختى وكل من حضر موتها أنها
كانت كلما أفأقت من مسكرة من مسكرات الموت قالت : أنا عافية منك يا بابكر
محللة لك حمل بطنى ولبن ضرعى وحمل حكرى عفوا يخطك الجنة ويستحكى فى
الديا فتقول لها السهوه : وسعيد ؟ فتقول عافية منك يا بابكر وتكرر ما قالت
ثم تقول عافية منكم يا أولادى أنا ذكورا ثم أفأقت وقام سعيد من عند
رأسها وخرج . فقالت لها السهوه : أما تستحى من سعيد وتذكرته مع بابكر
قالت لها الوالدة : لا لا بابكر رفيق بلا لا لا أقرن معه أحدا فى عفوى وكررت
المبارة حتى تشهدت أخيراً وفارقت الدنيا . فلما بلغتني وفاتها حزنت جدا
وقمت توالى لأم درمان بالبر بالعصير فلما وصلت وعلمت ما قالت زال عنى الحزن
وجعلت فرأى عليها مندم سرور لا مأم حزو ، رحبها الله رحمة واسعة فقد
فقدنا نفقدها أعطف قلب وأخلص صديق وأصلح دعوة والعهد لله . لما وصلت
البضاعة أعطيت سعيدا أخى ستين ريالاً قوشليا ليحضر والذى وزوجته من
كر كرج فأتى بهما ولم أسافر بعدها لسواكن وصرت والد لوالدى أوفى النفقة
عليه الى أن توفى سنة ١٣٣٧ هـ أبى بعد أن صرت أيام خمسا وعشرين مسنة
والحمد لله وسبأنى حناله على وشقيقته على مالى فى حالتى الرخاء والشدة فى
أوائه ومكانه .

في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٥ وضعت لي ابنة أسميتها السهوه ولا يخفاك يا قارىء اني معمر في المال مشغل بالعلم فجمعت عقيقتها دون الوسط بقليل ولما كملت عشرة سنوات لغتها عذب يرغاه فلما أممتها كان بمنزلة الدكتور يوسف مبارك أشار لنا أن نسقيها كونياكا - فلما علمت ذلك جزعت جدا وقالت يا أمي أقسم عليك بالله لا تسقني خمرًا التي به الله فرغضت سقيها اياها فأصبحت متوفاة فعلا وكنت عازما السفر للدويم كما دتي فدفنتها وسافرت من المقابر دون أن أرجع الى المنزل للمعزى كالعادة لأنى رأيت من تمام الاحتساب لمصاها عدم ايرلزي علامة من علامات المآثم *

تسوقنا الصمغ ووضعناه على البحر للسفر ولكن حصل أن طرق سمع الخليفة أن التجار يدخلون ققرة سواكن وكان اعتقاده أن تجار المهديّة يتبادلون تجار سواكن بككرب بديم عثمان فقه يتبادلون الأخذ والعطاء حتى كشفه الحقيقة الحاج محمد ابراهيم زروق - رئيس الأمناء في مجلس حافل فمنع الاتجار بين البلدين *

في عشرين رجب سنة ١٣١٤ وضحوا لي ابنتي آمنه وكنت غنيا كثير الارباح كما ترى فيما يأتي فبالت في الصرف على عقيقتها ، فما أذكر أن السكر كان صندوقا أعنى خمسين رأسا فلما اجتمع أصداقائي الذين دعوتهم وكان من ضمنهم الكهدى أحمد مساعد قال لي : قد بالت في الصرف فقلت له بيت شعر ارتجالا :

عققت على بنتي وكأنت وليمتي على أمها ما لم تكن قيمة السكر
ما قولك يا سيدى • فضحك الجماعة •

حصل بيني وبين زوجتي حفصة ما يحصل بين الزوجين لأنها أظهرت الفحفة والافتخار • ففي أثناء الحادثة قلت لها : لمن أشكوك ؟ فقامت وذهبت لتقربها محمد مكى الذى جمع معه أولاد عمه ثلاثة وأتوني الأربعة في البيت وجاءت معهم ولكنها دخلت بيتها فاستقبلتهم بالديوان ولم أسألهم عما جاء بهم أمام أبناء عمى مخافة أن يحصل لفظ يؤدى الى شحناء فلما شربوا الشاي وانصرف أقاربى قلت لهم : جاءكم حفصة ؟ قال محمد مكى وابراهيم البشير بتغيط : أيوه لأنك جهلتنا قلت : أطلبوها لتحضر كلامنا . فلما جاءت قلت لهم :

ما الذى قالته لكم ؟ فقال كبيرهم : قلت لها ما عندك وليان (أولياء) . قلت هل قالت شيئا نسبته لى غير هذا ؟ قال : لا ، قلت : أنا معكم منفرد فليقم أحدكم يضربنى حتى تصبره هى مرضاة لها . فقال : لا . ولكن نريد أن تمبل لها وقتى ذهب . قلت : وإذا ثبت لكم أنها لا أولياء لها تمنونى من الأوقيتين فسكتوا ولكنهم اشتد غيظهم قلت لا تسكتوا ، أنت يا محمد مكى أكبرهم وتذكر كل شئ . وأما شاهدة على ما أقوله لكم هل علمت أنى حينما جلسنا للعقد عليها بأصوان وقال المأذون : خصبة بنت من ؟ لم يعرف من الحاضرين اسم والدها أحد حتى قلت أنا : بنت الشيخ وأقصد الشيخ نوريا بمنى الرجل الشائب فصادف اسم أبيها الشيخ ولد سنانة وما كنت أعرفه . فأنا هل علمت أنها ووالدتها مكتتا بالدبة خمسة عشر يوما وهى مطلقة منى والمسافة بين الدبة وقر أم كنى بلدكم ضحوه فلم يزرها أحد من أهلهم مع أن الشيخ سنانة له زوجة وبنت متزوجة وكل أهله موجودون . ثالثا جئت هاربا ووجدتهما بالدبة فراجعتما لأحلل حملها أثناء الطريق حتى أوصلتها لكم بأم درمان وأتمم اللى تفزعون معها الآن كلكم موجودون هل زارها أحد أو قدم لها قرشا أو كيلة غلال خلاف حرم بنت النور مع أنها فائزة بينكم . رابعا أنا سافرت للجزيرة كاتبا لمختار ومعى والذتى واخواتى وأتمم تملكون أنها (أى حمصة وأمها) أخرجتا من البيت لتسكن فيه العيبة وحرم بنت طوب وقد بنت مريم بيتها الذى كبيت الحمام محل ساعدها أحدكم حتى أعطاهما عى محمد على حمد السيد أخشابا لسقفه وحتى كساها المنصور أبو كوع ابن عمتى فالآن لما صارت غنية فى العلى والعيشة عرفتموها وصرتهم قومون أمامها وتتنصرون لها منى . أتمم الرجل الذى يحفظ وليتكم ويسترها تكافئوه بمثل هذا أما تعلمون أن أكمل امرأة بها عيان : عيب يعلمه الله والزوج وعيب يعلمه معها الناس . قوموا اضربونى أو اضربوا أنفسكم فإذ أحدنا يستحق الضرب فأتحب محمد ييكى بكاه عاليا وانصرفوا خجلين . فلما سمع الشيخ الجليل محمد البدوى بكلامى لهم طلبهم وزجرهم وقال لهم : فضحتونى بما كان مجسولا عندنا وعد غيرنا وزارنا بالمنزل واعتذر لى مما فعلوا وزجرها هى وأقسم اذا بعد هذا يحدث مثله ليخلق شعرها .

سرقاتي من الرسوم وسيبها:

في سنة ١٣١٠ كما تقدم أول مسامحتي من أبي الفتح موسى دقا في أخذ عشوري لما رجعت لتركيا لمي مالك مباشرة في آخر السنة ورجعت في أوائل سنة ١٣١١ جعلت في صندوق السكر علفه تأخذ رأسا فزاد الرجل عشرين رأسا بشن سواكن . وصلت أم درمان لا أجرة ولا عشور وكانت رحولي ستة رحول مكر ثم اشترت قدرين ربة بيضاء زفة القدر مائة وخمسة أرتال جعلت في مضيق الأسفل صفيحة وملأت المضيقي بمجموع وقفلته وسددهه بالطين من البحر بسواكن . فمشر في ككرب مجموعا لكن لما وصلت بربر ظهرت الربة البيضاء في الطين بافتتاح القفل الأدني واختلاط المجموع فدفق معي محمد ولد صالح حتى كعت الطين وأخرج الصفيحة السفلى وعشرها بيضاء وقيمتها أربعة أضعاف المجموع . لما أردنا السفر لأم درمان جعلت كل قدر في عدلة تمارية خيشتها من الداخل بخيشة تغينة وأتمت العدلة تمرا ولما وصلنا أم درمان أجرت جملا حمل الرجل وربطت في كل عدل قرية بها ماء حتى اذا سمع صوت الربة من اهتزاز مشى الجمل يرى الناظر الماء في القرب فلا يشك في أنه صوت الماء حتى وصلنا الدكان نزلنا كأنه تمر . والسكر نجا كله من العشر . أما القاتورة فكان الصادق عثمان مسموحا له بترك نصف عشور . من عثمان شيخ الدين فكنت بضاعتي باسمه ونجا ربع عشرها فربعت في هذه السفرة مبعائة ريالاً وفارقت عمي مالك .

لجتمت يونسف أخى ومافرا بمجيدى صرفناء واشترت قدرين محلية أيضا وفي هذه المرة جعلت له أنوية لعت لعاطا محكما بقعر القدر حتى خرجت في مضيق قطرها ثمانية سنتيمترات وعند المضيقي ثلاثة سنتيمترات ليدخل العصا وتركها بلا طين وجعلت لها قطين أحدهما في أسفل المضيقي والآخر في أعلى المضيقي حيث يتدبى البزبور . فلما وصلنا بربر جاءني محمد ولد صالح بمسما وخرق البزبور وأدخل فيه سلكة رقيقة لآخر قطر القدر وسحبها وشمها عافتنع بأنه مجموع أما القاتورة فجعلتها من الحرائر والجوخ وأدخلتها في صندوق غطيتها بطبقة من المنبل ففتحوها وعشروها سنبلًا والسنبل قنطاره بسبعين قرشا وعملت في أم درمان عملنا الأول . بنا ورجعنا

بالصنع الذى ربحنا فيه ربعا كثيرا وعملية السرقة فى هذه المرة اشترتنا زرقا كثيرا لآله يباع فى أم درمان مختوما بالصلة التى تكون دائرتها بمساحة دائرة ختم الحكومة التى تمنع به البضائع غير الزرق مكتوب فيه بخط كبير يظهر (بيت المال) فلما جاوزنا الباك قلنا للفصل عبد السلام الجمال الذى يتيه فى المكايلا قبل يبريخذ الأريمة رحول خبيها فى بيتك قفارقا بها وأدخلها فى مخزن يتيه ووضع عليها قش لوييا وباقي البضاعة قيته رحلين من المتدور كالمابق محط وريعة يابسة محطانان بفرونجان فلما رآه عمى محمد ولد صالح قال لى ماهر وذلك بعد جواب السيدة نقيسة كما تقدم بعد يومين طلبنى عمى الريح حامد أمين بيت المال وقال لى الأريمة رحول الزرق التى وضعها الفصل عبد السلام فى مخزنه ووضع عليها قش اللوييا الأحسن تقدمها للمشور والا فتمنها • قلت يا عمى الريح محبرك هذا لماذا لم يضع عليها خفيرا يحرسها لكم ؟ انى مسامحكم غنموها ان صح ذلك وكان يوسف أخى بجانبى فقلت نه فى أثناء كلامى : بنيت فرحات (وهو جمال تامنه) للسفلوى الى قتيه لمحمد مصطفى بالفاضلاب • فقام من وقته لبخيت وحملوا الرحولة للسفلوى الذى عبر بها النيل بالدخلة (أتبرد الحالية) على طوف دوم لمحمد بالفاضلاب الذى وضع لها مرقا على قم حفره وعلقها فيها خوفا من الأرضة • وبعد يومين طلبنى عمى الريح وقال لى الرحول عبرت النيل بالدخلة ووصلت الفاضلاب عقلت بجبل فى حفرة فى عمود خوف الأرضة وأنا لا أعلم ما قصه لى قلت غنموها باعم الريح • قال أفضل ترجعها • قلت يا عمى الريح لا تكلمنى ثانى مرة فى هذه الرحول غنمها غنمها وكررت ليوسف بنيت فرحات يضعها عند شيخى النقيبه محمد حامد بالتمة فقام من حينه لبخيت الذى أوصلها التمة فطلبنى عمى الريح وقال لى ان الرحول وصلت التمة وسنكتب لأمين بيت مال أم درمان بها قلت له هى خرجت من دائرة اختصاصكم • قال لكتب فيها للنور الجريفواى أمين بيت مال أم درمان • فقلت أفعل ما شئت ومشيت • فلما وصلنا أم درمان وبعد أن أخذوا عشر ما قلعتاه من البضاعة كان يمينتى هذه المرة من الخزر والجلاد ما قيمته فوق الألف ريال دخلت بها وكالة المشور وأريت الأمناء مختار محمد وحسن حدرى ثيابا وفركا لا قيمة لها وأخبرتهم أنها كسوة

للعائلات فسلموني اياها وخصل العتالة البضاعة التي آخذوا عشرينها ولما وصلت باب الوكالة لقيني عمي يوسف سليمان (وهو أكبر العمال المنوط بهم ثلث الصنغ وعشر البضائع ولا يمكن أن يقبل رضىة) قال لى ما فى هذه العمية ؟ قلت له ورميت له المفاتيح بعدم مبالاة لما بها وقلت : البضاعة قلمت ففتشها وأرسلها لى فقال : خذها والعق بضاعتك • ولو أنى تجلبت فى الجواب أو جمد دى من الخوف أو الكموف لاستلمها وفتشها •

فى يوم ما جاءنى صديقى الصميم المرحوم ابراهيم حدودى الفضل الحضرى وعرفنى أنه عمى يوسف سليمان وضع على منزله حرمسا بتهمة أنه عنده ختم مزور يدعى البضاعة كختم بيت المال وأخذ على ذلك نصف العشر ممن يختم لهم بضاعتهم • واعترف لى انه يعمل ذلك فعلا • فاذا ضبط هذا الختم لا شك فى ترحيله للرجاف وموته هناك أو تقطع يده ورجله وطلب منى مساعدته بما ينقذه من الورطة • فبعد رواية احدثت لأن أذهب لعمى يوسف سليمان وأخبرته أنى كنت ذاهبا لزيارة الشيخ عبد الله الفقيه الأمين أم حنين ، وبرجوعى لقيني ابراهيم حدودى محملا عائلته ووالدته ذاهبا الى المتفقوعرضى ألك السبب فى رحولته لقصدك له بناء على وشاية أعدائه فأزلته بالصبيحة لحيينا أقابلك لأنى ما رضيت لك هذه السمعة • • الخ •

والسبب لسرقتنا بضاعتنا بهذه المظاهرة هو كثرة الرسوم الموضوعة من الحكومة على البضائع بحيث لو يدفعها التاجر تماما لم يبق له من رأس المال الا سبعة أجزاء من ستين جزءا • وهاك حسابا لتتظر ذلك :

ندفع على الصنغ من الدورى لأم درماذ الثلث وفى بربر السنخ وفى ككريب الجمل ومتوسطه أربعة قناطير خمسة ريالات قشلى يعنى جنيه وقيمة متوسط الصنغ خمسة عشر ريالا • إذن تكون رسومه واحد على الاثنى عشر وعند الرجوع يؤخذ فى ككريب الجمل عشر وفى بربر عشر وفى أم درمان عشر فيكون

$$١ - \frac{1}{2} = \frac{1}{2} \text{ و } \frac{1}{2} - \frac{1}{2} = \frac{1}{2} \text{ و } \frac{1}{2} - \frac{1}{2} = \frac{1}{2} \text{ و } \frac{1}{2} - \frac{1}{2} = \frac{1}{2}$$

$$\frac{1}{2} - \frac{1}{2} = \frac{1}{2} \text{ و } \frac{1}{2} - \frac{1}{2} = \frac{1}{2} \text{ و } \frac{1}{2} - \frac{1}{2} = \frac{1}{2}$$

هدا ما يبقى من رأسمال التاجر وهذا بخلاف العشرين قرشا التي تأخذها حكومة سواكن على الجمل دلخلا وخارجا • فبافه عليك يا قارىء ما هى التجارة التي تربح ألف فى المائة ؟ ومن وراء هذه الرسوم مصاريف التاجر

ذهابا وإيابا له • ومصاريف أولاده ورأيه • أتتكر بعد هذا طيننا السرقة في رسوم مهمنا بالغنا في اغنائها وتمينا وتفننا في أساليبنا ؟ اللهم لا لوم علينا •

أنشاء الله أنتم الغابة وهم الخطابة :

تركت السفر لسواكن وأقمت في سوق أم درمان اشتري البضائع من يجلوبها وأربح فيها في شغلي هذا • فأتني ان ذكرت لك في بعض أساتري خبأت بضاعتي في مركب تحت بضائع الرباطاب — كالزحف والتمر فلما وصلنا أم درمان جاءني مختار محمد سليمان مفتش البضائع الذي يشهرها وهو كان معنا بغلوة القرآن برفاعة وهو عرفني وأنا لم أعرفه وطننته تلجرا يدي شيطة فسألته عن أثمان البضائع وأطلعتني على كل بضاعتي بأنواعها واعدادها مخبأة وظاهرة فلما أتمت كلامي تأكد اني لم أعرفه فقال لي انت يا بابكر ما عرفتي وكان ذلك في سفرني بعد انفصالي من عمي مالك في سنة ١٣١٦ وقال لي أنا مختار ، فسقط في يدي فلما رأيته اربكت هدأني بقوله : أخرج ما كان ظاهرا في البضاعة والمخبا اتركه في مكانه حتى يأتي عمي العوض فاذا قال خذوا العشر فقط أخرج كل البضاعة للعشر فاذا قال خذوا نصفها أو ثلثها بعد العشر كسلفية على بيت المال يكفي أن يأخذوا منك نصف أو ثلث ما أخرجته فقط • وفي أثناء كلامنا جاء عمنا العوض ويوسف سليمان وأمرأه أن يأخذ العشر ونصف البضاعة سلفة وقد الأمر وترك المخبأة • فهذه أول خلفة ، وبدا انعمت بيننا صداقة متينة وتبادل نافع واليكم قصته كاملة :

حيما أردت أسافر أوصاني لأحضر له معي سبعة يمر وعقد سويت فأحضرتهما له وحلفت من ثمنهما الذي لا يتجاوز السبعين ريالا قوشليا يعني ١٤ جنينا • فصار يجاملني في العصور وقبل شفاعتي لغيري ثم جعلت له أمانة تجارية تزاد ربحا وأقرا ، ثم تزوج ووضعت له بيتا اشتريت لها فرخة تحملها واعترف ان ماريحته منه ضعف ما أعطيته ونحن علي صفاء حتى جاء محمد منصور يعمل خطابا من أبي علام لأساعده في العصور فلما أخبرته مختارا وكنت موجودا معه ، فبدلا أن يستمره أو يتسامح له عن بعض العشر ضربه بكفه على خده بعد أن أخذ منه العشر كله فأتتكرت هذا الانقلاب الفجائي وقمت ركبت حماري وذهبت للسوق فلما كان وقت العصر جئت بمنزله فرحب بي كماداته

فطلبت في ظوه فخرج معي فقلت له يا مختار عرف سكان أم درمان التجار اننا
 صديقان وبما اننا معروفان ولا يجوز أن نتاجر مهاجرة النساء أو العامة جثتك
 لأنصح لك اني لست صديقك المخلص كما كنت فلا تعتمد على صداقتي
 والمعاملة للماليسة بيني وبينك (أعني أمانتك عندي) محفوظة السر مأمونة
 النقصان . فالذي أريده أنك اذا سبقتني في مجلس جثته بعدك أو ضمنا مجلس
 تحافظ على ألا يفهم أحد بيننا جفوة ولك على اني لا أسمح لك به مني ،
 فأضطرب جدا وبدأ يعتز ولكنني بارحته فجاءني في السوق وجلس معي
 فبدأت أريه بضاعتي التي بدكاني كلها مشورة ومختومة ، فأمسك بيده
 زجاجة فيها نحو رطلين محلية وقال لي هذه مشورة يرحم ، فقلت لا وأمسكتها
 منه وصوبت فمها للأرض . فلما قبض على يدي حلت عليه بالطلاق ليطلقني
 حتى صبيبها كلها في الأرض فنهض قائما واهطع عن دكاني ولكنه يزورني
 ييتي رغم قطعي زيارته الا في مناسبات قاضية بالزيارة .

دخلت سنة ١٣١٤ وصحنا موجود كله ومعنا لحاوي ورحول نظرون
 وجوالات ملأى يرش النعام وأنا بدكاني ، ففي يوم بعد سقوط دقلا بيد
 الحكومة مر على الشارع على حمد صاحب العمارة التي يمتها بيلان كما
 تقدم ومعها ثلاثة رجال فقلت له وعاقته وصافحت من معه فأجلستهم وطلبت
 لهم قهوة فأخذ على حمد يصوب ويمن في بضاعة الدكان ثم قال لي لمن هذا
 الدكان ؟ قلت لي . فقال هذا كله ملكك ا فقلت نعم فقال أعوذ بالله من السلب
 بعد المطا انت يا بابكر نصرايا لأنه لا يمكن لأحد من أصحاب المهدي أن يملك
 مثل هذا الا اذا اتفق البيعه وأراد على أن يقوم فتعلقت به وقلت له : ألييلة
 هذه انت وهؤلاء الاخوان الذين ملك يتو معي بمنزلي وفعلنا بتنا معا
 وتأنسنا فسألته هل اتهمني بأني بمت حمارته فأقسم بالله لم يجز في خلد مرة
 واحدة وانه نسيها ولم يذكرها الا بعدي هذا فأعطيتني ستة عشر ريالاً وكل
 واحد بمن معه أربعة ريالات بعد أن حكيت له الحكاية التي تضمن العمارة
 التي تقدمت .

انصفت سنة ١٣١٤ وقضيتها بأم درمان تلجرا وطالب علم رغم منع التعليم
 رسميا فقرأت على الفقيه حامد محمد أحمد الأزهرية متفسدا بمنزلي ثم جاءه

الفتية أحمد كرم الدين ومحمد نمر السعداوي يحضران المختصر والآلية
واتخذت له مخبأ في بيت محمد خير كرم الدين الذي قتل بالثمة وأخذت
سقوف عرفة فسقنا له محلا لا يعرف وصرفا قرأ عليه . وقرأت أبو النجاشي
الاجرومية على الشريف ود أبي خف ومعى الشيخ سيد أحمد الأزهرى ثم
أكملت دروسى على الفتية حامد محمد أحمد الى يوم خروجنا الى واقعة كررى
لم تركها يوما الا أن أكون غائبا أو مريضا . وفي كل هذه المدة صنفنا

مرصوص على البحر حتى جاء المنصور أبو كوع من بربر في آخر شهر ذى الحجة
من السنة ونصح لى وألح على فى سفر صحنى ليقى ببربر لأن الحكومة
أصدرت أمرا بساكن أن كل الصنع الذى تجده فى أم درمان تصادره .
خسرت فى آخر أسبوع من محرم بمركب عبد الله سعد التى رئيسها عبد الباقي
العالم الزيداي وسفرت معه اللهاوى القارغ ورحول ملاي بالنطرون وجوالات

ملاي ريش نعام والمنصور نفسه سافر فى المركب لبربر وعنده فيها غلال . فلما
وصلوا الثمة وجدوا الأمير عبد الله سعد عرض بين معه ضد المهديّة وخاطب
الانجليز بروى لينجدوه بسرعة فلم ينجدوه كما آمل وقبضوا على صحنى
يفرجونه بالثمة ويحتفظون بمركبهم ولكن أصدقائى بالثمة شفعوا عنده فترك
المركب فصل بربر وترجع له . فلما وصلت الزيداب (وطن رئيسها) وجدت
الأمير حسن بن عرض أيضا فأخرجوا الصنع وما معه وأدخلوه فى مربوع التهامى
بما معه من النطرون والريش . وأخوفا المنصور أجر مركب صغيرة شحنها

بضالته وترك بضاعتنا وسافر لبربر سامحه الله وسنرجع لسيرة الصنع . كان
بعض أولاد عى وبعض أولاد خالى ضيوف عندنا يأتوننا فى أول الشتاء
ويستمرون يتاجرون وهم ضيوف الى وسط شهر أغسطس حتى وإن بعضهم
يعمل عصارة فى بيتنا ويسعى الكباش الباطلات لتضمن ويبيها فإذا هوى أحد
أولادنا بأن يضرب الكبش يضرب صاحبه الولد يبدل الكبش وذلك فى أول
سنة ١٣١١ الى آخر شعبان سنة ١٣١٦ حيث رحلت من أم درمان بوالدى
وزوجتى الأولى بأولادها الى الجزيرة كفا سيانى :

ومما أتذكر أن على صديق طلب منى أن أمشى معه الى محمد سليمان
قاهر لأخذه من فخر وموم بضاعة الدمار قتلت له أن رجلين اشترى منى ربة

تركها عندى أمانة أمش للسوق استلهاها إياها وأرجع لك فحذبنى من الحمار
ثم أمسك عتقى ولزنى بمنه حتى وقعت على وجهى فى الأرض • فمكت ركبت
ومشيت معه لمحمد سليمان وخلعته منه وتوجهت نحو السوق • فلما مررت
بجنوب بيت المال وأنى عمى يوسف سليمان فنادانى فلما وصلته وجلت معه
جمعا من أولى الحاجات وأظنهم من جماعة الكاره • قال عندك قود جاهزة قلت
بيع أمس بالدولاب قال أبيع لك تسعين ثوبا من الولاية ذات الثوبين بمصر ١٢٠
قرش (مائة وعشرين قرشا) بشرط أن تدفع لهؤلاء خمسمائة ريالاً قوشليا •
قلت قبلت ولكن استلها مقدما • فسلمنى إياها وحملتها على الحمار ومشيت
مع الجماعة والبضاعة معنا الى السوق فتفتحت الدكان وأدخلت الولاية فى مخزن
وقفلت عليها ثم وضعت الصنجة ذات الـ ٢٥ رطل فى كفة الميزان والتعود فى
الكفة الثانية حتى توازى • هذه ٤٠ ريالاً وعددت لهم معها مائة ريال وبقي فى
الدولاب قود هذا يوم واحد • سمع التجار بالولاية وازدحموا على فتحبت
السمر ٢٠٠ قرش تجديدها فى الحال فريحت كل ثوب ثمانين قرشا وهذا ببركة
تعمل الإدى للأهل والارحام وعسى على شكائك الذى كان يؤذبنى كما قرأتم •
أحد ضيوفنا كلمنا • جاء لأم درمان كنت أبالغ فى أكرامه لأنى أعلم انه كثير
الجوع بين الوجبتين الفطور والعشاء لأن فى وقت الغذاء تكون بالسوق فكنت
أوصى مشددا بأن يعمل له الغذاء والشاي حتى قال مغنيا فى هذا المعنى :

« خلاف الشاي فى النهار اتين أكلتنا »

أكتب لكم هذا يا أولادى لا تمجيدا لنفى ولكنى أريد أن أريكم ان
الأرحام لها حق لا تسقطه اساءتهم لأحدكم قال تعالى « وأولوا الارحام بعضهم
أولى ببعض فى كتاب الله — فلما رأى والدى صبرى على اذاهم ونسيانى
لإساءتهم شكرنى ودعا لى قائلا اثناء الله يا ولدى « اتم الغاية وهم الخطابة »
والمنى أن تقوم حاجتهم لكم وفضلكم عليهم كما تقوم حاجة قاطنى الأخشاب
لحطب الأشجار الغزرة كما يقوم تعرض كل ما قطعوه منها بنمو أو نبات غيره
منها • وهذه دعوة صالحة كررتها لإبراهيم مالك بديك بلدنا بكشوى حينما
جاءنا على صديق فى آخر يوم أسافر فيه من الرباط سنة ١٩٢١ سائلا أعطيته
خمسین قرشا وأعطاه الشيخ إبراهيم ثلاثين قرشا أمسكها بيده وقتت مستقلا

لما أعطى وقام مغضبا ومضى فقال لى إبراهيم يستحق أن نرجعها منه فقلت له
أتركه ان شاء الله فمن الغاية وهم المطالبة .

هروب سلاطين وما بعده

من حوادث هذه السنة سفر سلاطين وما ترمب عليه ما يقال ان عبد الماجد
الحاج محمد العيشاوى قد أخبر الخليفة عبد الله بأن أحمد العجيل هو الذى
سفر سلاطين واحضر له الزاكي الذى سفره فعلا والسبب على ما سمعناه وقتل
مصدق الحكمة القائلة ما اجتمع فرجان فى منكوح واحد الا اقيت بينهما
العداوة والبغضاء ، فان عبد الماجد طلق زوجته التى فى الرملة بأديا لها وفى
ليته مراجعتها فسبقه أحمد العجيل وتزوج بها على عمدة الراوى . اما الحوادث
التي رأيتها ان الصادق عثمان التاجر الميرقاوى صديق شيخ الدين سمعته مرة
فى السوق قال والله لو يسلم لى مالى هذه السنة لا أتاخر بعدها أبدا . وكان
أبشر عثمان شريكا تجاريا لأحمد العجيل الذى كان أكثر أيامه يقضيها فى
الرملة مع العروسة ، وأبشر هو الذى يابشر الدكان لا ينيب عنه ففى يوم أنا
والصادق ومصطفى الأمين بدكان أبشر عثمان بلغ الصادق ان معصدا أبو بلل
ومعه جهاديه توجه لنزول محمود عيسى وكان للصادق صندوق فيه تباكو (تنباك)
وهو ممنوع جدا استعماله ، والاتجار به ، فأمرع الصادق الذى بجيبه مفتاح
الصندوق ليصل قبلهم ولكنه وجدهم عند الباب فدخلوا معه . فأراد ولد أبى
بلل أن يحصل الصندوق بما فيه لبيت المال ولكن الصادق فتحه وأخرج منه
ورقة ليأخذها غير ان محمد أبى بلل خطفها منه وفتحها فلذا خطفها أفرنجى ،
فبقدر ما ترجاه الصادق وتذلل له من كبريائه وبالغ له فى الرشوة لم يتركها له
وأوصاها للخليفة ، فطلب ترجمتها فاذا بها أن الصادق متفق مع الحكومة
بسواكن بترحيل أفرنجية من أم حرمان وفى صباح ذلك اليوم خرج الصادق من
مخزن بضاعته التى ملأت ثمانية غرف بقرب السوق . وذهب للسوق فكان
التجار يسألونه عما حصل وكنت ومصطفى الأمين من أصلقاته فتوجهنا معه
لبيت مخزنه فأخذ يتوضأ للمصر . فلما كان فى يده الشمال دخل محمد أبو بلل
ومعه كل الحماره بصيرهم وجهادية بيت المال ، فقال له هات مفاتيح البضاعة
فما زاد على أن قال له البضاعة كلها أو بعضها . فقال بأنه كلها . فادخل يده

اليسرى وأخرج المفاتيح من جيبه ورمأها له في الأرض . فأخذها وفتح مخزنين
 قتل العماره ما فيها ، وكادت الشمس تغرب على الصديق العمر معنأ في
 جماعة وبعد الصلاة جلس على كرسى فلما فرغ محمد أبو بلل شمع مافي
 الحواصل بالشمع الأحمر ووضع خاتمه على شرط من الناحيتين وذلك أول
 يوم أرى فيه الشمع الأحمر ثم تناول عمه الصديق من رأسه وكشف بها يديه على
 ظهره وماسقه ليبت المال راجلا وأنا ومصطفى الأمين تركنا حميرنا ومشينا معه
 بأرجلنا حتى وصلنا يث المال حيث وجدنا عى الموض الذى أخذ اه أبشر
 عثمان من دكانه فوجدناه يقول له : يا زول أمن نفسك ولا تقتل نفسك . فبرد
 عيه أبشر عثمان أنا وأحمد العجيل نموت معا أو نحييا معا وبقدر ما ألح
 عيه تمسك بصدقه هذا ، ثم جىء بأحمد العجيل وفي عنقه جنزير وأبور حاسمه
 على ظهره فوضعت فيه في الحال ثلاث مكيات وأدخل السجن ثم التفت علينا
 عى الموض أنا ومصطفى وقال لنا أتما مجنونان هؤلاء جناة محكوم عليهم
 بالموت ماذا تريدون منهم ، أمشوا أخرجوا حالا والا أدخلكم معهم . ثم قال
 لنا خدوا أبشر عثمان معكما فراجمناه قبل أن يدخل السجن فيؤتم أولاده بلا
 سبب . فلما التفتا الى أبشر عثمان قال لنا أنا مع أحمد العجيل تمتعت معه
 والله وعلى الطلاق سأموت معه فتركناه وخرجنا . انظر الى هذا الوفاء وقارن
 بينه وبين وفاء السموه داك بانه في أماتته وهذا بروحه لمجرد صداقه . اللهم
 هذا أكثر وفاء ولكنه ما وجد أمة تسجل له هذا الوفاء فأدخل معه وسفر معه
 لبحر العجيل ومات معه . أما الصديق عثمان فقيده وأدخل السجن ولم أره بعدها
 حيث سافر لبحر العجيل والخبر الذى جاء عنه وقتئذ أنه نزل على دفة المركب
 التى يقطرها الوابور ليتوضأ فاخططه تسأح والحكم لله العلى الكبير .

يجب أن تهارن بين معاملة الخليفة عبد الله لأولاد البحر وبين هذين
 الرجلين . الصديق كان ياشبوزق في المعكومة السابقة وأحمد العجيل كان تربال
 ساقية . فصارت مالية الصديق بسبب صداقته لشيع الخدين بقدر بستين ألف
 ريال . ومالية أحمد العجيل بنصفه ، فقناه في صميم دولته وبين تأثير الخليفة
 لأهل الغرب من أول توليته بحيث جعل عثمان آدم بالفاشر بدل محمد خالد
 زقل وحامد على بكسلا بدل أبى قرجه ويونس الدكيم بدقلا بدل ود النجومى

الذي عرضه هو وجيشه للموت المحقق وعثمان الدكيم يرير بدل محمد الخير
عبد الله ومحمد زين بأبي حمد بدل أولاد محمد أبي حجل ، أترك هذا الحكم
للقارئين .

المهدي أحمد مساعد أعرفه منذ نعومة أظفاري وفي هذه السنة جاءه
شريكة حمد الكردي وحاسبه وكس دكانه حتى ترك رقوق دكانه خاوية . لما
سمعت ذلك طلبت في ساعته وقاسمته ما في دكانى من البضاعة الا الريعة التي
احتكرتها داخل مخزنى وقيلت عليه الثمن وصار يدافنى حتى خلصنى ولم
أترك له شامتا ولا أوقفت حركته التجارية ثم اشترى بما ربحه ريشا وسافر لمصر
حيث اجتمع بمحمود المكي وعقدوا شركة مع عبد المجيد حسن قريب جاء بها بعد
فتوح أم درمان .

توفي الشيخ عبد الغنى السلاوى العالم الجليل الذي يحفظ القاموس
المحيط تقريبا ، فما تسأل من كلمة لغوية الا اقرأ لك كل المادة . زرتة يوما
فوجدته حاقنا فقال لى : أكتينى بصحن زكى فأسرعت له طاردا حمارى فلما
جئت به وقرينا من بيته سمعنا البكاء عليه فبهت ومشيت في جنازته حافيا جزعا
على وحيد نوعه في كل الطاء في اللغة ولم أفتشه في غيرها . ففى الجبانة أخبرنى
يوسف كورتى صنفى ضاع بالزبداب فقلت له ويوسف أخى وصل يرير بعد
أن تعرض للموت ثلاث مرات فصمدت الله وعملت حفلة فرح مدح فيها الشيخ
أحمد أبو شرملة بزماله كلهم وفيها الشيخ ابراهيم أحمد كراع النعامة والمشايع
على طلبه والصاوى وغيرهم من مقرئى المصرين كلهم . فسهرا ليلىنا .

فى هذه السنة طلب الخليفة عبد الله محمود ولد أحمد بعيشه من الغاشر
فاتشر الريال المجيدى فى السوق فما كان يصرف لجيش محمود وكان مسبوكا
فجعل التجار يأخذون الريال منه بنصف ريال القوشلى أو أبو طيه هو العملة
المستعملة فى سواكن وقيمته ٢٠ قرش . اما الريال المجيدى فقد صار بضاعة
بقيمة ١٦ قرش وحصلت فى السوق ربكة فى ثمن البضائع . فاشتكى جماعة
محمود للخليفة عبد الله مباشرة أو بواسطة لا أدري ، انما الذى أذكره لهذه
الحادثة ان الخليفة جمع كل التجار المعروفين وكنت منهم وذلك بواسطة الامناء
العشرة من التجار ورؤسهم محمد ابراهيم زروق وقال : لماذا تعتبرون الريال

للاخوان جماعة محمود أحمد نصف ريال ؟ فخطابه محمد ابراهيم زروق قائلا:
يا سيدى لأن التجار حينما يصلوا فى سواكن لا يقبل الريال المجيدى المسهوك
الا فى نصف ريال قوشلى لأن المجيدى أصبح بضاعة فى سواكن يشترونه كفضة
غشيمة فنفضب الخليفة عبد الله وقال أصحاب المهدي يدخلون عند الكفرة .
قال نعم يا خليفة المهدي . قال الخليفة الله عالم وشاهد النور الجرباوى
وجبايته قالوا أصحاب المهدي يجتمعون بتجار سواكن فى ككرب يستلموا
منهم البضاعة ويسلموهم الصنع . فقال محمد ابراهيم أنا يا خليفة المهدي
لا أكذب عليك ، الحقيقة ما أخبرتك بها . فنفضب الخليفة ودخل بيته وفى غد
منع التجار من سواكن

اجتهدت أنا فى احتكار الرصة اليابسة لأن عندي منها قرقل كثير يتيم ،
صرت أشتري كل الوارد منها حتى جمعت نحو أربعين قنطارا واقطع الوارد
وعدمت بالسودان غيرى . فصرت كل يوم أخرج قدر قنطارين لا أبيع منها الا
للغراشة (التجار الصغار) لكل واحد ثمن قنطارا أى اثنا عشر رطلا ونصفا
بشن أفرض عليهم فرضا (ولم يكن وقتئذ تسوين بل كل السوق سوق سوداء)
حتى نفذت الرصة .

فى شهر ربيع من هذه السنة اشترت مؤونة ستة أشهر غلالا بسعر الأرب
ريال ورب ريال وأودعت عند والدى ما أردت حفظه من النقود للطوارئ لأن
الأمير محمود عين لعبد الله ولد سعد والحكومة استولت على أبى حمد فقال
لى والدى اشتر بكل هذه النقود التى سلمتنى اياها غلالا واحفظه فى الأرض
فقلت له ان الغلال مادام ولد السنى مسيطر عليه فى الجزيرة لا يتعالى ثمنه قال:
ولم ؟ قلت : لأنه يوجد عند الجهادية والمناذيب ومن يتبعوهم يبيعونه رخيصا .
فقال لى بعد أن تبسم . هذا من أسباب تماليه ، لأنه اذا أجذبت مسننه أو
أتوسطت يأخذ أحمد ولد السنى ومناذيه مؤونتهم ومؤونة باب الخليفة ويندم
الغلال فترتفع قيمته ارتفاعا غير منظور . فما سمعت كلامه ولما جاء آخر شعبان
وطلب منى الغلال نزلت البحر وجئت الأرب ستة رالات . اشترت لأخسر
محرر وفى أول صفر جاءنا خبر قتل عبد الله ولد سعد ومن معه بالتممة بواسطة
جيش محمود وقتل حنين ومن معه بالزبداب بواسطة على فرفار وانقطعت

المواصلات • فلما طلبت الفلال وجدت الأردب اثني عشر ريالاً ثبت في هذا الثمن حتى شهر رجب من سنة ١٣١٥ حيث صار الأردب ثلاثين ريالاً ونفذ غلاتنا وقلت قودنا وأمراد عائلتنا رقيقاً وأحراراً وضيئفاً يريدون في مجموعهم على الأربعين نفراً وما زاد الطين بله انه وضعت الرسالة إبراهيم بلدى يوم ١٥ شعبان سنة ١٣١٥ فحضرنا في تسميته واشترينا خادمه لوالدته وطلب منى صديقي مصطفى الطاهر ميلما يسمى به ابنه عمر الذى وضع في شعبان أيضاً فدفعتم له ما كان عندي من النقدية وهو رials قليلة تصبرت وكيف يصبر رب عائلة كهذه فقلت مؤتمها • فهاورتنى نفسى إذ أطرق أصحابى يسلفوننى فبدأت بأبناء عمى ضيغاني فتنكروا لى وبعضهم رحل من بيتى ، فتصاغر عند ذلك كبريائى وتنازلت عنه وقلت :

ذا المال لا تفتر فالسبال غرار
الناس بالناس والمحتال محتار
كم للضرورة أحسوال تبيطك ما
قد تهنع لذكراه وتحتار
قد كنت أزعجنى لا يززعجنى
عسر ويسر لدى العالين صبار
لكن طفلاً وشيئاً عز صبرهما
الطفل يكي وصرح الشيب يهار
زعمت إلا أقوم الله من أحد
يبابه صافرا إذ حل انعمار
لما اقتنعت من اللاواء لجهما
قد صار عزمى وعزم القول طوار
وصار كل حبيب كنت آمله
لكرتى شامتاً للعرف نكار
فصار يقتادنى ذل الطبيع الى
بيت اللئيم وما للجسود ديار
حتى لجأت الى من ليس يملنى
فاسجل المتر ان الله ستار

أنا في هذه الحيرة جاءني موسى يقوب من أصفهائي ولكنه لبخله لم
أطرق بابه جاءني كلفني أمشي معه لرفاعة قائلا إن ابن عمكم مختار المساميل
بلغني أنه سيقطع مطاميري فاعتذرت له لدم وجود غلال بمنزلي ولا يمكنني
أترك عائلي بهذا الطل وأسافر فسلمني أرب أقسمه لهم وأقوم معه فرأيت
ذلك من فضل الله الذي سخره لي وكان مختار قال لموسى يا موسى ابني كنت
مشتاقا لزيارة بابكر لي يرفعه فلما رأيته معك تمنيت أنه لم يأتني . أنت يا موسى
سجين وأبيض كنت أظنك من البسارين (مواليد بالهلالية كبرى الأجسام)
ثم قال له كنت عازما أن أقطع مطاميرك وانت تنظرها فلا يقيد لك أكثر من نصفها
والباقي يكون خشم وسوق وعلائق وحق الضملاء والخفراء ولكن عندك بخت
حيث جاء معك بابكر وأعطاني مختار ست أراحب قلت لموسى استلم أرب
سلفتك هنا وأنا أعطيك أجرته فقال لا وإذا غرقت المركب ورفض يتانا أنزلت
أرادبي معه وقتلت له سلمها والذي وتأخرت مع مختار الذي أخذني معه
بروره لفضولي رفاهه وزجده أخذا الشيخ إبراهيم مدني نديما لأنه
فريف وعالم .

لما وصلنا معه حلة الطنضب وجدنا كبار الشكرية هناك في انتظار مختار
وهم المشايخ محمد عوض الكريم عبد الله عوض الكريم على الهد حسان
أبو سن .

جلس مختار على مقبولة عليها قروة وجلسنا مع أولاد أبو سن . دخل
علينا مختار ولد الصيخ ومحمد ولد شوش ومحمد ولد أحمد وكلهم من
أقارب عبد الله سعد فدارت بالمجلس سيرة عبد الله سعد بمثابة حضنور
محمد شوش من المئمة فقال على الهد عبد الله ولد سعد شنو الاضيئة ووضع
بنات عمه ففضب مختار حتى ورمت ألقه وصبت دخوعه ثم التفت على ولد الهد
وقال له يا علي ، عبد الله ولد سعد ما قال طلبت مني أشياء أنا لا أسلم بها حتى
أموت تمرى بعدى وضلا وقت دونها حتى مات ما عليه في ذلك عيب إنما العيب
على الناس الذين قالوا نحن ننشف في المكان الذي مطرنا فيه وما تقفوا ما قالوا
ماتوا واقبيود بأرجلهم فالتفت اليه محمد أخوه وقال له (شن من بلاده دم يا على
الزبول يقوله كلاما يندم عليه وينبذ فيه) فخرج محمد ولد شوش وطلبني

وقال لي أنا كنت سمعت بأن مختار زاره أحد أولاد عمه المقربين عنده وجئت لك بمختار ومحمد ولد أحمد كشاهدين ليرجع لي مختار غلالى الذى قلته وسفره لمنزله بأمر درمان وإن لم يرجعه لي اشتكيتك ولكن الآن أرجوك أن تقول له قال لك عمك محمد ولد شوش كلام على ولد الهدى رديت عليه وأخجلته به في المجلس يقصدني به وقلت له انت كلاما أنا لا أستطيع أقوله له في هذا الوقت أخبره اني قد عثيت لك غلالى لا تسأل عنه في الدنيا ولا في الآخرة وعلى الطلاق اذا بقي لي شيء في خيلى لأهديت لك أفضلها واذا كنت في حالى في المكاة والميسرة لكنت أزوجه ابنتى نظير هذا الكلام والسلام . دخت على مختار وقبل أن أخبره جاء الغداء فقال له الشيخ محمد أبو من : تفضل يا المامل فتعوض قائما وقال أنا آكل عندكم ؟! آكل السم اذا وناهى شدوا زواملنا فشدنا ومشينا لمد الطاج نزلنا بمنزل مختار الحصين الذى تركناه معهم فذهبوا لنا خروفا ففدينا وتمشينا منه فطلب مختار وكيله المأمون طه وقال له : انت قلمت غلال محمد شوش ففى هذا الليل فتفتح مطايير وتملأها من غلال الشكرية وتدفنها القصبابى قصابى والقيترية فيترته وتأتني غدا المصر يرفاهه تخبرني يالك تملئت امرى تماما ففقدته .

كان لعلى مالك رجل مرمر مغتبه بمنزل محمد اليمنى بالموق فركبت وبحثت عن عسى مالك لأخبره فوجدته بمنزل عبد القاهر محمد ولد الإمين كاتب الامير يعقوب فآخبرته وركبت معه فوضع لي من كلامه انه ربما يتمنى فحلفت له حتى وثق من براءتى فأثرت عليه ياقا فبضى لمحمد أحمد كاتب الشونه لانا نرفه فزنيه وأخذ من كل عدله نصفها فأبى وقال ان ابراهيم رمضان امين بيت المال صاحبه وكان جاره قبل ترحيله من السور وهو يشى له المغرب بمنزله ويسل منه الترتيب فوافقته على ذلك ولكن سرعان ما غير فكره ومضى للشيخ محمد عمر البنا فوسطه لابراهيم رمضان واعطاه له خمسين ريالاً فابراهيم رمضان غضب جدا فلما قابل عسى مالك الشيخ البنا قال له قابل ابراهيم رمضان بيت المال غدا فما شككتنا انه اتفق معه على شيء يرضنا فلما قابلنا ابراهيم رمضان ما كان منه الا أن طلب سرورا السجان وأمره بسجن عسى مالك فقلت له عسى ابراهيم نحن لنا أمل تعطيتنا بعض البضاعة فقبض بيده من

التراب وقال لي دى ما أعطيك إياها فقلت له الأرض تعدن نكس عليها وبنيينا
 بيوتا فرقها وتوجهت لعبد القادر الأمين الذى جاء معى فى الحال وكانت النتيجة
 من مجيئه أن شاتم إبراهيم رمضان وأعفيه حتى زينت أغسال عى مالك
 فمضيت فى صباح اليوم الثانى للشيخ بأن النقا وكيل راية يقوب الزرقاء
 ورافقته فلما قابل إبراهيم رمضان ضحك معه وقال له يا إبراهيم ! مالك صديقك
 وجارك واعتماده عليك بعد الله سبحانه .. فصحك إبراهيم رمضان وقال له
 سبحانه تساهله من الحبيب الله وسط لى الشيخ محمد عمر البنا فديم خليفة
 المهدي وافت تعرفه خفيف اللسان يقول ما يشاء وما لا يشاء قوله فاني خفت أن
 ينطق عند الحليفة بهذا فاعطى .. والآن فطلقه لكم قال نعم تطلقه وتمطيه
 شيئا من بضاعه قال إبراهيم والله أن البضاعة سجلت وبيعت ولكن أعطيه
 ما يطلبه له من الصمغ فاتفقنا على أن يعطيه صنفا بثلاث قيمة الرجل ويضعف من
 قيمة الصمغ حتى توازى النصف فعمل بذلك ولكن الشيخ بأن النقا رجح قبل
 أن يتظر فك أغلال عى مالك فأحالتى إبراهيم رمضان برسول على السجان
 الذى أقسم لا تدخل أغلاله الا بثلاثين ريالاً أرجعناها لعشرين فمضيت الى منزل
 عمتى أم إبراهيم أخذناها منها وفى الحال أخذ عى مالك سريته « صافي النية »
 وركب حملاه وخرج من أم حومان التى لم يرجع لها الا بعد أن وصل الجينس
 النافع مدينة السلوكه .

لما رجعت من رقاعة وجدت أمرا صادرا من الحكومة بأن كل من له صمغ
 بالوكالة التى صارت سكتة للجيش لم يحوله فى ظرف ٤ أيام يصادر وعى مالك
 عنده نحو ستين رجلا . أخبرت أم أولاده الكبيرة فأعطتني وقية ذهب واستلمت
 من شريكه عبد الرحمن المربوع أردنا مسما بت الاثنين ورحلت الصمغ
 بمنزلى الذى أسكنه بالأجرة لقربه من الوكالة فلما صار القنص والطمأن الناس
 جاونى عى مالك بمنزلى الذى به الصمغ وبعد الفداء قال لى أنا أطلبك مائة
 ريال قلت له حقيقة لكن امهلنى حتى أبيع الصمغ هذا وأعطيك إياها فضحك
 وقال لى والله تسلمها يا ظالم قلت له يا عى مالك الرؤساء للركاب والعائلة
 الذين أخرجوه منها والحصار الذين أوصلوه هنا كلهم أنا الذى دفعت لهم
 الأجرة ويسترفون بذلك والآن هو بمنزلى فقال لى تمام تسلموها يا ملعون
 وضحكنا وركب لأهله . وفى تلك الأيام وصلنا الخبر الأكيد أن صمغنا وما

معه من الرثى والنظرون جعل الضمفاه من أهل الزبداب الذين سلموا من الموت وطبعا اختل عندهم الأمن وفسدت الحرف واتابهم الجوع فجعلوا يبلون الضمغ ويأكلونه والأحقباء منهم يحملونه على الطيقان للذمار أو لبربرليبيونه ويشترون بثمنه الغلال وبعد مدة تبالغ ليوسف خبر الذين يحملونه لبربرفجعل يحتاج عليهم وبعضهم يسمون له أكثرهم يهرب فرجع لنا بعد الفتوح تسعين جسيها فتعد كنت قبل مجيء يوسف طلبت من ابن عمى على صديق الذى اشترى ذهباً من أم درمان ليخف عليه حمله أن يسلفنى اياه ونكتب له ليوسف يرير يعطيه قيمته فرفض لما سمع أحمد محمد ملهى بك الرباطي أرسل الى من نفسه ليعطينى ما أطلب وفلا استلفت منه أربع أوقيات وهذا تجمعنى معه لحمة الرباطاب فى الجملة وعلى صديق ابن عمى وضيفى هو وسرتة وبعد هذا استمر ضيفاً دون مبالاة يطلب يراحتة الى أن سافر .

فى يوم ما جاءنى عمى مالك وقال لى ان ابراهيم باكر اوى ومن معه أكلوا منى ألقى ريال أو أربعين ريالاً قوشلياً - إذ الريال القوشلى يساوى خمسين ريالاً محلياً - بأنهم أمضونى عليها مرتين يطلبنى اياها ولد الشقلىنى وحيما دهموها له أرسلوه لى فمشيت معه ووقت عليها مرة ثانية فمشيت لبخت سليمان وهو أصدقهم والذى يهدته دفتر حسابهم الأصلى النظيف فقلت له المسألة هذه تكشف قلوبكم خصوصاً انت قل ثقة الناس فيك أظلمنى على دفتركم النظيف لأنظره هل عمى مالك فى هذين التاريخين أخذ مرتين قال لى امهنى حتى يحضر شركائى فقلت له الأمر لا يحتاج لمضورهم ضحكك وقال لى خلصت عنك منا وقد كنت أخبرتهم انك تأتى فستأخذنا منا فالأحسن تركها خذها استلمها وشيلها حمالاً أوصلناها لعمى مالك فلما عداها واستلمها قال لى انت حرامى مثلهم لذلك خلصتها منهم ودفعت أنا أجرة الحمال . كانت وردت لى أخيراً ثمانية رحول صمغ من الدورى فى مركب دخل عليها بعض الجهادية رموا فيها تباكاً كمدتهم وبخثوا حتى بينوه فغضبت بالمرکز وقفل صمغها لييت المال فأخذت أحاول عمى العوض يترك لى صمغى فلم يقتنع وفى مرة وجدته ومعه عمى على ابراهيم شموقى محاولتى لمعى العوضى قلت له يا عمى العوضى أنظر للرحم بيننا فقال لى أنا رباطي قلت له ما جئتك قال لى من الجزيرة فتوار قلت له : انت ما سمعت الرباطي قال لامراته فاس فتوار مثل البخل مع العمار

يحتنون ومع الحماة يمنعون (جمل) فضحك عني على إبراهيم وقال له عليك الرسول يا الموض تعطي بأبكر صمته لأنه صبي طامع فلم يقتنع أخبرته والذي قال لي أصل له غلام وأوصلني إياه فدعوته فأجاب فلما جاء الغداء أخذ عني الموض قطعة لحم وجعل يمصها مصاً لأن أسنانه مخلفة فقلت له إن محمد أبا جبل منذ بدأت سونه بالقلع حرم اللحم فما أخذ بمضغ لمة ولم يقتنع برد الصمغ وفي يوم جئته في أول المكتب وجدت معه عني الأمين أبا سن هجاء الشيخ بأن النقا يريد مبلغاً كبيراً فلما وجد لي قلت لعني الموض والله العظيم ربنا اليوم يغفل لي منك صمغي بوجود صاحبي نعمتي سابقاً ولاحقاً وأخبرتني خبري فتوسل لي عند عني الموض الذي قال للشيخ بأن النقا إذا أردت تعطيه الصمغ فحرر له إذا بنصف قيمته كمنصرف لك ضمن طلبك فحرر له الموصل في العين وكتب لي لمحمد أبي بلال الذي أخذ مني أربعين ريالاً رشوة زيادة عن الأصاب التي قاسيتها وسلمني الصمغ بعلامتي المكتوبة على طروده.

عندي فرخ يدعى رزق الله هرب مني وبعد مدة وجدته عند عائشة فديته منهم بتقود فلما أخذه للبيت وجدت بيده دماغاً وهو حرف ج يوضع بين السبابة والابهام علامة لأنه جهادي وكان عثمان شيخ الدين أكبر أولاد الخليفة عبد الله عينه والده لرد المظالم فأخذت فرخي وكتبت عرضاً لا أطلب فيه كتابة شهادة بيدي أو يستبدلونه مني بقيمة أو يغيره أو تستلمونه مني قبل أن أعتبر إلى مالك جهادية جئت بركت على ركبتي أمام شيخ الدين بالجامع بين صلاتي الظهر والعصر وعن يمينه الشيخ الطيب هاشم الذي تدب لتعليمه العربية ووجدت أمامه مولد ريفه من كردفان يتكلم معي بما يخالف ما باعراه (طلبه المكتوب) فقلت لصاحب العرض حال كلامك مخالف لعرض حال خذني ليقرا لك ووافق بينهما ثم تعال لسيدنا قال شيخ الدين: قل له يا سيدي • ثم تناول عرضاً لي من عمتي فلما قرأه قال لي انت غير شاكيا ولا مشكوا قلت نعم أخذ العرض حال وقال لي: تعال بأكر تجد عرضاً لك على أسطى (وهي كلمة تركية) منهاها تماماً كما تريد • ولكن يا للأسف فإنه أصبح معزولاً داحضة قلت برفعني حتى سقطت أم درمان وهرب مع من هربوا من ريفي •

حادثة عجيبة :

في يوم جاءني موسى يعقوب وأخبرني أن مختار محمد العامل محسوم فقم معي لنزوره فركبنا فلما وصلناه وجدنا معه ملازمة يعقوب الأمير العظيم على أحمد فضيل وآدم جديد الحرري ودوديه بنوي وداؤد الجلمين وأمامهما سموار نحاس أصفر فيه ماء لعل الشاي وينما يتحدثون إذ سمعنا صوت الوابور الآتي بنساء المثة المقتول أو للأسور ولاية أمورهن إذ نهض داود قائما وضرب جيته على ورکه يده تغطا وقال (بلفظه) كب امشي لخليفة المهدي يديني جعلية أسوجا سره فما أنتم كلامه الا نهض مختار المريض رمى ثوبه الذي كان مؤثرا به وقام بسرواله فقط وضرب داود صنعة كانت تعلقه في الأرض وضرب السموار برجله وقال كمان تشرب شاي في بيتي تشرب بسا فقال داود يا مختار تضرني قال وأقتلك وهل خليفة المهدي يعمل الجعليات سراري وهل يقدر يعملن إذا أم درمان ما تعيد فارا + خرج دلود مضطبا وخرج بعده موسى يعقوب فزعا وساد المجلس صمتا عديقا ورجع مختار وقد تندر وصار يكي فنهض على أحمد فضيل واقفا وقال والله يا مختار خليفة المهدي ما يرضي يجعل الجعليات سراري والله لا يمكن أن يأمر بذلك هاهم مثل هذا يوجب الفتنة بيننا وبينكم ثم خرجوا فقلت لمختار في مثل هذه الأيام وفي مثل هذه الحالة تعمل مثل هذا العمل وتكلم مثل هذا الكلام جلس على عنقريه والتفت الي غضبا وقال لي أنا عارفك جيان ماذا يريدون أن يعملوا لنا أكثر من ذلك وما قيمة الحياة بهذه الحالة ثم هاضته العمى فرقد ودعته وانصرعت مستعجلا لأدرك بيت المال فخرج بتول بنت ولد صبيه بنتأخت عبد الله بك حمزه وأخت السيد الذي بلغني انه قتل في المثة لملي أقدم لمي عبد الله بك يدا وأمامهم بولجبي للجلمين للأسورين ولكني لا أزال مشغول البال بما يحصل على مختار سار داود من توه الى الرجل العاقل العظيم الحكيم الأمير يعقوب متهيجا طيما حكي له ما صار من مختار فأرسل الأمير يعقوب في الحال للشيخ بان النقا موسى وقال له : امش الى خليفة المهدي الآن واحكي له ما حصل من ولدكم مختار واعمل فكرك في أن خليفة المهدي يفكر عن نساء المثة وسلم كل واحدة منهن معارفها قبل غروب الشمس فسار بان النقا ودخل

الباب وحكى لخليفة المهدي ما قاله مختار كمتيري منه ومخطيء لمختار وقال فاستوى الخليفة جالسا وقال يا بان النقا يعقوب عرف هذا الكلام ؟ قال نعم وأرسلني لخليفة المهدي أبلغه اياه قال الخليفة وما رأى يعقوب ؟ قال اضطربت ولكنني خفت ما يعود على من المسئولية فقلت رأى سيدنا فوق الجميع قال بحمد : ماذا قال يعقوب ؟ قلت : يقوض لخليفة المهدي ويرى أن قسم هذه النسوة لما رفاها قبل غروب الشمس قال امش من ساعتك هذه ليبت المال واعط كل امرأة لمن يعرفها أو تعرفه وشجعوا الناس على دخول بيت المال مختار جزاء الله خيرا قال بان النقا فاقبل خوفي أمانا وجبني شجاعة وحزني سرورا ورجعت الى سيدي يعقوب أخبرته فارتاح ارتياحا ظهري في أسرارير وجهه وتهدت أمر الخليفة في الحال

قلت اني أرحت أن أخرج بتول بنت ولد ضيمه فلما وصلت بيتي صرت أفكر في الطريقة التي تدخلني على النساء ويتردد فكري في انهن مسموح الدخول عليهن أم وضمن في سور مخصوص عليهن خفاء يمنعون الدخول عليهن ثم حزمت أمري ومشيت فوجدت بيت المال مفتوحا فوالله ما وجدت امرأة حرة مطلقا فأحسن فيها بل وجدت الشيخ بان النقا وابراهيم رمضان بجانبه ودلالة بيع الرقيق قائمة فاشتريت خادمتين احدهما مرضعة لأرضع فيها ابنتي آمنة الصغيرة لأحجزها من لبن أمها والثانية كانت للقاضي ولد الخضر كما سيجيء ذكرها .

جعل أهل الغرب عصيان عبد الله ولد سعد سببا لاستباحة أموال الجلالة كما يسموننا وهبط علينا كابوس مركب من الخوف والحزن انساوا أنفسنا على انا مؤسسوا دولة المهدي فجزعوا علينا وخضعنا لهم حتى في مدينة أم درمان استمدل على ذلك بثلاث حوادث حدثت لي تسمى :

الأولى قصدنا السوق أنا والمنصور أبو كوع راكبان حمارنا وفرخاننا يجريان وراءنا وكل منا رابط تركاشه في سرج حماره يضربه في ظهره كالأمير فلقينا عند مقابر الشهداء الشماليين عبد الله تاج السنوسي أخ خليفة المهدي ومعه اثنان راكبان وواحد راجل من السود فلما التقينا نهروني أن أزل فنزلت فأركبوا الرجل الاسود حماري ومضوا في طريقهم فبطست وتبعهم المنصور

بحماره وفرخه وجلست في انتظار وجوع حمارى مع المنصور وفرخه فاذا المنصور ولا حمار معه فقال لى سألونى عنك فقلت هو في انتظار حماره فقال عبد الله اذهب اليه وآمنى به ولد الكلب الجلابى ما يسعني من الجبرى وراءنا حتى نصل ونسلمه حماره قمضيت مع المنصور راكبا خلفه الى فريق فور حيث وجدتهم في ظل حوش عبد اللطيف التاجر النورائى . أخفوا منى عماسمى وكرابتي وسيفي وأجلسوني في الشمس وكان النهار حارا جدنا وللحظ وجلت عندهم قضية بين رجل اسكافى من المواليد المصريين وزوجته قريسة عبد الله فقصت لبعض حجة الزوج مؤيدا حجة الزوجة وكلما رأيت من سيدنا عبد الله ارتياحا ندفاعى أدنو من الظل حتى انتهت القضية التمت على وقال لى الجلابى ود البقس (لم أعرف معناها) مالك لا تجرى وراءنا ألا تجرى وراء العبيد فقلت انت يا سيدى ما قلت لى اجرى ولو قلت لعلت . قال اعطوه عمته وكرابته وحماره فركبنا معهم على غير طريق السوق بحكم الرهبة فاذا الطريق يمر بباب منزلى قلت له يا سيدى هذا منزلى ألا تعرفونا يشرب الشاي عندنا وغرضي التعرف به قال دى وى يشرب نخلنا وعملنا لهم قراصنة قمع بسمن وسكر وشربنا الشاي فرأى البراد جميلا فقال لأحد من معه أدخل البراد هذا في مطبخك ولم يطلبه منى كأنما اشتراه من دكانى ودفع لى الثمن ولم أظهر أى حركة حتى ولا العجب بل شكرته بأنه شرفنى بأخذه ولكنه تقضى ومن معى في حادثتنا مع الأمير يعقوب كما سيأتى :

الحادثة الثانية ركبنا أنا والمنصور أيضا من بيت المال (ورشة الصناعة الآن) بطريق الشاطئ قاصدين المورقة ولسوء الحظ صادف سيرنا مجيء أهل العرب لصرف الغلال من شونة حبيب (بجنوب المنظار) فالتقينا بطائفة منهم راجعون وهم راحلون فاصدمت بأمرأة منهم اصطدامة أشك في أن جيتى لمستها أم لا فاذا هى جمع ميتة فبهتتا وانفلتت قوانا واستسلمنا لا يعمل بنا فاذا هم بدلا مما يكتفونوا كفاتلين للقوقد أخفوا يفتشون جيوبنا فوجدوا عندى نحو أربعين ريالاً وعند صاحبي خمسة عشر ريالاً فلما استلموها وكلها أحدهم برجله هى قومي فاستوت قائمة فصلمت الله حيث قلر ولطف فمشىوا في طريقهم وركبنا في طريقنا فما أحد منا ضحك ولا جرى ذكر الحادثة على لسانه حتى

انقطعوا من مقابلتنا ولما وصلنا المردة حكينا لمن قابلونا بها فأخبرونا أنها
تكررت عليهم حتى ألقوها •

والحادثة الثالثة هي أن سكان السور (الملازمة) اتخذوا في الآخر عادة
لاكتساب النقود من الجلابة وهي يخرج بعضهم فيلقى رأس الرقيق فيفريه اذا
كانت أمة بزواجها واذا كانت عبداً يتحريره من الرق بإدخاله الجهادية وقد
تصح الثانية ولكن الأولى لا تحصل للأمة فبعد ادخال المغرى للسور يكث
المغرى أيلما ثم يأتي لسيد المغرى ويصف له رقيقه ويتفق معه على مبلغ يقارب
من ثلث قيمة الموصوف فيستلمه منه ويحضر له رأس رقيقه ففى يوم كنت أنا
وعمى مالك مع محمد أحمد حاج الامام يدهليز باب دائرة حوشه اذا جاءه
جهاديان وصفا له آخيه أجه منه فطلبنا منه ثمانين ريالاً مقبولا (ريالين قوشلي)
فأعطاهما إياها وبعد يومين جاء بها وكان لعمى مالك آخيه فورايه تنعى
فعلمة يضاء اللون سأل منها الجهاديين ووصفها ليهما وبعد يومين جاءا وطلبا
منه ثلاثين ريالاً فقال لهما أنا آخذ الثلاثين ريالاً وأمشى معكما
تسليمي الأدمية وأسلمكما الثلاثين ريالاً قرضياً وركبنا حمارنا أنا وعمى مالك
ومشينا معهما حيث وقفنا قبالة باب السور الضيق الشمالي ودخلا السور بأمل
أنهما يأتيان بفألطة ويأخذان النقود فإذا بهما ومعهما أربعة من الجهادية أمسك
كل واحد منا ثلاثة وقتشوا جيورنا وأخذوا ما فيها وسلبوا عمتينا وكرابتينا
وسيوفا ولو كان باب السور يدخل الحمار لأخذوا حمارنا مرجعنا ونحن
نحوقل ونسخط - وما يشبه هذا ابن الشيخ عبد اللطيف وقبح الله عنده عبد
يلعى على مولد عنده فضخته مع أولاده • وأرقده على عنقريب ساج عظيم
القيمة فلما كانت سنة ٣١٥ وبلغ عمره العشرين سنة هرب منه ودخل الجهادية
ففى بعض الأيام أرسل لى عبد اللطيف الذى كان جاراً لأحد أولاده فلما
وصلت بيته وجلت عبده على هنا ومعه أربعة من الملازمين السود يطلب أخذ
والدته والعنقريب الساج الذى ختن عليه فقلت لعمى أما العنقريب فلك الحق
فى أخذه حيث أنه أرقدك عليه فى ختاتك اما امك فالترع لا يسلمك إياها الا
اذا دفعت قيمتها فأخذ العنقريب ووعد سيده بدهج قيمة والدته فلما خرجوا

قال لى الشيخ عبد اللطيف بماذا أحطت له أخذ العتريب ؟ قلت : بتغنيك في
أكرامك للعبد اما سمعت قول الشاعر :

ثلاثة أكرامهم لهاته الرق والنساء والصبيان

فصحبنا رغم سخطنا واغترقنا • أنا كنت في السوق فمر علينا عبد حاملا
مصحفا خطه من أجل خط النسخ وتاريخ كتابته سنة ١١٩٢ هـ قبل مائة سنة
ولثنين وعشرين اشترته منه بستة رiales قوشلى يعنى جنيه مصرى تقريبا •
(ستأتى لهذا المصحف قصة)

قلت فعنى عبد السنوسى بعد قتل المسكة التجارية في سنة ١٣١٤
بلغنا ان الخليفة أراد فتحها ففرحنا نحن التجار في يوم اجتماعنا نحو ثمانية
ركبنا حميرا ذاهبين للمورده لنبحث عن الراكب لترحيل صفنا وكنا مشغولين
بالحديث كيف يصل الصمغ لسواكن والعيث في بربر وبمدها حتى قربنا من
بيت الأمير يعقوب (محل مدرسة الأخفاد الآن) فاذا الأمير يعقوب بالشوارع
ورواده جملة أنصار ومن بينهم عبد السنوسى فلما رأى انطلق نحوى
وقال سيدى يعقوب يا بابكر فاذا نحن قبالة وجهه نزلنا من حميرنا التى مرت
أمامه واصطفنا صفنا ولحذا حيث التفت علينا الرجل العظيم بما أبدل خوفنا امانا
وحزننا مرورا وقال لنا السلام عليكم أنت طيبون وعيالكم وتجاركم التجار
ركن من أركان المهدي (الدولة) وفي كل سؤال نستبق بنعم يا سيدى كل هذا
وهو واقف وقد أشار لمن يمسك حميرنا ثم قال امشوا بارك الله فيكم وأشار
بأن نمر أمامه فلما توقعنا قال امشوا الأدب في المطاوعة قمثينا ونحن قلج
بمدحه والدعاء له •

أتانى يوما أحد المغنثين طلب منى حيات قرقل قال انه يشرب بها ماء ممن
يجلبه الإدميات فعبست في وجهه وقلت له القرقل معروض للبيع فولى ووجد
صديقى مختار بن محمد سليمان بدكان أحد القوافه فقال لمختار صاحبك
الذى في دكان بسيوني الله يخيه قال له ماذا أقول لك ان قلت لك الله يخيك
أنت فقد خيك الله مالك وصاحبى قال شععت منه حيات قرقل أشرب بها ماء
كثري وجيى وقال لى القرقل للبيع فقال له مختار والله لو أعطاك حبة قرقل
واحده كنت أترك صاحبته قال المغنث لمختار ها أنت تمنى ما أطلب منك قال

مختار نعم ولكن تغصنا الاثنين قال المختل لمختار ليصبر والله لانمنه في كل مجلس ففحك مختار وقال له هو لا يبالى لذلك لأن مثلك ذمه مدح في الحقيقة قال المتنبي :

إذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ثم أنا مختار وقال لي لماذا لا تطلى المختل حبات قرتل فتلجم بها لسانه ضحكت وقلت له جارك قال نعم وقص على كل ما جرى بينهما قتلته له الى ما بخلت بالحبات لكني بخلت بما هو آت فضحك وقال هذا بيت شعر ما هو الذي تبخل به قلت له يا صديقي انت تعرف المختلين ورغبتهم بل سرعتهم في الاتصال بالنساء في يوجهن وما يقولن عنهن فاني خفت أن أعطيه هذه الحبات أو أبش له فيأتي مرة أخرى فيجلس على هذا الكرسي ثم يزورني في البيت ثم يتردد على البيت في حضوري وغيتي فيعرف أسماء وذوات زوجاتي وإخواني وفي أثناء ذلك يترقى في طلباته بقدر صلاته فمتى امتعنا من إعطائه ما يجب لبخل أو عذر قال عن عائتي ما شاء له عرضه ولسانه فرأيت أن أعمل بالمثل الحكيم « الباب البعك منه الريح سده واستريح » فقبل راسي وشكرني وقال ليتني عرفت هذا قبل أن أعرف هذا الخبيث .

في يوم ما جئت من السوق ووجدت بعض غفش منزل زوجتي حفصة في حوش الديوان البراني فسألت مريم والدتها عن سبب خروجه . فقالت لي : أبوك مطلقا قلت لها (رغما عن رغبتى الأكيدة في زوجتي خصوصا بحجرها التويمان أول أولادى على صفرهما) اذا كان والدنى لا يرضى ببقاء ابتك معى فان كلامه يفضى على فأخبرت هى ابتها زوجتي بذلك وشاع الخبر حتى وصل السهوه أختى أما أنا فمما يدل على تنفيذى كلام والدنى أخذت كتابا أقرأ فيه ونسيت كل ما قيل لي وما فعلته حتى دخلت على السهوه أختى وقالت لي أنت تقرأ في كتابك والنسوان هلن غفشن كله قلت لها ان في امكاني أن أتزوج امرأة أخرى وأن ألد أولادا ولكن ليس في امكاني أن أشتري والدا أبدا فلذا أكرس لك ان لم يرض أبى ببقائها بمنزلنا فان كلامه يفضى بلا شك فذهبت لهن وأكلت لهن ذلك وذهبت السهوه لأبى سألته عن السبب وأخبرته بكلامى فقال لها اذا كانت ترغب في بقائها مع زوجها تأتي لي هنا وتحول لي ولذلك عدلت فتوجهت لها السهوه ورجعت لوالدنى

وقالت له إن حفصه قالت ولبيك عدل قال لها زيني يأخذني (قسم يتأده) ان لم تأت عندي هنا وتقول لي ولبيك عدل ما أرجع عن قبلي فرجعت لحفصه وأتت بها عند أبي وأسمته ولبيك عدل فقال لها أرجعي لبيتك أنا عفوت عنك وبابكر لا يقدر يسألك عن هذا الكلام أبدا فما سألتها عنه الى اليوم •

دخلت سنة ١٣١٦ بعد أن سبقها من الحوادث الحريّة والسياسة ما زعزع اعتقاد المعتدين الا من عصم الله قلبه وقليل منهم فمن الحريات سقوط كسلا يوم ٧ ربيع آخر سنة ١٣١٢ وسقوط دقلا في ١٥ ربيع ثاني سنة ١٣١٤ وواقعة التسة وسائر الجبلين في غرة صفر سنة ١٣١٥ وسقوط أبي حمد في ٨ ربيع أول سنة ١٣١٥ وجلاء أبي الخليل من السلطات في ٧ ربيع أول سنة ١٣١٥ وقيام الزاكي عثمان من بربر في ٢٥ ربيع أول سنة ١٣١٥ ودخول هتري باشا بربر في غرة ربيع لالي ووصول السكة حديثا باحمد يوم ٧ جمادى سنة ١٣١٥ واحتلال شندى يوم ٢٩ شوال سنة ١٣١٥ وأكبر من كل هذا انكسار جيش الأمير محمود ببلدة النخيلة بنهر أنبره يوم الجمعة ١٣ المقدسة سنة ١٣١٥ اما السياسيات فمن أهمها تغيير أهل الجزيرة وعكس اعتقادهم بمعاملة أحمد السنى التى أولها سنة ١٣١١ حيث يأخذ اللال للباب من محل وجوده لا يقسم على أهل الحفلة بالرءوس ولا يتفاضل الموجود (بالضى) والملاق يد عماله وجهاديه بحيث تفتح المظمورة فيؤخذ ثلثاها للباب وثلثاها لهم فاهيك بالشفاعة أى أهل الغرب والجهادية الذين يرون في الجزيرة فيسلبون ما أرادوا عليه ثم كانت الخاتمة واقعة الجبلين •

بعد انكسار جيش محمود أخذ خليفة المهدي يفكر جديا في الدفاع فجعل شيخ الدين رئيسا للملازمة و ابراهيم النزيل على جهادية الكاره وعين عبد الوكيل بشير أمام الجيش المحارب لنا الذى قام من ولد حامد عربا ومن الروان شرقا وكلما قاموا يقوم امامهم حتى قربوا من كررى جاء بخبرهم فطلب الخليفة من محمد البصير وعبد الله عوض الكريم أبى سن والعباس البييد وولد الكريل وغيرهم من الأمراء وأمرهم أن يذهبوا لنزوحهم فينفروا الرجال المستحقين للجهاد ولا يسمحوا لأحدهم باحضار عاتلة ولو خادمة أو مربة فوجدوا هذه فرصة بين أهلهم في التنفير ما بين المد والجذر بمعنى أنهم يسلون الناس يصلون الشرق وقيسون أياما ثم يتسللون رجعين حينما يصل غيرهم

لحفظ المكان فلما جاء جيش الحكومة والجمليون المحاربون لم يوجد منهم من يقاومهم فابحث أيها القارئ عن سبب هذا الانقلاب وأهل الجزيرة كانوا أعضاء مهمما في نصرة المهدي في فتح الخرطوم وفي الثور لما سمعت قول الشيخ الحسين ولد الزهراء فيهم في موقعة القلابات حينما أنزل العتبة عليها واصفا لهم قومي :

ان قومي خيف حديثهم أحدث عن قومي بكل المجائب
أكارم وافوا شاهد الحق واقفا ليشهدوا قضا القضا الكواكب

مما يدل على عدم ارتياحهم للجهاد هذه المرة انه لما أمر الخليفة الشيخ عبد الله عوض الكريم أبو سن بالسفر لتغيير قبيلة الشكرية كان مصبه معه العارذلو فأرسل الشيخ عبد الله من يشتري له بطانية من سوق أم درمان وتأخر الرسول قبيلة فاستحثه العارذلو على الخروج وترك الرسول وبطانيته بقوله يا شيخ العرب (نحن نكتل في بطانية) الزول هذا اذا غير رأيك نحن ما كتلنا اركب يا شيخ العرب وامرنا ما دام لقيت لك سبب (تفسير سبب) فركبوا وتركوا البطانية وأرسلوا لها هل ترى أيها القارئ مثل هؤلاء لهم روح معنوية تدفعهم للرجوع ليسوتوا وعلى من قمع جمعة هذا التحول من الاخلاص المزوج بالانخاف الى الحيلة المزوجة بالانحلاع اليك هذه القصة .

زارنا مرة الأمير دقرشاوي أبو حجل وسليمان أخوه ورجب الملك عوض الله وكان الأخير من ملازمة الخليفة عبد الله المتطرفين فقال في حديثه انه سمع من فم خليفة المهدي الشريف الترك يصلون كردي يوم ١٦ ربيع آخر ونحن تقتلهم في كردي ونرجع نصلي الجمعة في الجامع فرغمت يدي الى أذني علامة لتكذيب ما قيل كما يفعلها الصبيان فقال لي رجب يا بابكر كذاب أنا أم خليفة المهدي وقبل أن أرد عليه في هذا الوطن الخشن النقي (طبعا يكون ردي كذبا) فرد عليه الأمير دقرشاوي بقوله والله يا رجب كلنا في قلبنا كلام بابكر هذا ولكنه سبقنا بالنطق به كذاب انت خليفة المهدي لا يقول هذا الكلام الذي لا يعلم به الا الله ثم بعد هتية قال رجب خليفة المهدي قال ان أصحابه المخلصين لو ترك الواحد منهم فرضا من الصلاة أن الله لا يسأله عنه . أكراما للخليفة فقال له سليمان والله الخليفة نفسه ان ترك فرضا يسأل عنه فخرج وقال أتم مناقون .

جئت فكرة في تلك الأيام وهي ان المهدي عم قال ان الترك يقتلون في كرري و صار الخليفة يسأل باحثا عن سمعها من المهدي عم ليستأنس بها وقد جاءنا على قوى وسأنا عنها فأجبناه سلبا وذلك قبل أن تحصل واقعة محمود بأنبرا •

كان والدي يقول اني أفكر دائما في جيش الخليفة وجيش الحكومة وأجمع بينهما في كرري وبعد قليل أرى الخليفة وجيشه يقوم ويمشي لأم درمان ادد ادد يجري أمام جيش الحكومة ما رأيت لهم نصرا أبدا (فقلت في نفسي لو كانت والدني حية لأمسكته من خده وقالت له : هوى يا ذا الرجل الكافر اسكت لا تمنى للانصار الهزيمة) وقد حصل ما تقرسه فعلا •

قضيت شهور سنة ٣١٦ قبل سقوط أم درمان كما قضيت سنتي ١٣١٤ و ١٣١٥ في التعليم والمطالعة حيث طالعت ديوان ابن الفارض بشرحى البورني والناطسي وكثيرا من تفسير الكشف والجزء الأول من حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي والتهريه بالجمل والبرده بالاجوري وكان عندي الزوزلي على المعلقة وما كنت أميل للمطالعة فيه ولا ذنب له الا انه لا يبعث الروح الدينية في نفس الانسان كما يبعثها ابن عباد على حكم ابن عطاء الله الذي ماكنت أترك النظر فيه حتى كنت أحفظ الحكم • لأن النفوس كانت تستعد للموت وكانت الأخبار المروعة تكاد تصم الأذان فلا تطرق مجلسا الا يسألك من به ما الخبر فاذا خلقت لهم خيرا اعتقلوه ونشروه رغم ترجيحهم ان لم يكن تأكيدهم بأنك خلقتهم فمن ذلك وابورات الحكومة كانت تمر على المتمة حينما كان الأمير محمود بها بجيشه بعد أن قتل أهلها وكنت جالسا مع بعض أصنافائي الذين دعوتهم للفداء معي فخرجت منهم لأنظر استعداد الطعام فلما رجعت سألتوني هل جاء خبر ؟ ولم يكن بين قيامي منهم ورجوعي اليهم الا بضغ دقائق ولم أتمد سور المنزل • قلت لهم نعم فتسابقوا لسماعه بأشتياق قلت جاءت ثلاث وابورات ذاهبة لحظة مدين لتأخذ لللال منها فصرها جماعة محمود كسروا منها واحدة ورجعت الاثنتان لشندي فقتل بعضهم هذا الخبر مع علمه اني خلقت على طريق الفكاهة وقله سامعوه منهم على سبيل الحقيقة فلما انتشر بلغني وقلت لبلغني ان هذا الخبر قد خلقتة أنا على سبيل الفكاهة فلم يصدقني ومن أقرب المصادقات إنه بعد أسبوع حصل فعلا مصداق هذا الخبر •

أقول هذه الحكاية الأبية وأترك للقارئ تأويلها حسبما يفتقد اما أنا فمقتنع بولاية قائلها لأنى سمعت منه مباشرة وهى فى الأسبوع الأول من ربيع الأول سنة ١٣١٢ كنت راكب خمارا متوجها للموردة فى غرض مهم فلما قابلت بيت الأمانة فى شارع الموردة رأيت مجتمعا على شكل دائرة فلما وصلته وجدت العربان المجنوب المسى ابن عوف وسط الدائرة يتحدث مع حشرة أشبه بالرقص فلما سمعت منه قوله القاضى أحمد الراجل مسكه مسكه مسكه رماه فى البحر غطس غطس مرق مرق ثانى مسكه رماه فى البحر مسكه رماه فى البحر غطس غطس . الفاتحة لروحه القضاة ده وراعه كررها ويرقص فيها ثم قال الله الله التنباك فى كسلا التنباك فى كسلا (ولم تكن بيد التليان حينذاك) وكان من ضمن الواقفين الشيخ عبد القادر ولد أم مريوم فلما سمع التنباك فى كسلا ضرب حماره وأسرع فنبخته خوفا من أن يرانى أحد استمع لمثل هذا وبعد قليل جاء خبر احتلال التليان لكسلا على أن هذا الرجل ليس ازارا ضيقا اذا ستر صهبة اليت لا يستر الأخرى وفى القالب ترى عليه الفذرة اما القاضى أحمد على قاضى القضاة فقد وشى به للخليفة فسجنه ثم أطلقه ثم سجنه فى بيت ومثمه الأكل والشراب حتى مات جوعا وعطشا . ولى القضاء بعده الشيخ سليمان الحجاز فلم تطل مدته لوفاته ثم ولى بعده الشيخ الحسين الزهراء الذى لم يعد عن المصاحفى مسألة دقلا وعبيد يونس فسجن ومنع الطعام والشراب حتى مات جوعا وعطشا فتحقق موت القضاة الثلاث ده ورا دم بعد واقعة أتبرا وأسر الأمير محمود أيقن خليفة المهدي أن الجيش قد قرب وصوله فاستعد لمقابلته على أنه راجت اشاعة أن الخليفة وأخاه يعقوب ومن معهم عازمون على الهجرة الى كردفان أو دارفور ولكنها عما قليل كذبت وخصوصا بعد أن شرع خليفة المهدي ببناء أحد عشر طابية فى أم درمان وستة طوابى فى الشرق والخرطوم وتوتى وفى كل منهما طابيتان ووزع عليها المدافع والطبجية والخرم وجرب عمل النغم بواسطة رجل مغربى يدعى منورا كان قد وفق لعمل النغم فعلا وأخذته فى مركب يقطرها وابور الاسماعيلية لوضعه فى المكان الذى عين له ولا أعرف المكان بالضبط . (ولكننا سمعنا صوت انفجاره حينما انفجر وأغرق المركب والوابور ومن فيهما منور من المرقين)

سمعنا صوت الانفجار على جبهة الدباغين ولم أذكر تاريخه بالضبط

— محمود على الأحير كان محمود على هو الأيمن على هود الأمير يعقوب وكان متزوجا بنت على خاطر الذي لا تصحب عني عائلته لمصاهرتي لهم فمرفت محمودا واتصلت به فرأيت منه تبذيرا في هود الأمير مما يدل على انحلال الإدارة من أصلها فكان يعمل ليالى في المديح النبوى ويجمع فيها كل أنواع المادحين والمقرئين والسامعين مما يكتفه عشائهم فهو الخمسين ربالا مجيديا فيحيون الليلة (وكنت معهم في أكثر الأحيان) الى أن يطلع الفجر فنفترق لنصلى بمنزلنا خوفا من اعلان صوت التكبير المتحدة وكنا نتقل من بيت الى آخر فاذا أراد المادحون الانصراف وزع عليهم نحو ثلثمائة ربالا مجيديا فيأخذ الشيخ أحمد أبو شريمه وجماعته مائة ربالا والشيخ ابراهيم كراع النعمامة الرجل العالم خمسين ربالا والشيخ على طلبة ومن معه من القراء مائة ربالا وبقى المداح مثل قسم الله واخوانه وغيرهم بواقع عشرة ربالات لكل منهم وصاحب المنزل يرسل اليه الخمسين ربالا مقدما على المشاء ويأخذ الباقي لنفسه اذا اقتصد فأرسل لى في يوم ما خمسين ربالا لتكون الحفلة في منزلى فردتها له وعملت الحفلة على حسابى الخاص وبعد ذلك اليوم لم يطلب منى لعمل حفلة بمنزلى ، هذا الرجل الذى كان هذا حاله من البذل فشل في اتخاذ وظيفة له في هذه الحكومة كما أخبرنى عندما زارنى برقاعه سنة ١٩٠٨ مستجديا بأن سبب حرمانه أنه أهان سلاطين باشا يوما في المهديّة حينما جاءه طالبا منه هودا . هذه حالة الدنيا بخصوصه ودليل انحلال إدارة المهديّة المالية .

بعد عقد نية خليفة المهدي على الدفاع لرفع سحر الذرة ارتفاعا سريعا حتى بلغ ستة وثلاثين ربالا مجيديا لأن أهل المسواكل الكيرة تنافسوا في مشتري مؤوتهم سنة لغوهم من الحصاد أما أنا ومن موى فلم نشتري الا ما يلزمنا للشهر على الأكثر وفي الآخر صرفنا نشتري ما يلزمنا في اليوم لاختفاء الذره من السوق حتى وانى اضطرت لتكليف موسى يعقوب أن يبيع لى ثلاثة أراذب سلفا بمائة وثمانية ربالات ولسمى مالك وهو غائب اربب بهذه القيمة وذلك يوم الاثنين ثلاثين أغسطس سنة ١٨٩٨ أى قبيل سقوط أم حرمون بأربعة أيام .

وفي يوم الثلاثاء الذي هو ميماد الاستلام أنا وهو تغدئ بمنزلي سمعنا أن الوابورات وصلت أطراف أم درمان البحرية ورجعت وموسى أسرع لمنزله وقيمت بمنزلي وفي عصر يوم الأربعاء خرجت مع من خرج لكرري ولم أستلم الفلال ولا بعضه ودفعت قيمته لموسى، بعد سقوط أم درمان، بواقع الأربعين ستة ريالاً ودفعت له الباقي وهو تسون ريالاً مع قيمة أردب عسى مالك برغاه واستلمت منه سبند عسى مالك بخطه .

قلت لما صمم خليفة المهدي على الدفاع صار الناس وأنا منهم يشكرون فيما يقول اليه حالهم اذا حوصرت أم درمان أو تغلب جيش الحكومة على الخليفة وخرج من أم درمان وأخذ الناس بموائهم خصوصاً من ذاقوا أتعاب الهجرة مثلنا في جيش ولد التجوي وفي بعض الليالي أعلمت فكري وكندته فيما ينجمنا من الحصار أو الهجرة جرى على لساني تخميس لييتي ابن عطاء الله اللذين أولهما لا تدبر لك أمراً وهاك التخميس : -

أيهما المبلوا صبرا	لا تضق للكرب صدرا
لم تحط بالغيب خبرا	لا تدبر لك أسرا
فأولى التدبير هلكي	وأرض كلا ما أردنا
واستعد مما أقعدنا	للتوائب ان تردنا
سلم الأمر تجهدنا	نحن أولى بك منكنا

فاطمأن قلبي وسلمت الأمر لربي ثم جاءنا الخبر الأكيد بضياع صمغنا وما معه من أموال الناس الذين كانوا يبررون ولهم عرائل بأم درمان ، جاءوا ليحضروا الموقعة معهم فلقينى عسى النور ابراهيم البيرفلوى وقال لي : أظنك غير حارس على اخراج الزكاة ولذلك أضاع الله مالك . فقلت له أنا ماني محمد لله جسيمة في الزكاة . فقال أعوذ بالله من جراءك على الله والحقيقة اني أخرج الزكاة بدقة وتحقيق واحتياط بشيء عليها لعلني أكون ناسيا ديننا مرجو الدفع يستحق اخراج الزكاة عليه . وبعد مفارقتي لعمى النور تأملت مما سمعت منه لعل فيه روح الشماعة فقلت هذه الآيات : -

كلومي أراها من كلامي غالباً	وقد تأتي أحيانا بنفي تكلمي
فما كان من قولي ألت لمسه	وما كان من ربي فليس يؤلم
ولكن أراي صابرا عند خطبها	وذاك بفضل الله لا بتحزم

في يوم ما وأنا لم يكن يدي غير اثنين وعشرين ريالاً أفكر في أن أشتري بها غللاً وأتركها لتيرمه مما يلزم ، إذ دخل على المشايخ البلال الأسيدة وعبد الرحمن منصور والنور عبد الحفيظ ، وبعد هرايم الشاي قال البلال جئناك نطلب منك تسليف عمك النور عبد الحفيظ ثلاثين ريالاً لاضطراره لها ، فقلت والله لا أم لك غير هذه الاثنين والعشرين ريالاً فدخلت وبحثته بأساور وحجول بنية لي توفيت ، فأخذوها ومضوا شاكرين ، فبكيت لعمهم لأن البلال الأسيدة هو الرجل الكريم الباذل وعبد الرحمن منصور الذي كان بالأمس أغنى تاجر سوداني بتجارته العظيمة ، والنور عبد الحفيظ المملوء البيت بمهاجري أهله من التمة تصل بهم الحالة إلى هذا الحد . بكيت أسفاً على ما أصاب الناس من الشدة التي عمت العظيم والحقي .

من ضمن استعداد الخليفة للدفاع أرسل الخليفة لأحمد فضيل ليحضر بجيشه ليحافظ على شرق النيل بأم درمان لتلايحتها جيش الحكومة قبله فلما وصل رفاعة بلغه احتلال الحكومة أم درمان وفي اليوم الثاني وصلت وابورات الحكومة فتقابلها أهالي رفاعة بالترحيب والزغاريد فلما منهم أن الوابورات جاءت لتطرد جيش أحمد فضيل فاذا هي تر في طريقها لمدينتي فستجة واقترده أحمد فضيل وجيشه الذي كان برطاعة نصبا وسلبا حتى ملابسم التي على أجسادهم سلبت منهم ، وسبقوا أمام الجيش نساء ورجالا وأطفالا حتى خرجوا من البلد وهناك ظهرت حيلة الشيخ عبد الله عوض الكريم أبو سن الذي أظهر له الحزن على احتلال الحكومة النصرانية لبقعة المهدي عم والمزم الأكيد على صحبته حتى يصلوا إلى خليفة المهدي ، فلما باتوا بصفة باغت وهي أقرب حلة من رفاعة قال لأحمد فضيل لا فائدة لنا في النساء والأطفال فلا أفضل أن ترجعهم إلى رفاعة فوافقهم فرجعت المائلات ، فلما بلغوا الرحلة التي بعدها قال له نحن الآن قادمون على مغازه ، وهؤلاء الشيب والضعفاء يشاركوننا في الماء والطعام وإذا قابلنا العدو ربما ينهزمون منه فيحطون عزم الجيش فالأحسن ترجعهم فوافقهم وبقي معه الرقيق والشبان والأقوياء فبث فيهم روح الرجولة بواسطة من يأمنه على حفظ سره فلما وصلوا قرب المغازه وجد أن أكثر الناس رجعوا تمشى مع أحمد فضيل كمادته وكان قد نبه على جماعة بأسراج الجمال واعدادها للهرب ، فلما علم أن الأمير قد قام وحرسه تفرق منه ركب جماله وتوجه لمدينتي

بجزيرة الرهد والندندر • فلما أحسوا بهروبه عند صلاة الصبح طردوه بفضيلهم •
فلما عدا النيل رأى خيل أحمد فضيل في طرده وقتت على شواطئه الشرقي
وضربوهم بالرصاص ورجعوا •

موقعة كبرى :

خرجت من منزلي يوم الأربعاء آخر أغسطس سنة ١٨٩٨ حاملا جلاس ،
وبعد أن فرغت من الدرس سمعنا أم بابا والنحاس يضربان وبالسؤال علمنا ان
خليفة المهدي خارج لكبرى ، فسلمت غلامى الصغير جلاسى يرجعه للمنزل
وخرجت توا بأمل ان الخليفة يقضى ليلته في منزل هجرته بمكان العرصة ويدكر
الناس بأن يستمدوا ثم يرجعون لمنازلهم ليخرجوا يوم الخميس لكبرى ولكن
البعش واصل سيره لغور شبكات حيث يتنا هناك • فلحقني عيادى عبد الله
وجاير بالركوة والقروة وزاد يومين وعدة الشاى الذى لم أترك شرابه رغم ان
رأس السكر بستة رللات مجيدى وأقة الشلى وصلت ثمانية وعشرين ربالا
مجيديا ، فأصبحنا ليوم الخميس أول سبتمبر بشبكات وعقبنا الواپورات على
أم درمان فضربت طوابى شبكات وتوتى والخرطوم • ونسمع صسوت طوابى
أم درمان وغيرها ضرب فيها • وفى نحو الساعة ٤ صباحا عري سمعنا صسوت
سلاح ضرب بعيشنا وبالسؤال عن سبه فهمنا ان احدى الواپورات غرقت
والثانية سبلمت وجىء بدفتها للخليفة ف ضرب السلاح بشرى بالنصر وكان معنا
رجل يدعى مجنوب أبا بكر أصله من جماعة عثمان دقتنا ووالدته بنت الشيخ
الظاهر المجنوب ويده كرم صار يضرب الأرض بكندابه (زجه) هيفطس
جزء منه فى رملة خور شبكات المطورة ويقول لنا يا منكرون أنظروا علامة
النصر ونحن مكوت وبعد هنية سكت ضرب الواپورات للطوابى فالتفتت
أوداجه ففرا واعتمد القبط عليها ونحن المعنون بسبه كنا عشرة • سليمان
أبى حجل وميكائيل الملك عوض الله وعمر الصادق وعيد القادر الأمين وأحمد
عيد الحميد (كتاب الأمير يعقوب) ومختار محمد المسامل وباباكر مصطفى
وبابكر بلرى ومحمد مصطفى • بعد الظهر رجعت الواپورات للضرب فاضمحل
صاحبنا مجنوب من فخره قتلت له الكفرة ديل يمشون قبل الآخرة لعنة الله
عليهم فطاملا رأسه وبان عليه الخذلان وفى نحو الساعة ٤ مساء بدأ ضرب القنابل

في قبة المهدي عم . فاصطفنا صفا واحدا في طرف الجيش جهة الجنوب الغربي وكانت خيل الرية الزرقاء قبل ذلك بقليل بدأت تهب أربعة أربعة فكسرت رجل الشيخ بأن القا موسى وكيل الأمير يعقوب في رايته وأدارته فأرجع الى منزله فغبطناه وقلنا انه سعيد مسلم يباقي جسده . قلت وقتنا صفا تنظر ضرب القبة وكان عند أحمد أفندي عبد الحميد نظارة مقربة تتأوب النظر فيها ففى تلك الساعة مر علينا السيد محمد المهدي راكبا حصانه وتابعه وراءه حامل الركوة فسلم علينا واستمر في سيره فلما رجع ورأى اشتداد الضرب وقف على بعد مائة ياردة منا وجعل ينظرها حتى ظهر منها فتحة عرضة طويلة كر راجعا فسلم علينا بصوت جهور وبسم لنا ومر في طريقه فلم نره بعد ذلك . عندما ظهر الشق الكبير في القبة بهت الناس واطلع صوتهم كما اطلع صهيل الخيل ولم أسمع تكبير الاحرام للمغرب ولا أدرى أغبرى سمعها أم لا . وبعد أن صلينا المغرب في تايئنا تمشيئنا بالآبرى بالماء والدقة وبعد أن صلينا العشاء جاء طلب لأحمد أفندي من الأمير يعقوب ، فلما رجع لنا أخبرنا انه قد كتب أمرا للأمير يعقوب أبى زينب الذى تركه خليفة المهدي بأم درمان بأن يسر بعد ثلاث ساعات من شروق الشمس فكل من وجده في بيته ممن لم يخرجوا للجهاد في سبيل الله مع خليفة المهدي يذبحه على باب داره وهذه مكيدة من الخليفة اذ لولاهما لكان الكثير من الناس يسرب تحت الظلام ليته ، وفي نحو الساعة ١١ مساء جاءنا على كرواش شقيق محمد فضل أمين بيت مال الفاشر وطلب ما فعل له جبهة وأخبرنا انه متوجه للفاشر أوهما فيها بأنه بأمورية فتوجهت لأبشر الياس الذى كان عنده جبهة استقرضا منه فلما شرحا على كراوش أدخلها وعدها في الزغو وقال لا يرجعها لصاحبها بوجه ما . وركب جملة وفارقنا وبعد الواقعة علمنا انه متهرب فقط فنجأ وانتظر السلطان على دينكر هناك فحطى عنده ، اما أبشر الياس صاحب الجبهة فاستشهد في صباح الجمعة بالموقعة .

جاءتنا الاخبار ليلا بصفات ترتيب الجيش من حيث الزمان والمكان ، فمن قائل ان سلاح النار قام فعلا ليهجم على جيش الترك في مكان خدعه ومن قائل ان الخيالة يكونون معه ومن قائل ان شيخ الدين والخليل اختلفا وبسبب اختلافهما بطل هجوم الليل ونحن ما بين مصطلق ومكئب حتى أصبحنا فملمنا ان أهل السلاح النارى توجهوا شمالا الى جبل كبرى وان عثمان دقتا

وعثمان أنزق بمن معه نزالاً جهة البحر تحت جبل ضرغام ورأينا فعلاً رايات الخليفة على ولدخلو في جهة الشمال الغربي فكاننا الذي قلنا اليه نحن أنصار الراية الزرقاء حتى نزلنا واديا تنظر منه جبل ضرغام شرقاً جهة الشمال قليلاً فسمعنا نحو الساعة ٧ صباحاً دوى السلاح من العدو ومن سلاحنا الاري . وفي نحو الساعة ٨ بدأ المجروحون من جماعة عثمان دفقة يرون علينا يحصل المجروح أو يسند بأربعة أشخاص فلا يترضعهم أحد .

ففي تلك الساعة قلت لمن معي اذا جرح منا أحد سأجرح معه من دمه ويعملنا الباقيون منا فنسجوا ما دام ذلك جائزاً . وكان خليفة المهدي بالقرب منا جهة الغرب ومعه حاشيته وأمامهم الملازمة المرفوقون بالامدادية جلوساً على نحو عشرين ياردة أمام الخليفة في نحو الساعة ١١ر٣٠ جاء من أخبر الخليفة باستشهاد ابراهيم الخليل رحمه الله فقال له بصوت سمعناه شلوا عنقربي اصبوه عليه وادفنوه في بيته وكان العتريب محمولاً على بغل ببانينا فأخذوه ورجعوا بطريقهم علينا حاملين جنازة الخليل وبعد قليل جعلونا صفاً والراية الزرقاء اماماً فرأينا سلاح العدو يلمع ويخفت تبعاً لحركاتهم وكنت عارفاً ذلك ورأيناهم كالحجارة الصفراء فلما ظهرنا ناد خليفة المهدي بصوت سمعناه ابجكه قم خذ الاخوان دول صدوا أعداء الله ديل . فقام سلاح الامدادية ونص ننظرهم فقتلهم نحو مائة متر وأكثر بقليل وضربوا بطلق متقطع فرماهم الجيش بطلقة متخذ صوته رن . فلم يرجع ، منهم من مات ومن تماوت ومنهم عينا رجب المذكور كما تقدم . وما زال جيش العدو سائراً علينا ونحن تحت الراية الزرقاء حتى قرب منا وصار يصلنا رصاصه فيمر مصبوا فوق رؤوسنا حينذاك قال محمد المهدي الى متى تقف هل تقف الى أن يمسكونا بأيديهم ثم همز حصانه وخلصت الراية وكنت قبل ذلك رأيت لواء رملة ببانبه شجيرات فقلت لمن معي من يصل منا ذلك الرمل يرقد في داره .

قلت الراية وجرينا معها حتى وصلنا الرملة فرقداً أجمعين في صف واحد وصرنا تنظر الى الراية وهي تقع فترفع فتقع فترفع وفي الوقعة الثالثة اشتد علينا رمي الرصاص حولنا فاصدقك اني الذي كنت أعرض للوابورات ولا أبالي ببقاء الجيش والذي كنت هاجرت لفتح حلقا من ضمن تسعة رجال فقط . صرت اليوم أدعك وجهي في الرملة كآني اذا دخل رأسي في الرملة لا أموت

اختناقاً ، ذهلت في هذه النظرية لشدة خوفي من الموت الذي كنت أتمناه في مثل هذا الموقف حتى ضرب جاري بابكر مصطفى باليمين في يده الشمال فأب لى وعى آن ذاك وتذكرت وعلى للجماعة فملصت (خلعت) عمتى من رأسى ولوثتها في دمه وربطت بها ذراعى الشمال وقلت للجماعة صرنا اثنين مضروبين فقام الجميع من مكمنهم وحمل أربعة منهم واحدا وخرجنا فلما صرنا خارج الوادى جرى كل منا على جهة التي ارادها وبقينا انا ومختار محمد العامل حملت يد المضروب على كتفى ومختار حمل يده السائلة واجتمع معنا سليمان باشرى من الرباطاب وجرنا جهة الغرب وكان جيش من العدو وراءنا فكلما أسرعنا نجد انا تحت وفي سلامه ، فقلت في تلك الساعة لمختار بممتحنا له ابصق مثلى هنكذا ورميت ببصاقى فقال لى في الحال وفي مثل الساعة الضيقة انت جمعت هذا فابصق غيره فضحكنا فلما رأى المضروب انا مهمسا جرينا لا نخرج عن دائرة الخطر قال ارحسوا لى يلى فان الجرح آلتى من رفع يلى فلما ارحيتنا له يده وتخطى عنا جرى اسرع منا فواءه ما صرنا تلحق به ولكنى خطر يبالى ان تنج بجرنا صوب الجنوب لنقطع مسافة امتداد الجيش للجنوب فننجوا من رصاصه فلما أخبرتهم بذلك ، ملنا بسرعة خاطفة نحو الجنوب وبعد دقائق نجونا ، فلما اطمأن جري معنا جلى على الأرض وقال اموت هنا ولا اتمرك فأتهمه مختار وقال له اذا كنت تريد الموت فمن اوصلك الى ها ، فقلت انه معذور فلا يصح أن نضيف الى الله ألم التوبيخ فصحك مختار والتفتنا غربا فرأينا فرج الله عبد أولاد حاج محمد بحماره الذى يحمل عليه فى السوق بالاجرة أمسك مختار الحمار ليركب المجروح عليه فأبى فرج الله وقال انى منتظر أحمد ومحمد أساى وكانا من أصداقائى فقلت لفرج الله انى رأيتهما رجما وستجدهما فى بيت عثمان حسن سوار الذهب فصعدتى رغم كذبه عليه وسلمنا الحمار فأركبنا المجروح وتوجهنا ، فلما وصلنا ديم عثمان دقنا رأينا النساء يهمن بيوتهن البروش ويحملن ما استطن منهن ويبربن صوب أم حرمان فالتفتنا غربا فرأينا خليفة المهدي راكبا حمارا أبيض ومعه جماعة ذاهبين الى أم حرمان ولما وصلنا منزل عثمان حسن وجدنا أولاد حاج محمد هناك فلما فصلت الله الذى صعدنى وخلصنى من السبه والعداوة التى كانت تلحقنى ، فجلست معهم قليلا . واستأذنتهم فى فرج الله وحماره للجريح يوصله

منزله فسمعا لى جزاءها الله خيرا — بقيت معهم قليلا حتى جاءنا رجل لا أعرفه
قال انه من جماعة السيد المكى وكان مع السيد المكى فى مجلسه مع خليفة
المهدى — قال السيد مكى عند الخليفة الذى كان يتكلم مسرعا الوجه لم يظهر
عليه علامة يأس أو خوف حتى جاءه من أخيره ان الأمير يقوب استشهد فأطرق
مليا وجرى عرقه ولم يتكلم بعدها — وأخبرنى الشيخ محمد عمر البنا الذى
كان مع خليفة المهدى مثل هذه الرواية وزاد أنه لما قرب منهم العدو قال السيد
المكى يا خليفة المهدى ما دمت حيا الدين منصور فلتحصن من العدو لئلا يتمكنوا
من أسرنا وفيما خليفة المهدى ، قال الشيخ محمد عمر البنا لما سمعت كلام السيد
المكى ونظرت الخليفة لم ينكره قمت وأمسكت خليفة المهدى من عضده الذى
لا يلمس لثيمه وأنفضت فنبعنى وخطونا خطوات بأرجلنا ثم لحقنا أحد بعمار
أركبنا عليه خليفة المهدى ثم جاء صاحب حصان أركبنا عليه السيد المكى ثم
لحقنى جدى بصارى فركبته حتى قابلت شارع بيتى فنزلت عليه . حكاية
جزع الخليفة على شقيقه الأمير يقوب لذكرتى ما حكى عن لقمان الحكيم انه
أبى من عيبة لبلده فلقبه أحد مواليه خارجا فقال له لقمان ما فعل أبى ؟

قال مات

فقال لقمان ملكك أمرى ، ما فعلت أبى ؟

قال مات :

فقال لقمان زال همى ، ما فعلت أختى ؟

قال مات :

فقال لقمان ستوت عورتى ، ما فعلت زوجتى ؟

قال مات :

فقال لقمان جلد فراشى ، ما فعل ابنى ؟

قال مات

فقال لقمان خلقتة من ظهري ، ما فعلت ابنتى ؟

قال مات :

فقال لقمان هذا خير اصهارى ، ما فعل أخى ؟

قال مات

فقال لقمان الآن اتهم ظهري .

فلما الأمير يعقوب نعم الأخ والوزير الأزر لخطبة المهدي رحمه الله رحمة
 واسعة . فان الأمير يعقوب كان مثال التواضع والاعتدال - قمت من باب عثمان
 حسن سوار الذهب فمررت على منزل يوسف أخى لأطمئنهم على حياتي وخرجت
 منهم نحو الساعة ٣ بعد الظهر فوجدت عساكر الأورطة الثالثة عشر جالسين في
 شارع الهجرة شمال بيوت الياس أم برو وكنت أعرف الكثير منهم من أسوان
 سنة ١٣٠٧ هـ و ١٣٠٨ هـ فسالت الذين في طريقى عن البيوزباشى فرج صدقى .
 قالوا قتل للأورطة السابعة . قتل البتجوش بقيت موائى فمضى معي أحدهم
 حتى أوصلنى له فلما رأى عاقبى وقال لى ان هذا الجيب نحن الآن قبل
 ساعتين أعداء تتحارب والآن أصدقاء تسالم قتل له الحمد لله على نعمته .
 فلما رأى سبنى في كفى قال لى أعطنى هذا السيف أحفظه لك ربما يستريح
 الجيش المدنى فيضرب مثل هذا السيف . فسلمته اياه ووصلت بيتى القريب
 وبينما أنا أشرب في الماء سمعت صوت امبابا يصيح فاطلعت أحد عيبدى ، فطلع
 على الديوان وقلت له : أنظر الأورطة في مكانها أو قامت فقال في مكانها .
 فقلت أنظر الى جامع المهدي ماذا ترى فيه ؟ قال فيه خيول تجول وعليها
 فرسانها . فقلت أنظرهم هل هم من الأنصار أم من الترك ؟ فقال من الأنصار
 بجرايم . ثم خفت عليه فأمرته بالنزول ونحو الساعة ٩ مساء خرجنا من منازلنا
 مغربين (جهة الغرب) حتى وصلنا شارع الهجرة ، فرأينا الجيش الانجليزى
 ماشيا نحو الجامع فتبعناه حتى قربنا من مقابر الشهداء بجوار الاستبالية رجنا
 وبعد قليل سمعنا ان اللورد كشنر أباح نهب الغلال من كل بيوت الخليفة
 وكان عندى كثير من الرقيق فمنعهم أن يأخذوا قيراطا ولجدا . فأصبح أذهب
 الغلال من ستة وثلاثين رطلا الى ستة رطلات فسلمه أول حسنة من اللورد
 كشنر للمساكين الجائعين الذين لو أراد أن يقدم عليهم الغلال كصرفه لما
 بعضهم قبل أن يصله نصيبه ، فترى الناس في تلك الليلة يعولون ما بين الثلثة
 الغريبة منهم وبين منازلهم وبعضهم مما أعرف حتى المعرفة ساعد العظ حيث
 كان بعض حواصل الغلال يلتصق بفقرته فكسر غرقته وصار يدخل فيها الغلال
 بالواسوق والقاس حتى كاد يلقاها ، فأصبح غنيا مما باعه ، ومن هؤلاء بعض
 الرباط المجلودون للثلثة الغريبة من بيت عباس رحمه الله - وفي تلك الليلة
 جاء عسكري كان عبدا لايبراهيم البك اليعقوبى ، وقف بالباب وفاداه باسمه

فلما خرج عليه رجب به وظنه جاء ليحرسه وأولاده فمد يده ليصافحه ، فما كان من المسكرى إلا أن أصابه بطلقة أرداه في الحال قتلا وتركه يتخبط في دمه ، فخرج أهله وجيرانه فوجدوا المسكرى المعروف عندهم منذ صغره يطؤه على بطنه وهو ميت بجوزته . فرجع الكل مخبئين في كنه خروفا من القتل ومضى المسكرى لحاله .

ومما رأيته بمينى ما يأتى : خرجنا من منزلى أفا ومعى بعض أقاربه الضيوف هندي لنزور محمد ولد أبشر الذى خرج في الموقعة بكررى فلما وصلنا طرف السوق الجنوى الشرقى رأينا عسكريا سودانيا يقود خدامة خرج بها من السوق بجهة المشايق (شرق البوطة) ورأينا التاجر ابراهيم تميم الأصولي وأظنه سيد الخادمة جاريا عليهما فلما وصلهما أمسك بيد الخدامة ليرجع بها فإذا المسكرى يضع طرفا في ينفخيته ويرميه به فارتفع للهواء وسقط ابراهيم تميم وفمن تنظر اليه على أقرب من مائتى متر وأخذ المسكرى الخدامة ومضى بها وهما يضحكان ضحكا عاليا . وبالسؤال علمنا ان هذه الخدامة كانت سرية لابراهيم تميم وهذا المسكرى أخوها وكافا مولدين بمنزله فمثل هذه من فضائح التفوحات لبيش منظم تحت حكومة متمدينة لما قتل عوض الكريم كانوا بواسطة الميرغية وقتل أحمد حمزة بواسطة البطيخ فها جازوا لأنفسا محكوم عليهما بالقتل قصاصا أو شبهه وقد رأينا في ثلثي يوم التفوح جنازة مطروحة في طريق الهجرة مجهول قاطعها ومجهول أهلها . لما عداى اللذان كافا معى بالميدان فكافا كغيرهما من أمثالهما واقفين بظهرنا على شاطئ الوادى فلما استقننا لمتد الصف شرقا ولما خرجنا من الوادى لم نذكرهما طبعنا لننجو بأنفسنا اما جابر فانه أخذ الركوة (وهي ابريق من جلد) وجسرى للبيت اما عبد الله فانه ظل ممسكا بعماري حتى أسر وغنم العمار منه فبعد يومين علمت انه ضمن الأسرى بجامع المهدي فأخذت والدته له طعاما فلما أوصلت اليه الطعام قال لها أخرجي وأتركي لى أواني الطعام لأخرج بها وفعلنا خرج بالباب كانه من الذين أتوا بالطعام لأسير له وجاءا بالمنزل فهذه حيلة تدل على نياته ولعلنا هو فيه .

لم أعرف شيئا آخر اعن خروج خليفة المهدي من أم درمان غير اني سمعت انه لما أراد الخروج تمهل حتى أرسل لمن يأمل انهم يصحبونه في هجرته كأولاد

هاشمي والشيخ بان النقا والسيد المكي ومذخر الحجاز وغيرهم وقد علمت من
أحدكم انه لما طرقت رسول الخليفة بابه أرسل اليه أحمد أولاده فلما علم ان
الطارق رسول خليفة المهدي يطلبه للهجرة معه قال لرسوله أقتل الباب في وجهه
ولا تخاطبه على انه كان قبل ذلك حينما يعلم ان الطارق رسول الخليفة يسرع
بالاستعداد ويهرول مع الرسول الذي يجري حتى يصل باب الخليفة فهذا منه
يعد عدم وفاء فلو كنت مكانه لتقابلت الرسول وحملت سلامي للخليفة ووعدت
بلحرقه واني مشغول بالاستعداد للخروج بمالتي لأن الوقت ضيق وقلت
لمحدثي هذا الرأي فعلا وغلطته فيما صنع . لا أعلم شيئا أكتبه عن عمل
الحكومة العليا في المهدي في أعمالها الرسمية لاني أصغر ممن يتخلون بها
لتشغل بالتجارة فقط وامتاعني عن السياسة .

(انتهى الجزء الأول)



03
2
8

 Библиотека Александрина



0691437